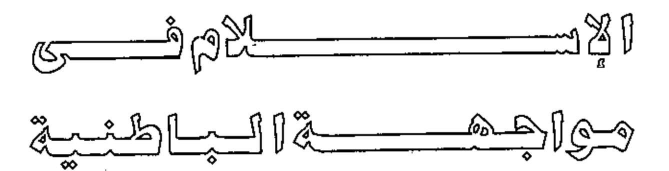
الإسلام فى مواجهة الباطنية

المجاهد الكبير: أبو الهيثم



الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م



هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

شارع عبد الفتاح الطويل - أرض اللواء - خلف المهندسين

ص.ب ٦٣ إمبابة - ت ٤٧٧٧٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وبعد فقد كتب كثير من المؤلفين قديما وحديثا حول موضوع الباطنية وفرقها المختلفة ، ولكن القارئ لبحوثهم قلما يجد واحداً منها قد أستوفى حقيقتها من الناحية الواقعية ، ذلك لأن أكثرهم قد استقى معلوماته من كتب السابقين ، فلم يكلف نفسه تتبع التطورات الطارئة على تلك المذاهب تحت ضغط الاحداث ذات التأثيرات المتباينة ... ومن هنا كان لبحثى هذا ميزة من حيث اتصاله بهذه الناحية من واقع الملة النصيرية ، لا كما كانت بالأمس فقط بل كما هى اليوم ... وللقارئ أن يسألنى بعد ذلك عن الدليل الذى يؤكد لبحثى هذه الميزة ، لذلك أسرع إلى القول بأننى أضع بين يديه فى هذه الصفحات مجهود ربع قرن قضيته على اتصال بمواطن هذه الأفكار أدرس منها ماأرى وماأسمع ... وقد أتيح لى أن أتعرف أثناء ذلك من وقائع هذه العقيدة مالاسبيل إليه إلا من هذا الطريق ، طريق الاتصال الشخصى بمواطنها الخاصة ...

لقد قيضت لى المقادير مرافقة رجال كثيرين من هذه الفرقة ، ووصلتنى بمخطوطات كان وقوعها فى يدى ضرباً من التوفيق العجيب ، الذى لاأجد له تفسيرا سوى أنه تدبير من الله ... ثم جمعتنى من أولئك الأصدقاء بأفراد كشفوا لى ذات أنفسهم فأطلعونى من تلك الوقائع على ما لا تنطوى عليه الكتب ، ولا يعرفه منهم إلا ذوو الاختصاص من الرجال ، الذين جعل القدر فى أكفهم مفاتيح الملة تأخذها عنهم جماهير النصيرية دون غيرهم ...

أجل ... لقد التقيت بين هؤلاء الأصدقاء أفرادا تجيش صدورهم ثورة بتلك

المفارقات ، ولكنهم لايجدون الجو المساعد لإعلان مايعرفونه من الحقائق ، فهم مضطرون للاحتفاظ بها إلى الوقت المناسب . ولا أنسى كلمة أحدهم لى ذات يوم : أمِّنْ لى الوضع الذى يحمينى وأسرتى من الجوع والاضطهاد ، ثم انظر كيف أدمغ وجه الباطنية دمغا لاتستطيع له دفعا . قال هذه الكلمة فى همس وهو يتلفت حوله كأنه يريد أن يطمئن إلى سلامته من العيون والآذان ...

● فأنا إذن أستقى معلوماتى عن النصيرية من مصادرها الحية : المخطوطات وأفواه الشباب الذين تحرروا من أغلال الأوهام ، ثم آخرين من رجل يكتمون إيمانهم وهم على أتم الاستعداد لإعلانه يوم يتوافر لهم الوسط الذى يترقبونه . أجل .. إنها معلومات حية تستمد حقائقها من الواقع المتحرك فى نطاق التطور المستمر ، وبذلك تختلف عن المرويات السمعية المتكئة على المصادر المغفية فى بطون الموسوعات التاريخية .

وهناك كلمة ما أظننى قادراً على نسيانها ... سمعتها قبل أربعين سنة من فم الصديق والأستاذ الشيخ سليمان الأحمد ، وكنت ضيفاً عليه فى قرية (السلاطة) من قضاء مدينة جبلة مع نائب سابق . قال الشيخ : أى فلان ... إنكم أنتم المسئولون عن هؤلاء الروافض ، فاتقوا الله بهم وافتحوا لهم قلوبكم واجعلوهم يثقون بكم ...) . قال الشيخ ذلك فى لهجة مؤثرة وقد ركز عينيه العميقتين فى وجهى ، وقبض بيمناه على مقدمة ثوبى يهزنى هزا ...

وكانت مفاجأة أسمع بها من الشيخ كلمة الروافض يطلقها على قومه ... فقلت : أوضح ياأستاذى إذا شئت . قال : هؤلاء قوم أغرقهم الجهل فلا يكادون يعلمون شيئا ، وأنتم أهلَ السنة ذوو العلم والفكر فأنتم عنهم مسئولون ، ولن تستطيعوا نفعهم إلا أن تستحقوا ثقتهم...) .

ووقف الحديث يوم ذاك عند هذه الكلمة ... وها أنذا أستعيدها بعد هذه العشرات من السنين .. فأجد من حقها على أن أقدم لأهل السنة هذه الحقائق عن جيرانهم من النصيرية ، وللنصيرية رغبة أهل السنة الخالصة بمساعدتهم على التخلص من الأوهام ، التى نسجتها حولهم أكف المضللين من مشعوذى الشعوبيين والأعجام ... وما أنكر أن فى بعض كلامى شيئا من القسوة ولكنها قسوة المبضع الذى لاسبيل له إلى مكافحة المرض إلا ببعض الآلام ، ومع ذلك فلا

أرحم من اليد التى تشق ذلك الجلد لتريح صاحبه من أوجاعه ...

● هذا وليس من حق أحد أن يتهم نيتى فى الحديث عن أولئك الإخوة أو الحديث إليهم ، إذا كان على بعض العلم بالصلة القديمة التى تجمعنى بهم ، ولو هو قد عاد إلى أكداس القصص والبحوث التى وقفتها عليهم لاستيقن أنه كلام وُدود يودُّ لهم كل خير وتقدم ، وحديث منصف طالما كشف عن الكثير من المزايا التى توارثوها من عريق الأخلاق العربية ...

ورعى الله زمانا نعمنا خلاله بروح التعاون مع أتراب لنا منهم طالما شاطرونا المرَّ من كيد المستعمر وأعوانه ، وطالما عاطونا الحلو من صادق الود العابق بالأريحية والكرم .. ومهما أنسَ لا ينسنى أن أنسى يوم ضاقت بى الحياة من قسوة ذلك المستعمر والضالعين معه من ذوى المقامات الموروثة ، فجاءنى بعض أولئك اللِدات من إخوة الجهاد يعرضون علىَّ الإقامة بينهم على أن يشركونى فى مايملكون من أشجار وديار ...

وما أحسب الأيام مهما تختلف أحداثها بقادرة على أن تخلى ذاكرتى من صورة ذلك الشيخ البطل صالح على ، الذى ملأت ملاحمه فى قتال الفرنسيين صفحاتٍ طويلة من تاريخ النضال الإسلامى الحديث ، حتى لا يعذر مسلم فى ديار الشام يجهل مواقفه ، التى أحيت العزة بعد موات ، وردت الأمل مشرقا بعد فوات .

● وإنى لأستعيد اليوم ذكريات أيامى فى صداقته وما كان يغمرنى به من حفاوة ورعاية كلما يَمَّمْتُ منطقته فى أنحاء (الشيخ بدر) لقضاء فصل الصيف ... وأتذكر فى إعجاب لا يوصف ذلك الشموخ الذى ظل يميزه عن أقزام الزعماء ، فلم ينحن قط للحاكم الأجنبى ، ولم ينخدع بتلايثه له والتظاهر بإكرامه ، بل كان يتأبى مجرد لقائه ، فإذا راوده على ذلك وسيطٌ له أجابه بمنتهى الأنفة : إن الله ينهانا عن ذلك بقوله الكريم : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » هذا فى وقت كان (كبار الزعماء هناك) يتنافسون على مواجهته بل يتهافتون على تقبيل راحته ! ..

ولعل رفاقاً لى لا يزالون على قيد الحياة يتذكرون ذلك الموقف الأعز الذى طالعنا ذات ليلة إذ كنا فى الطريق إلى الشيخ بدر ، حتى إذا توسطنا قرية (ضهر مطر) استقبلنا ممثلوه من أعيانها ، فدعونا للمبيت ، وراحوا يحدثوننا أثناء ذلك

عن قضية الساعة فى ذلك الجبل ..

لقد قرر الفرنسيون إجراء إحصاء للسكان فى تلك الأوساط ، وألزموا كل فريق أن يسجل نسبته الطائفية ... وكان معلوما لدى المناضلين فى سبيل الاستقلال والوحدة أن غرض الأجنبى من ذلك إعطاء الإنفصاليين من قبائل الجبل فرصا جديدة لترسيخ القطيعة بين الداخل والساحل ، ومن ثم للقضاء على وحدة سورية نهائيا ... ولم تفت المؤامرةُ فطنةَ الشيخ صالح يومئذ فأوعز إلى عشيرته بالوقوف فى وجهها ، وذلك بالإصرار على الانتساب إلى الإسلام وحده ... وكان هذا كافياً لإلغاء عملية الإحصاء...

وبكل اعتزاز أعلن هؤلاء الأعيان لنا ليلتئذ أنهم لن يقبلوا غير الإسلام نسبا ، تأييدا لموقف الشيخ ، الذى أراد إشعار الفرنسيين وأذيالهم أن العزيمة التى قاتلهم بها من قبل لن تفلّ من غربها هدنة ، ولن يضعضعها تبدل فى الأوضاع .!!. وبتقديرى العميق لتلك الشخصية العملاقة ظللت على صلة به حتى لحظاته الأخيرة ، إذ كنت والقاضى الشرعى المرحوم السيد محمود الفضل أقرب خواصه إليه ساعتئذ ، إلى أن وقف الموت ذلك القلبَ الذى شارك فى صنع أهم الأحداث فى تايخ سورية خلال تلك الحقبة ...

أجل .. وبكل صراحة أقول : لقد كان ذلك البطل العملاق على دين قومه مقيَّد الفكر بمواريث الشيوخ الذين عنهم أخذ عقائده ، وكان أحدَ المراجع التى عنها يؤخذ الدين وإلى شروحها يلجأ فى فهمه ... ولكن هذا لم يمنعه أن يؤمن بأعلى قيم الرجولة ، وأن يلتزم طريق الوطنيين الأحرار ، ويبذل كل طاقاته لنصرة المُثُل الإسلامية التى فى رأسها جهاد الغزاة الأشرار...

لقد كان أنموذجا فاضلا للصراحة والوفاء ، ومرد ذلك إلى شخصية أوتيت من القوة ماجعلها مضرب المثل فى الشجاعة والمرؤة .

● عام ١٩٣٦ وقد عاد وفد المفاوضات من باريس يحمل صك الحرية ، كنا مع الشيخ صالح على وآل المحمود نؤلف أحد الوفود القادمة إلى دمشق للمشاركة فى استقبال قادة النضال ... وفى طريقنا من فندق الأندلس لزيارة البطل العربى الآخر سلطان الأطرش فى فندق فيصل بالسينجقدار ، وقف الشيخ صالح وسط ساحة المرجة ، وجعل يدير عينيه المهيبتين فى تلك الأرجاء ، ثم التفت إلىَّ يقول : أى

فلان ... هذا البلد سنحكمه نحن العلويين ذات يوم ...

قلت : لو أوضحت ماتريد ...

قال : ذلك مايقرره الجَفر ...

وكانت كلمة كشفت أسراراً ... فعلى أنباء (الجفر) يستند قادة الفكر الدينى فى أوساط القوم ، وليس من المعقول أن يستقل الشيخ صالح بهذه النظرة إلى المستقبل ، الذى يتراءى له من خلال تلك الورقات المقدَّسة ... بل لابد أن يشركه فيها الآخرون من أمثاله . وهذا مايجعلنا نتصور أن فكرة الاستيلاء على الحكم فى ديار الشام لا تقل عن كونها أحد الحوافز العميقة التى حملتهم إلى قمة السلطة ، فهى فضلاً عما وراءها من دوافع الصراع السياسى إنما هى – فى ظل هذه الرؤية – حركة صادرة من منطلق العقيدة الدينية . أى أنها حركة تلتقى مع التطلعات التى خُططت – منذ ألفى عام – لقيام دولة إسرائيل ... ومع ذلك ماكان الشيخ صالح ليرى يومئذ داعياً لكتمانها عنى كما تقتضى بذلك موجبات التَقيَّة ، التى يعتبرونها مع أساسيات الدين ، ولا تفسير لذلك إلا الصراحة التى كانت ترفع البطل على مختلف الضرورات ...

والواقع أن هذه الصراحة لم تكن مقصورة على الشيخ صالح ، بل كنا نلمح بوادر منها فى أحاديث بعض الشيوخ الآخرين ، حتى أن أحدهم ، كما أسلفت ، أكد لى ذات يوم أنه مستعد لإعلان استنكاره لكل الانحرافات المتوارثة لو وجد الجوّ المواتى ... وإنما تقوى هذه الصفة أو تضعف تَبَعاً لثقة الواحد بنفسه وأمنه على رزقه وحياته ، وهما الصفتان المميزتان للشيخ على سائر الشيوخ .

ولا جرم أن هذه الصراحة قد تركت طابعها فى العديد من شباب هذه الفرقة ... ولقد عرفنا منهم غير قليل من الذين شاركوا فى قيادة الحركة الداعية إلى وحدة سورية ، التى كان قد مزقها الاستعمار فجعل كل محافظة منها دولة قائمة بذاتها . وإن أنسَ لا أنسَ موقف هذا الرهط الكريم أثناء مؤتمر ١٩٣٦ الذى عقد بإشراف وتدبير حاكم طرطوس الاستعمارى الشرس (المسيو فيو) الذى أراد أن يتحدى به دعاة الوحدة من أحرار النصيريين ليبرزهم قلة لاقيمة لها ، فوجّه أعوانه من الانفصاليين لعقده تحت منزله وعلى مقربة من دار الحكومة ... ومع ذلك فقد خيّب الشباب الحرُّ فأله ، إذ رفعوا عقائرهم فى وجوه آبائهم وأهليهم

من الضالعين مع الأجنبى ، فما زالوا ومازلنا معهم حتى ارتفع صوت الوحدة عاليا مجلجلا لأول مرة فى تاريخ الساحل السورى . وإنى لأذكر موقف أحد هؤلاء الشباب وهو يحاور عمه ، الذى يعد أكبر زعماء تلك الفئة ، فلم يتمالك أن صرخ به على مسمع من الجمهور : إن الوحدة آتية لا محالة ولكن الله يأبى أن يجعل لكم عليها فضلا !

ولقد ارتفعت هذه الأصوات الحرة فى وقت كان الفريق الآخر يستثير حمية (ليون بلوم) رئيس وزراء فرنسة للحيلولة دون نجاح الوفد السورى بقيادة رجال الكتلة الوطنية ، ويعلن فى برقيته المؤسفة إليه تخوفه الشديد من تحقيق مطالب الوفد ، لأن فى تحقيقها خذلاناً لأنصار فرنسة فى سورية ، وتأييداً للمسلمين (المتعصبين) على اليهود (الطيبين) فى معركتهم لإقامة وطنهم القومى فى فلسطين !! .

● أما كيف ولِمَ اختلف بنا الطريق فانقلبت الألفة فرقة ، والمودة حقدا ومجابهة ، لم تلبث أن انزلقت بسورية إلى مستنقعات الدم التى تخوضها هذه الأيام ... فمرد ذلك إلى عوامل خلفية لا سبيل إلى تجاهلها قبل أى محاولة لتحديد المسئولية . وأشير منها إلى ثلاثة لا أرى إمكان الفصل بينها ولا إمكان تعيين السابق منها على غيره .

فهناك أولا أصابع الشيوعية التى بدأ تغلغلها فى أوساط الطلاب ، وكان مرتكزها إثارة روح الثورة والمفارقات الاجتماعية بين طبقات السكان ، حيث الغنى الفاحش من جانب ، والفقر المدقع من الجانب الآخر .. وقد بدأت الشيوعية تفرز أنواع المذاهب الهادفة إلى تغيير ذلك الواقع فى أنحاء العالم ، وبدأ معها ضرب جديد من التعاون بين دعاة هذه التيارات على مستوى الأحزاب العالمية .. مما حرك طاقات الكثيرين للمشاركة فى دوامة الصراع ضد الطبقات ، التى يسمونها (الإقطاعية) أو (البورجوازية) التى لجأ غالبها إلى كنف المستعمر تستمد منه الحماية ، ويستمد منها التأييد لضرب سائر الحركات التحررية ..

ثم هناك النقمة المكبوتة فى صدور الإخوة النصيريين من الحكم العثمانى ، الذى ملأ كرهه نفوسهم بسبب المجابهات الكثيرة التى قامت خلال القرون الأخيرة

بينهم وبينه ، حتى إذا حل التسلط الفرنسى مكانه بدأ الجو صالحا للاستغلال ، فاجتذب إليه الكثرة من زعماء الجبل وشيوخه ، وأوقد نيران الفتنة بين طوائف البلاد على امتدادها ، ولا سيما بين الجبل والساحل ... حتى لم يستنكف عن الإقرار بألوهية « سلمان المرشد » فترك له أن يفعل مايشاء لتثبيت نحلته وإقامة (دولته) فى سبيل حرمان البلاد من نعمة الاستقرار ، عقيب إقرار المعاهدة بين فرنسة وسورية !

وقد استكملت هذه النقمة عناصرها بانسلاخ لواء الاسكندرون عن سورية وضمه إلى الجمهورية التركية ، القائمة على أنقاض الخلافة العثمانية . وقد سبق هذا الضمَّ هناك عهدٌ من الصراع العنيف بين العنصرين التركى والعربى – الذى كثرته من النصيرية – فلما أتم الاستعمار الفرنسى مؤامرته بتسليم اللواء كان لابد لشباب هذه الطائفة من الهجرة إلى بقية الوطن العربى ، وبخاصة محافظة اللاذقية – موطن الكثرة من أبناء طوائفهم – .

● ومما ينبغى تذكره هنا هو الاعجاب الكبير الذى كان يملأ صدور الشباب السورى المتعلم ، بنضال أولئك الفتية الذين ثبتوا بوجه العواصف فلم يضعوا السلاح حتى أحاطت بهم المؤامرات من كل جانب ، فانسحبوا من المعركة كما تفعل الكتيبة التى تحطم عتادها ، فكان انسحابها نفسه نوعا من الانتصار .

هذا الشعور العارم من الاعجاب هو الذى مكَّن للشباب المهاجر ، وفيهم الطبيب والأستاذ وأصناف المثقفين ، من استقطاب الكثير من شباب سورية ، وبخاصة فى محافظة اللاذقية – التى انقسمت مؤخرا محافظتين – فوجدوا المجال أمامهم فسيحا لبث أفكارهم الثورية ولا سيما فى أوساط الطلاب ...

وطبيعى أن هؤلاء المهاجرين الثوريين قد حملوا إلى مقرهم الثانى كل مشاعر العداء نحو الفرنسيين وحلفائهم الكماليين ، وقد اختلط على قادتهم مدى الرؤية فلم يستطيعوا التفريق بين الهوية التركية والإسلام الذى ينتمى إليه أولئك الأتراك . ومن هنا كانت الصبغة العلمانية التى طبعت دعوتهم ، وكان الشطط الكبير الذى وضع إتباع مدرستهم وجها لوجه فى معاداة الإسلام ...

● فى غمرات هذا الجو المحموم نشأت فكرة (البعث) على يد الماركسى العريق ميشيل عفلق وأعوانه الأول على اختلاف هواياتهم الأصلية . وفى ظل هذا

الوضع المتطرف نشأت تنظيمات أكرم الحوراني باسم (الحزب العربي الاشتراكي) ثم انتهت بهم وحدة الإطار إلى دمج الفريقين في نطاق (البعث العربي الاشتراكي) .

وكان أفعل الأسباب في نشاط التركيب الجديد واجتذاب الشباب إليه طابعه الثوري القائم على الكراهية والعنف . ذلك الطابع الذي وجدوا في محرضاته الرّي الذي يبلّ ظمأهم ، والحركة التي تشغل فراغ قلوبهم من الزاد الروحي ، الذي حال بينهم وبينه فقدان التوعية الإسلامية ، والانصراف إلى الجانب التراكميّ من علوم المادة السطحية .

وطبيعي أن هذا الجيل ، الذي نشأ في أحضان البعث الأول أو البعث الثاني ، لم تتح له المشاركة في غمرات النضال التي خاضها الجيل السابق في مكافحة الاستعمار الفرنسي تحت راية الكتلة الوطنية ، التي قادت البلاد إلى شاطئ الاستقلال ، ولكنها لم تكن صالحة لمواصلة القيادة بعده ، فاستبقت كل شئ من مواريث الاستعمار على ماكان عليه ، حتى بقايا العسكريين الذين تخلفوا عن الرحيل معه ... فكانت فرصة نادرة لتغلغل تلك التنظيمات إلى أوساط تلك البقايا ، التي كانت خالية الذهن من كل تصور جدّي لمهمة سورية جديدة . ومن هنا انطلقت التطورات الخطيرة التي سرعان ماتشعبت ثم تفتقت عن الأحداث التي أفرزت عديد الانقلابات ...

ومن أهم العوامل التي ساعدت دعاة هذه التنظيمات على نشر أفكارهم وترسيخها في تلك الأوساط العسكرية ، الديمقراطية البرلمانية من ناحية ، وإحجام الكثرة الغالبة من المسلمين عن توجيه أبنائهم نحو المعاهد الخاصة بالجيش ، أو الاستقرار في التزامه باحتراف الجندية بعد الفراغ من مدة الخدمة الإلزامية ، فكان الحرية العمل الحزبي مجالها الرحب في ظل النظام البرلماني ، وقد ترك إحجام المسلمين عن المسلك العسكري فراغا لم يلبث أن ملأه الآخرون وفق تخطيط منظم بعيد المدى ......

● ولما أذن الله للغمة أن تنجلي عن سورية يسرّ لها من الأسباب الدولية ما أكره الطاغوت الفرنسي على مغادرتها بجنوده ، وبذلك تحقق الأمل الذي دفعت ثمنه عشرات الآلاف من الضحايا طوال ربع قرن ، لم تفتر خلاله حركات النضال في

سائر أجزاء البلاد ، وقد خرج مع المستعمرين يومئذ عدد لانعرف مقداره من متطوعى الجبل وغيره الذين كانوا عماد احتلاله ، ودفعهم خوف الانتقام إلى اللحوق به ، فانتشروا فى مختلف الأرجاء من فرنسة وأوروبة وأمريكة ، حيث استقر بهم المقام ، ولكنهم ظلوا يتطلعون للعودة إلى مساقط رؤوسهم ، حتى كان العهد الراهن ، حيث سيطر أقرباؤهم على أزمة الحكم فى طول سورية وعرضها ، فانتعشت آمالهم من جديد ... وكان للتواصل بين الفريقين أثره العميق فى ما يتعرض له هذا القطر المنكوب هذه الأيام من أرزاء لا تحصى سواء داخل سورية أو خارجها ...

● ولقد حذق منظمو التركيب الجديد استغلال الفرص فلم يدعوا خطأ فى النظام البرلمانى – مهما صغر – إلا بالغوا فى تضخيمه ، ولا سوأة فى الكيان الاجتماعى إلا مدّدوها وهولوا بها ، وفى الوقت نفسه ركزوا على التعليم العسكرى فملئوا المعاهد الحربية بأتباعهم، بعد أن أدار المسلمون لها ظهورهم – كما أسلفنا – إيثاراً لغيرها من أبواب المنافع ... وخلال برهة وجيزة فى أعمار الشعوب استطاعوا الاستيلاء على مراكز القوى فى الجيش الذى خلفه المستعمر .

وجاءت الانقلابات التى نهكته فعرفوا كيف يستغلونها لتثبيت أقدامهم ، وما هى إلا أن قُطِّعت أوصال الوحدة المرتجلة بين القطرين حتى ركبوا الموجة إلى قمة السلطة ، ومن ثم استطاعوا أن يتخلصوا تدريجيا من شركائهم الناصريين ، ثم أتبعوهم بالعناصر ذات الفاعلية التى تخشى معارضتها ، وبخاصة فى صفوف العسكريين ، ولم يبقوا على أحد منهم يُخاف تحركه ، إذ نقلوهم من المراكز الحساسة إلى الأعمال الكتابية والإدارية فاستوى وجودهم وعدمه !

● وما هى إلا أن اطمآن القومُ إلى صلابة موضعهم حتى أقدموا – بالتعاون مع حلفائهم من ملاحدة أبناء المسلمين – على تنفيذ خططهم فى (تفكيك البنية الاجتماعية) وبدؤوا ذلك فى نطاق التعليم ، إذ قبضوا على أزمته ، وتصرفوا فى مناهجه على النسق الذى لايدع متنفَّساً للتربية الإسلامية .. ثم جاءت خطوتهم الجاسمة بتأنيث التعليم – تولى المدرسات عملية التعليم فى صفوف الشباب للاجهاز على الفروق الطبيعية بين الجنسين – وبما أن مدرسى التربية الإسلامية

وأشباههم من الإسلاميين ، هم العنصر الوحيد ، الذى يمكن أن يؤلف العقبة الفعالة فى طريق هذا التخطيط ، كان لامندوحة من إقصائهم عن ميدان التعليم بتحويلهم إلى الأعمال التى لاتمت إلى اختصاصهم بأى سبب ، وهكذا تحول مدرسو الدين الإسلامى كتّابًا فى دوائر المالية والتموين أو سواها من المؤسسات الأخرى ...

ومن المعلوم بداهة أن هجومًا كهذا على الوجود الإسلامى يستحيل إمراره دون ردود من الفعل .. وإذن فلا مندوحة عن استعراض العضلات تحذيرا لكل من تسول له نفسه أن يتساءل ولو بكلمة : لماذا ...

● وفى ظل ظلمات الطوارئ يمكن عمل كل شئ : الاغتيال ، والاعتقال ، والتعذيب وطحوك التهم ، وانتهاك حرمات المنازل ، وسوق الخصوم إلى أعواد المشانق باسم أمن الدولة ...

وضاقت السجون بنزلائها حتى لم يكن بد من استحداث سجون أخرى فوق الأرض وتحتها – على طريقة المطابق البلغارية المعدَّة للمسلمين – وصُفِّىَ العديدُ من شباب الإسلام بعد أن تضاءل وزن بعضهم تحت أعباء التعذيب إلى ثلثه ...

وأطمع هذا الوضع الشاذ بعض المستهترين من ضباط الطائفة الحاكمة ، فانطلقوا فى تخريب بقية الروابط الوطنية مع المسلمين ، حتى تجاوزوا بذلك حدود التصور . ففي ظل أمين الحافظ – الذى لم يكن له من السلطة سوى الاسم – تقتحم كتائب الحاقدين مدينة حماة وهى تنشد – عام ١٩٦٤ –

هات سلاح وخذ سلاح ... ديــن محمد ولى وراح

ويكون من حصاد هذا التحدى تهديم مسجد السلطان على رؤوس اللاجئين إليه من المصلين وطلبة العلم .

وفى دمشق تتابع هذه الكتائب مهمتها فتقتحم الآليات مسجد بنى أمية ، لتجدد ذكرى هجوم أبى طاهر القرمطى على بيت الله الحرام ، فتحصد الراكعين والساجدين والمكبين على كتاب الله ، وتسوق بالسياط وأعقاب البنادق أهل العلم إلى باستيل سورية بالمزة ، حيث يجرَّدون من كل مالديهم . ولما راجع أحدهم مدير السجن الطائفي راجيًا أن يدع له مصحف الجيب ليستأنس بتلاوته رد عليه بقوله : (لِسّاكم حاطِّين ها المصحف على أطْ ...) ؟ ! .

● وفى تلك الأثناء كانت برقيات الأعوان تذاع من محطة دمشق بتأييد الغارتين والاستزادة من أمثالهما ، وبينها ذلك البيت القذر الذى يعلن على الملايين نوايا المتسلطين والمنتفعين :

آمنت بالبعثِ ربًّا لاشريكَ له ... وبالعروبةِ دينًا ما لـه ثانـي

ويعقب ذلك ألوان من التحديات المذلة ، ولعل أهونها كلمة الضابط المدعو إبراهيم خلاص فى جريدة « جيش الشعب » (أن الله والأنبياء والكتب المقدسة ليست سوى محنَّطات يجب أن تأخذ مكانها فى متحف المخلَّفات الأثرية ...) .

ومن ذلك قولة فيلسوفهم زكى الأرسوزى (لقد جنى الإسلام على الفطرة العربية بتحويل العرب عن روح الجاهلية إلى رسالته العالمية ...)

ومن ثم جاء هذا الهجوم الشرس على كتاب الله يلقيه قائد القوات الخاصة فى اجتماع توجيهى بطرطوس حيث يقول - والحديث الخبيث مسجل - : (أتدرون لماذا سميت عائشة أم المؤمنين ؟ لأنها فعلت وفعلت و ...) إلى آخر تلك القاذورات التى يجدد بها افتراآت المنافقين الأولين على الصدِّيقة بنت الصِّديق ، التى أنزل الله براءتها من كل سوء قرآنا يتلى على وجه الدهر ..

ومفهوم أن هذا (الموجِّه) لايريد من الطعن على أم المؤمنين سوى الهجوم على الإسلام نفسه ، تماما كما فعل مخترعو قصة الإفك ، الذين عجزوا عن الوقوف بوجه المَدِّ الإسلامى ، فعمدوا إلى محاولة التشويه لمقام النبوة ، عن طريق بذر الشكوك فى صدور ضعفاء التفكير بطهارة البيت النبوى ..

● وكأنى بالقارئ ، الذى يعيش خلف قضبان المضللات الإعلامية ، يفرك جبينه ليتمتم : وهل من المعقول أن يحدث كل هذا ؟ ... وما الباعث عليه ؟ ..

ولعل هذا القارئ يتوهم أن ذلك قد يكون من مخلفات الماضى الذى انتهى بما يسمونه (الثورة التصحيحية) فليسمع إذن ما يقوله أحدَ فرسان العهد الجديد فى عدد ١٦/٢/١٩٨٠ من مجلة (الفرسان) الصادرة فى قلب دمشق (أريد من حكام العرب أن يجعلوا من الرفيق الأسد قبلة سياسية يعيدونها بدلا من الركون أمام أوثان الإسلام !) ذلك لأن الإسلام بنظر هذا السفيه وأضرابه لا يعدو كونه ضربا من الوثنيات ، وإذن فلابد من تحويل العبادة فيه من وثن إلى آخر بين الحين والآخر ! ..

ولا عجب في هذا وذاك ...

إنها مواريث الأحقاد الباطنية من مخلفات يهود ومجوس فارس ضد كل ما هو إسلامى ... هى التى زينتْ لأهلها الانحياز إلى كل عدو للإسلام ، وأغرتهم بقبول كل فكر يحاول طمس أنوارة خلال القرون .. ثم جاء المكر الماركسى والصليبى على أيدى الأرسوزى وعفلق ووهيب الغانم والمضللين بنفاثاتهم ، فدفعوهم إلى الانضواء لكل دعوة معدة لتدمير هذا الدين والإجهاز على جذوره ، فإذا هم ذات يوم أساطين الحزب القومى الأنطونى ، الذى أقبل عليه الكثير من شباب النصيرية وشيوخها ، ثم إذا هم أخيراً يتحولون إلى البعث العفلقى ليكونوا منه بمثابة الدماغ المخطط .

● فى هذا الجو المشحون بالكبائر المدمرة ، يقذفها ، دون تقدير للعواقب ، سفهاء مغررون ، فيدقون بها نواقير الخطر فى قلب كل مسلم وعى شيئاً من مقومات دينه ، فأيقن أنه أغلى من نفسه التى بين جنبيه ، وآمن بالتوجيه النبوى الأعلى الذى يقول له : (من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد[(1)]) .

فى هذا الجو المحلولك لم يبق للشباب المؤمن مناص من التحرك لحماية البقية من هذه المقومات بكل ما يملك من الطاقة ، إعذاراً لله ، ونهوضاً بحقوقه التى لا يسمح بانتهاكها ، وقد أحاطت بها نذر الخطر من كل جانب .

فى هذا الجو الرهيب انطلقت الشرارة الكبرى فى طريق الثأر للدفاع عن الأنفس والحرمات ، ولإنذار المسئولين عن تلك المآسى أن الظلم الأسود لا يمكن أن يستمر دون جواب ... وبدأ ذلك ببعض الردود الفردية ، ثم جاءت حادثة المدفعية فى حلب قمة الانفجار ، الذى حسب فاعلوه أنهم به يتخلصون ممن كان يُهَيَّأ لقتلهم واستئصال دينهم .

ولقد قوبلت تلك الحادثة لفورها بما تستحق من استنكار فى أوساط المسلمين الحلبيين ، حيث خرجت المسيرات الاحتجاجية يتقدمها الشيوخ .. وكان من

---

(1) رواه الترمذى وأبو داود والنسائى بسند صحيح .

حق هذا أن يُستقبل بالتقدير من الجهات المسئولة ، غير أن الموقف مالبث أن أفلت من يد الحكمة ليتولاه تلاميذ الجاهلية الجديدة ..

● وفى هذه الغمرة من الظلمات المائجة بالكراهية صدرت القوانين (التقدمية) باجراء المحاكمات الميدانية لكل من كان له أى علاقة بجماعة الإخوان المسلمين ، فلم يبق شارع فى حلب أو حماة أو حمص أو اللاذقية أو إدلب أو الجسر وغيرها إلا خُضِّبت أرضه بدماء الأبرياء لمجرد الشبهة بأنهم من الإخوان ! . مما لم يسبق له مثيل فى العالم كله ، اللهم إلا فى قوانين الهندوس التى اعتبرت المنبوذ بمنزلة الجُرَذ والفأر ، فلا مسئولية على قاتله أو مقطِّع أطرافه أو مشوِّهه ، بل بموجب هذا القانون أصبح القتل الجماعى وتهديم المساكن على الأسر المنكوبة من الأعمال المألوفة ! .

وحسبنا شاهدا على ذلك مجزرة تدمر التى ذهبت بالمئات من البرآء فى لحظات .. وهل أُحدثك بدوس المصاحف ، وشتم النبى ، وانتهاك الأعراض ، ونتف اللحى ، واذلال كل مجنَّد مسلم يجرؤ على التظاهر بالصلاة ! .

ولاحاجة إلى الاسترسال فى مسلسل الأحداث التى كادت تقضى على أخبار جنكيز وهولاكو وتيمور ، وأصحاب المجازر العالمية .. إذ هى لاتزال متصلة الحلقات لايعرف القاصّ بأيها يجب أن يبدأ ... أبمئات الأبرياء يُسحَبون من بيوتهم فى حماة وحلب ليصفوا على الجدران ثم تطلق عليهم النيزان ؟ . أم بالمُحصَنات العفائف يُنتزعن من أخدارهن للسطو على أعراضهن ، ثم تُحشى مواطنُ العفةِ فيهن بالأخشاب وقطع الزجاج ؟ .. أم بمذبحة تدمر التى وصفها منفذوها على مسمع عشرات الالآف من البشر ، الذين شاهدوا وسمعوا تلك الإقرارات من خلال تلفاز المملكة الأردنية ؟ .. أم بالغارة على أحرار النقابات الممثلة لأرقى الطبقات المثقفة فى سورية الشهيدة ، وسوقهم إلى غيابات السجون ، وإلى أفانين العذاب ، لغير سبب سوى دفاعهم عن كرامة أمتهم ، بدعوة المتسلطين إلى رفع أنظمة الطوارئ المجرمة ، وردّ الحقوق المغصوبة إلى الإنسان السورى ، الذى يراد مسخه نوعًا من دوابِّ الأرض التى لاتحس ولاتبصر ولاتعى ؟ ! .. أم باغتيال الألسنة الحرة التى جرؤت على الصدع بكلمة الحق عن طريق الصحافة ، التى هى المتنفس المقدس لكل فكر حر على وجه البسيطة ؟ ..

وإني لأكتب هذه الأسطر وفي قلبي أثر لايمحى من ذلك الخبر الذي حدثني به من لا يتهم عن شاب من المؤمنين مازال الجلادون به حتى أكرهوه أن يبول على ورقة كتبوا عليها اسم (الله) جل جلاله ... ثم الخبر الآخر الذي أقرؤه الآن ، في بعض الصحف عن رجل سيق مع ابنته إلى أحد مراكز التعذيب ، فأمر أن يفعل بها الفاحشة ولما رفض أجهزوا عليه ، وبقيت ابنته تحت مخالب المجرمين .

وهاهي ذي أنباء اللاذقية تحمل إلينا نعي العالم العامل الدكتور ممدوح فخري جولحا ، الذي سبق أن عرفته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مثلاً عالياً في الأخلاق والفضل ، ثم المدرس والخطيب الشيخ عبد الستار عيزوط ، والمحامي المعروف برهان عطور ، الذين اختطفتهم إحدى العصابات الطائفية من دورهم في ساعة متأخرة من الليل ، ثم عُثر على جثثهم الطاهرة ممزقة الأشلاء ... وبعد أيام أطلق هؤلاء القتلة النار على الطبيب ومثال التهذيب الدكتور محمد برهان فقاحي وهو خارج من منزل أهله .

● ولا حاجة كذلك إلى التساؤل عن سبب معقول لهذه الجرائم ، فقد أجمعت اللاذقية بكل طوائفها على أن هؤلاء من أبعد الناس عن مواطن الفتنة ... ولقد قضى الدكتور ممدوح عدة سنوات يدرس مادة التربية الإسلامية لشباب هذه الطائفة في ثانوية جبلة ، فلم يجد هناك سوى الحب والتقدير ، حتى بات من المعتاد أن يلحقوا به إلى منزله البعيد للاستزادة من علومه وفضله ... وكذلك الشهيد الثاني فهو مدرس وخطيب جمعة لم يعرف عنه سوى العبادة وخدمة الناس . أما الثالث فهو محام ينحدر من بيت شارك في جهاد الفرنسيين بقيادة الشهيد الشهير الشيخ عز الدين القسام ، ولم يُعرف له أي نشاط إسلامي قط ، اللهم إلا أن يكون قد شارك في احتجاج نقابة المحامين على استمرار الحكم العرفي وسياسة الإرهاب والقمع !

وبدهي أن ليس في هذه الصفات المعلومة لكل من هؤلاء الشهداء مايؤلف ذنباً يستحق العقاب ، ولكن المفكر عندما ينظر إلى ما وراء ذلك لا يسعه إلا الحكم بأن ثمة هدفاً رهيباً هو الذي دفع القتلة إلى جرائمهم .

فالشهيد ممدوح من قرى التركمان القائمة في أوساط النصيرية ، ومن شأن العدوان على حياته أن يحرك تلك القرى للدفاع والثأر ، وهم الذين لا يملكون أي

نوع من السلاح فى مقابل أولئك الجيران المدججين بأحدث الأسلحة ... فالنتيجة إذن ستكون مذبحة هائلة فى التركمان لاتقل عن سابقاتها فى الحواضر السورية المنكوبة ...

والشهيد عبد الستار لايختلف أمره عن ذلك كثيرا فهو من بانياس الساحل ، ولمسلمى تلك الجهات سوابق فى قتال المستعمر وميزات رجولية كثيرة ، فلا يستغرب أن يجرهم هذا الاعتداء على أحد شيوخهم إلى معركة غير متكافئة مع مواطنيهم ، الذين كانوا معهم على أتم وفاق قبل العهد القائم ...

وإذا نظرنا إلى بيئة المحامى عطور ، وهى المؤلفة من مدينة الحفة والقرى الإسلامية المحيطة بها ، فسنجد عوامل الفتنة على أشدها ، لما تميز به المسلمون هناك من قوة شكيمة جربت طاقاتها كثيرا فى قتال الفرنسيين ... فقد يجدون أنفسهم أيضا مجرورين جرا للمجابهة مع جيران هم مثلهم مسوقون إلى المجهول بغير إرادتهم ...

ويبقى الشهيد الرابع الذى سيعجز الخرّاصون عن العثور على أى ذنب له خارج حدود الالتزام لأخلاق الإسلام وموجباته من عزائم العبادة . فقد أصبحت مواظبة المسلم على عبادة الله من أكبر البواعث على تصفيته عند الحاجة ، حتى لقد أوشكت المساجد تقفر من الشباب ، لأنهم لا يرون من الدين أن يطيح بهم رصاص الغدارين على أبواب بيوت الله ...

والمصير معروف سلفا هو الإحاطة بالمسلمين ، الذين جردوا من كل أسباب الدفاع بإزاء القوم الذين أحالت السلطات الطائفية قراهم ومنازلهم ترسانات تغص بمختلف وسائل الفتك ... وهذا كله يعنى شيئاً واحداً هو أن ثمة تخطيطا شيطانيا يستهدف تدمير الوحدة الوطنية تحت ستار من التناحر الأهلى ، لايدع مجالا للتصالح فيما بعد ، ثم الوصول بالبلاد إلى الهاوية التى صارت إليها فلسطين بعد مذابح الطيرة وأم الفحم
ودير ياسين ...
فياويلتا ! ..
وواحسرتا !! .
وواأمتا !!!

إنها والله للراجفة ... تتبعها الرادفة ... ليس لها من دون الله كاشفة ...

● ولقد بدأت محنة اللاذقية بمقتل فتى نصيرى هو الشيخ يوسف صارمى الذى اغتيل على باب المسجد الذى هو إمامه وخطيبه ، فكان ذلك مطلع فتنة لم تسلم منها المساجد والمصاحف وأرواح العديد من المسلمين ، إذ أُلقِىَ فى أخلاد الغوغاء أن القاتل من المسلمين فلابد من الرد عليهم بعمل جماعى ! . وقد فات هؤلاء أن الحى الذى وقع فيه الاغتيال خاصٌّ بطائفة القتيل فلا يتصور إقدام مسلم - مهما يبلغ من الجنون - على اقتحامه ، هذا فضلاً عن أن القتيل كان صديقاً للجميع وغاية فى الدماثة والطيبة ... وقد سمعتُ خبر مصرعه عن طريق الإذاعة وأنا فى قبرس الإسلامية ، فهالنى النبأ ، وقلت لمن حولى : لابد أن يكون وراء الجريمة دافع شخصى انتهز أصحابه فرصة الخلاف الطائفى فأقدموا عليها وهم يرجون أن تضيع فى زحمة الأزمة ... وبالفعل ما كادت تهدأ الأعصاب قليلا حتى اتجه التفكير إلى الناحية الشخصية ، ويقال إن الأصابع بدأت تشير إلى خلاف بين القتيل وبعض قرابته ! ..

وشاء الله أن أستمع - بعد تسطير ماتقدم - إلى خبر هام يكشف الستار عن بقية هذه المأساة ، ذلك أن ناقل هذا الخبر يؤكد أنه سمع رجلا من طائفة القتيل كان معهم فى السيارة بين اللاذقية ودمشق يقول بصراحة : إن قاتل الشيخ الصارمى من قريته وهو معروف عند سائر أهل القرية ...

ولا شك أن جو الرعب الذى يحدق بسورية هذه الأيام يعتبر من الظروف الصالحة لاقتراف مثل هذه الجريمة ثم نسبتها إلى الأبرياء ...

فياويل أمتى ، وياويل اللاذقية من هذا المنزلق الرهيب الذى انحدر إليه ناسها ، فأضاعوا نعمة الأمن الذى طالما سعدوا فى ظله ، ليستقبلوا عهداً من الشقاء لامنفذ خلاله لرجاء ولا ضياء ! .. ولو كان ذلك محصوراً فى حدود اللاذقية وما حولها لهان البلاء - على هوله - ولكنه جزء من المحرقة الكبرى التى أوقدها أغرار من فتيان أعماهم الهوى وأغرقهم الحقد ، فتعلقت أبصارهم وبصائرهم بظلال زائلة من السلطان الذى لو سلم لأحد قبلهم ما وصل إليهم ...

فكيف إذا ذكرنا آلاف الضحايا الذين دُمرت عليهم دورهم ، ومزقت

بالحراب والرصاص صدورهم دون محاكمة ، فى حلب وحماة وحمص ودير الزور وإدلب وجسر الشغور وتدمر الحمراء ! .

● أجل ... لقد أفلت الزمام من يد العقل لتتولاه اليد الجاهلية التى لا تعرف معنى للعدالة ولا الرحمة ولا الإنسانية ... ذلك لأنى لا أستطيع أن أصدق أن كل هذه الطامات تنال موافقة رجال القمة ، بل لا أستبعد أن يكونوا هم أنفسهم فى ظل هذا الجحيم قد أصبحوا بعض ضحاياه .. ولكن الواقع الذى لا سبيل إلى إنكاره هو أن اليد الجاهلية هذه هى التى تحكم البلد ، وتفجر كل هاتيك المآسى ، وتنشر كل الفساد الذى تعانيه سورية فى أتون الحكم البوليسى – على تعبير وكالات الأنباء = فلا مجال لإقناع المنكوبين بلظاه أن وراء هؤلاء السفاحين رجالا صالحين ...

وبعد ... فهل ثمة من يستطيع تحديد المدى الذى ستنتهى إليه هذه الكوارث المتلاحقة ؟ ! ... الشئ الوحيد الذى نستطيع القطع به هو أن الإسلام لن ينهزم مهما تكالبت عليه القوى ، وسيطوى القدر كل محارب له اليوم وغدا كما طواهم بالأمس ، حتى يعود كما بدأ قويا عزيزا ... لأنه دين الله الذى أتمّه ورضيه سبيلا لخلاص عباده من كل عوامل الشقاء والبغضاء ... غير أن الذى يفجعنا ويبكينا ، ويبكى معنا كل عاقل من أولئك الإخوة ، هو حرمان سورية المعذبة روحَ الألفة والتوادّ والتعاون ، التى نعمت بها طويلا قبل ظهور هذه النابتة ، التى سلبها التوجيه الخاطئ إمكان الرؤية السليمة ... فحسبتْ أن الطريق إلى المجد هو الحقد الذى يريد أن يهدم كل الجسور الواصلة بين المسلمين والنصيريين ...

● فى الحديث القدسى أن الله تبارك اسمه قد أقسم بذاته العلية لَيُتيحنَّ لهم – أى لعصاة الغافلين – فتنة تدع الحليم حيران ...

ولقد بتنا والله غارقين فى بحران هذه الفتنة الصمَّاء ، التى تساوى فى متاهاتها العاقل والجاهل فما يدرى أحدهما أين يمضى ، ولا يعلم ما عليه أن يعمل ... ولا شك أن ذلك بنظر المؤمنين – مطلقا – من ثمرات الانحراف عن سبيل الله ، الذى ليس من سبيل غيره يهدى للتى هى أقوم ، بخلاف أولئك الذين يتخذون من عباد الله مخابر للتجارب ، كما يتعامل الأطباء مع الفيران أو الخنازير الغينية ! .

ومن منطلق هذا اليقين نتساءل : أى الذنوب اقترفها الإخوان المسلمون حتى

يُسلَبوا حقوق الإنسان ، فتستباح دماؤهم وأموالهم وأعراضهم من قبل الكثرة من حكام المسلمين ... حتى لتؤلَّف اللجان من ذوى الاختصاص للبحث فى أنجح الوسائل لتصفيتهم فكريا وجسديا ؟ ! .

● بعد تجارب أربعين سنة على أفكار هذه الجماعات المنتشرة على امتداد العالم الإسلامى ، ثبت بيقين أن الجواب الوحيد على هذا التساؤل كامن فى التزامها لتعاليم الرسالة الخاتمة ، التى صَمَدَتْ حتى الآن ، وستظل فى صمودها حتى نهاية العالم ، بوجه كل الانحرافات المباعدة للإنسان عن سبيل الله .

إن الأساس الذى عليه تقوم موازين الإخوان هو أن مبدع الكون قد كرم الإنسان وفضَّله على سائر مخلوقاته ، وأسكنه هذه الأرض مزَّوداً بالعنصرين المتكاملين ، اللذين بهما معا ينشئ الحضارة الربانية المثلى ، العقل المفكر والوحى المنير ... فمبقدار تلازمهما على سواء يكون حظه فردا وجماعة من الأمن والطمأنينة ، وبقدر انفصاله عن أحدهما يكون حظه من الضياع والشقاء .

فهو بالعقل يستثمر خامات المادة ليحيل بها وجه الأرض معرضا للإبداع غير المتناهى ، وبضوء الوحى يسلك بهذا الإبداع سبيل الرشد والسداد ، حتى يكون كل شئ فى هذا الإنتاج العبقرى سببا جديداً إلى المزيد من الخير للجنس الإنسانى ...

أما إذا ركب الغرور رأس هذا المخلوق فألَّهَ عقله وأعرض عن ذكر ربه ، فمصيره مايعانيه اليوم على سطح هذه الكرة من ألوان الرعب ، على الرغم من وصوله بأجهزته المبدعة إلى ما وراء القمر ... على أن من تكرمة الخالق لهذا الإنسان أن وسع له مجال الحركة حتى شمل الكون كله ، فلم يقيد تصرفه إلا فى نطاق الحفاظ على سلامته ، كما يفعل صانع الجهاز الكهربائى حين يرسم لمستعمله مخطَّط الإرشادات التى تحميه من أخطاره ... فكانت تشريعاته الحاسمة من الأحكام الحكيمة هى صمام الأمن للمجتمع البشرى ضد السقوط فى هاوية الضياع والرعب والهوان .

والإخوان المسلمين الذين آمنوا بهذه الحقائق لا يبتغون من وراء دعوتهم الدائبة لها شيئا سوى إقامة الدولة التى تحكم المجتمع بأوامر ربه ونواهيه ، فينشئ أفراده على روح الكرامة والعزة ، التى تجعل من مجموعهم خير أمة أخرجت

للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتصون ذاتيتها من الذوبان في أعدائها ، وتنقذ أوطانها من مخالب المجرمين ، الذين أطمعهم بها إعراض المسلمين عن نور ربهم ، وانحراف قادتهم عن الجادة البيضاء التي لا يضل سالكها ....

ويوم تقوم هذه الحكومات سيكونون أطوع لها من بنائها عملا بقوله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ٤/٥٨.

وهم بعد ذلك أقرب إلى السلام من طبيعة الحَمام ، إلا أن تُشهر الحرب على حرمات الله ، ويتشمّر الظالمون لتدمير الإسلام ، بحيث تسد أمامهم أبواب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن ، فلا يبقى لهم مَعدًى عن العمل بقوله تعالى : (أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرِهم لَقَدير ..) ٢٢/٣٩

وإنى لأسرد هذه الحقائق إنصافا للحق الذي قلَّ نصراؤه فى هذه الأيام ، وكثر المتنكرون له والعادون عليه ، مع أنني معزول عن الإخوان المسلمين منذ ربع قرن ، ولم يعد لى أى عمل معهم البتة ، ولكنها شهادة حق أُؤديها لوجه الله ، كيلا أحشر مع خُرْسِ الشياطين الذين يكتمون شهادة الله ، ويتبرعون بحوك الفتاوى للظالمين ...

وما أحسب فى بنى الإنسان منصفاً واحداً يتهم موقفى هذا ، أو ينكر على الإخوان المسلمين أن يدفعوا عن أنفسهم الكابوسَ الذى يريد خنقهم دون أن يرتفع لهم صوت ، وهم يرون إلى حَمَلَةِ الفكر الهدام ، من ملاحدة وشيوعيين ومنافقين وعملاء ، يُفسَح لهم مجال الدعاية الباطلة لمبادئهم بكل وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمنظور ، وعن تشكيل الأحزاب والمشاركة فى الانتخاب ، على حين يلجمهم الحجر السياسى حتى عن أن يردوا على باطل ، أو يدعوا إلى حق ...

● وكنت على وشك أن أختم مقدمتى هذه ، مكتفيا بما أسلفت من تلك النماذج الفاجعة من أرزاء الإسلام فى هذه الطاحية الهائلة ، ولكننى لم أكد أهم بذلك حتى فوجئت بالجائحة الجديدة تشنها على دين الحق تلك العصائب التى أفرزتها التربية المنحرفة ممن يدعونهن بالمظلِّيات ، إذ بَدَأْنَ أولى ملاحِهنَّ (المجيدة) بالغارة على معاقل الفضيلة ، التى ميَّزتْ هذه الأمة منذ نزل أمر الله للمؤمنات بالحجاب فى

قوله الحكيم : (ولْيَضْرِبنَ بخُمرِهنَّ على جيوبِهنَّ) وقوله المبين:(ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) ٣٣/٥٩

ولقد كان الحجاب قبل ذلك التوجيه الأعلى أمرا مألوفا فى الأُسَرِ الكريمة من عرب الجاهلية ، وفى عامة النساء من أهل الكتاب ، فأصبح بعده مبدأ ملزماً لكل مؤمنة تفقه قول ربها :(وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسولُه أمراً أن يكون لهم الخيرة مِن أمرِهِمْ) وقد زادها تشبثا به تعليل الله سبحانه وتعالى لأهمية الحجاب بكونه شعار المؤمنات المميِّز لهن عن سائر النساء : (ذلك أدنى أن يُعرَفْنَ فلا يُؤذَيْنَ) فهو العاصم لهنَّ من أذى المفسدين ، الذين يعرفون أنَ أقصر السُّبل لتخريب المجتمع الإسلامى تجريدُ المسلمة من ذلك الامتياز الآلهى بحيث تصبح مكشوفةً لكل رام من أعداء الله ! ..

● أجل .. لقد دفع شياطين الجن والإنس أولئك المضلِّلات من المظلِّيات للهجوم على حجاب المُحْصَنات من بناتِ الإسلام فى شوارع دمشق ، فرُحْنَ ينتزعنه عن الوجوه والرؤوس التى كرَّمها به الله ، فكان لابد لهذا العدوان الأحمق من ردة فعل ، تلقن السفهاء درساً جديداً فى قيمة الفضائل الإسلامية ومدى عمقها فى أخلاق أهلها .. وهكذا دفع هؤلاء المُغَرّرات ثمن حماقتهن عشرات الضحايا ، وأدى المؤمنون الشرفاء ضريبة الحفاظ على عزة الإسلام عددا آخر من الشهداء ...

ويقال إن قرارا رئاسيا سيصدر بمنع كل طالبة فى الجامعة أو دون الجامعة ، من دخولها ، إلا بعد أن ترفع عن رأسها الغطاء المميِّز للمسلمة .. وقرار كهذا إذا تحقق صدوره سوف يُسبغ طابع (الشرعية) على عمل المظليات الذى كان مجرد عدوان يستحق العقاب ! ..

ونحن لاندرى كيف يكون تصرف المسلمين بازاء هذا الهجوم الرسمى على دينهم ، أيقاومونه فيقدموا المزيد من شهدائهم فى هذه السبيل ، أم يمنعون بناتهم من طلب العلم فى مؤسسات الدولة ، فيكتفينَ بعلوم الدين من كتاب وسنة وتفقهٍ بأحكامهما فى بناء الحياة الصالحة ! ... ولكنا على كل حال واثقون بأن ثمة محنةً جديدة ستجتاح ديار الشام فى ظل هذه الفتنة .. لايراد بها وجه الله ولا مصلحة الشعب المنكوب ...

ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

● وأخيراً ..

على ضوء هذه الروح الآسفة الباكية الصادعة بالحق يحسن بقارئ هذا الكتاب أن يردد النظر بما فيه ، فهو لم يكتب بمداد الكراهية بل بإرادة الإصلاح ، التى لا شئ غيرها بقادر على رد هؤلاء التائهين إلى سبيل المؤمنين كما حدده الله فى قوله الخالد: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولَّى ونصلِهِ جهنمَ وساءت مصيراً) البقرة ١١٥ .

وأى سبيل سواه يؤدى بالنصيرية وأهل الإسلام إلى تفادى الكارثة التى تريد الجاهلية الجديدة لكل منهما أن تجهز على الأخرى ! ..

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

بين يدى الأحداث

حاول الفرنسيون تعميق وجودهم فى سورية بكل الوسائل التى تصوروها محققة لهذا الغرض، فقسموها إلى دول وحكومات، وأثبتوا ذلك بإثارة الفتن بين الجماعات ، ليفرغوا على ذلك التقسيم صفاته الدائمة .. وكان تركيزهم على منطقة اللاذقية أشد من تركيزهم على سواها ، فجعلوا منها حكومة ثم دولة ، وقرنوا هذه باسم (العلويين) ثم أخذوا يتصيدون زعماء الجبل بتسليمهم المناصب الصورية الكبيرة ، وفتحوا لكل زعيم رصيدا فى الوظائف يلحق به من شاء من أتباعه ! ..

وقد نجحت خطتهم بادئ ذى بدء ، فى استهواء الأكثرين من نصيرية الجبل ، فخضعوا لسياستهم ، وانساقوا فى ركابهم إلى الغاية التى أرادوا ، فكان لذلك أثره فى مقاومة العمل الوطنى ، الذى حدد أهدافه بالاستقلال وإعادة الوحدة السياسية لسورية ..

على أن تطور الأفكار ، وتكاثر المتعلمين فى أوساط النصيرية ، قد أديا فى خلال العشرين سنة التالية إلى ظهور جيل من شبابهم لم ترضه هذه الأحوال المصطنعة ، وشعر بأن الوضع الطبيعى هو أن يكون له نصيب فى حركة المقاومة ضد الوجود الأجنبى .. وهكذا حدث التلاقى الفكرى بين هؤلاء وزملائهم من المسلمين العاملين فى سبيل الحرية ، وكان طبيعياً أن يجر هذا التلاقى معه ألوانا من التساهل فى الاتجاهات الدينية ، حتى جاء يوم اعتبرت فيه الأحكام الدينية بنظر هؤلاء وأولئك عائقا دون وحدة العمل السياسى ... ثم كانت المرحلة التالية فإذا هناك مساع لازالة الفوارق بين الطائفتين النصيرية والإسلامية ، سرعان ماآتت أكلها فصدرت (فتاوى مدخولة) تكذب كل ماقاله علماء الأمة عن أخطار التعاليم النصيرية ، وتؤكد للعامة ماأراده رجال السياسة من أن النصيرى مسلم تام الإسلام ، لايختلف عن السنى إلا بإيثاره عليا (رض) على بقية الصحابة مع تقديره للجميع ،ولذلك فكل تفرقة بينهما فى التعامل الاجتماعى كالزواج والإرث

ونحوهما ، لغو باطل لامكان له فى حقيقة الإسلام .....

ثم أعقب ذلك ظهور مقالات تزين هذا الاتجاه وتدعو إليه بحماسة أكبر ، أعقبها كتب سطرت بأقلام تمت إلى المسلمين ، تذهب فى هذه السبيل خطوات أبعد ، حتى تكاد تحصر الإسلام الحق فى النصيرى وحده ! .....

وهكذا تحكمت السياسة فى موضوع الدين ، واستخدمت الأقلام والفتاوى لتأييد هذا الحكم ... وكان الرابع فى هذه الصفقة هم مشايخ النصيرية ، الذين كانوا (يضحكون فى عبّهم) من هذا التصرف الصبيانى ، الذى زاد سرية عقائدهم إحكاما .. ودفعهم إلى البروز فى المجتمع بوصفهم من (علماء الإسلام) ! ..

ومع أن فى هذا التطور قدراً غير قليل من الخير بالنسبة إلى قضية الاستقلال ، الذى شاء الله أن يتحقق بإخراج الفرنسيين إلى غير رجعة ، فقد انطوى على كثير من المحاذير ، إذ جعل الإسلام موضوع مساومة واستغلال ، وفقا لأهواء السياسة .. ولو أن الوعى الإسلامى كان يومئذ على مستوى الأحداث لجرت الأمور على غير هذا الوجه ، ولسارت الطائفتان إلى نوع من التقارب السليم القائم على العلم والمنطق ، لا الدجل والاندفاع غير المسئول .... شأن الحوار الواعى الذى حدث بين المسلمين والمسيحيين أثناء الكفاح الوطنى ، فكسبت قضية الحرية فى سورية خيرا كثيرا ، ولم يخسر الإسلام أى شئ ، لأن الصراحة كانت رائد الحوار ، فأيد القضية من أيدها من النصارى إيمانا بوحدة البلد ، وحفاظا على كرامة الإنسان ، ووقف بجانب الفرنسيين منهم من رأى مصلحته معهم ، أو كانت عصبيته الدينية أكبر من حبه للعدالة ..

وعلى ضوء هذه المقدمة ننظر إلى بعض الكتب التى دبجتها بعض الأقلام فى ديار الشام ، وبخاصة فى الربع الثانى من القرن العشرين ، مستهدفة توكيد إسلامية النصيرية ! .. لقد كانت دعاية غير واعية على الأقل ، أكدت أن أصحابها لم يحسوا بأى مسئولية نحو الإسلام ، فوقفوا عند القشور ، وغضوا بصائرهم وأبصارهم عن بواطن الأمور ! .. ولكن هذه الدعاية غير المسئولة وغير الواعية أسهمت إلى حد كبير فى التمهيد للمأساة ، التى صارت إليها سورية على أيدى الفئة التى حفزتها عقائدها الباطنية إلى إذلال المسلمين ، وتسليم الجبهة المنيعة إلى أعداء

الإسلام .. نكاية به وبأهله ! .

أجل لقد أسهمت تلك الدعاية الساذجة فى كل هذا البلاء ، عن طريق إقناع (الكبار) من زعماء السياسة فى البلاد أن النصيرية من أخلص عناصر الشعب السورى ، لأنهم مسلمون صميمون ، وعرب أقحاح ، فليس أحق منهم بالائتمان على زمام القوة المسلحة ، وبذلك فسح لهم الطريق إلى مراكز القيادة العليا ، على حين كان العميان من المسلمين نائمين على مهاد الاستسلام ! ..

والحق أن تبعة هذه المحن جميعا انما تقع على عاتق زعماء السياسة السورية ، الذين آمنوا بالبدعة القومية أكثر من إيمانهم بالإسلام ، بل لقد عُنوا بفلسفة القومية ، كما عرضتها النظريات الغربية ، وبخاصة عند الفرنسيين والألمان ، أكثر مما عنوا بحقائق دينهم وعقيدته ، التى لا يكون المسلم مسلما إلا بصحتها وسلامتها والتزامها .. ومن هنا تسللت الألغام إلى عروشهم ، وأُتوا من حيث لم يحتسبوا ، فإذا هم ، بعد سنوات قليلة من هذا المسلك الضرير ، مشردون تحت كل كوكب ، قد ركلتهم الفئة التى كانت موضع ثقتهم ، فأخرجتهم من مالهم وديارهم ، ثم أقبلت على دينهم اليتيم تعمل فى دعاته والمؤمنين به فتكا وتنكيلا ، فتدكُّ بعض المساجد على المصلين ، وتقتحم بالآليات بعضها الآخر ، لتحصد برشاشاتها القارئين والقائمين والركع السجود ! . وتدخل كتائبهم حماة وهى تردد وتنشد : هات سلاح وخد سلاح .. دين محمد ولى وراح .. وتشحن المعتقلات بعلماء الإسلام ، فيستأذن أحدهم مدير باستيل المزة النصيرى أن يبقى له مصحفه ليأنس بقراءته فى خلوة السجن ، فيجيبه بكل وقاحة : ألا تزالون متشبثين بهذا المصحف ، ونحن نريد أن نلقيه عن ..... !

ولقد كانت المحنة محتملة لو أن محاربى الإسلام ظلوا محصورين فى أشخاص الباطنية وحدهم ، ولكنها تجاوزتهم إلى عدد غير قليل من أبناء المسلمين أنفسهم ، أُخذوا بالتنشئة العلمانية ، وخضعوا لمدرسين أُعِدوا لهذه الغاية فى معامل التبشير وظلمات (التوجيه) الخفى ، فكانوا على دين الله أشد من مدربيهم أنفسهم ، إذ أصبحوا أيديهم التى بها يبطشون ، وأرجلهم التى بها يرفسون ، ومعاولهم التى بها يدمرون ! .....

ومن سورية ـ ولا فخر ـ انطلقت (جرثومة القومية) التى تلقاها (الرعيل

الأول) من محاضن المبشرين فى لبنان - كما يؤكد توينبى[1] - لتلقح أفكار الشباب الناشئ فى سائر بلاد العرب .. وكانت ككل دعوة باطلة محفوفة بكل المغريات التى تُروى غرور المراهقين ، وبخاصة أولئك الذين حُرموا الحصانة الدينية ، إذ حجبت عنهم أنوار الإسلام الحق ، فلم يعرفوه إلا إملاآت جافة لا تحرك ضميرا ، ولا تهز عاطفة ... فإذا بتلك الجرثومة تقتحم قلوب النشء فتعشش فيها وتفرخ ، ثم يُدفع هؤلاء عمدا إلى صفوف الجيش ، وإلى كليات الحرب ، ليكونوا فيما بعد قادة التحولات الاجتماعية ، التى سلبت أوطانها الأمن ، وفرضتْ على شعوبها أنظمة إبليسية حرمتها الاستقرار ، وصرفتها عن طريق الإيمان ، وشغلتها بالصراع الطبقى الذى انتهى بالذين أخذوا بها إلى أسوأ أنواع الحرمان .. ومع كل فواجعها الدامية لا تزال حتى الآن ماضية فى طريقها لإفساد بقية الأقطار العربية ، التى حفظتها حتى الآن ظروف غير مخططة ، من مخالبها الجهنمية ! . وتحت ستار هذه القومية المسمومة تحركت شياطين الباطنية توجّه وتنظم ، حتى انتهت إلى أن تكون هى - بالدرجة الأولى - مصدر معظم التقلبات الاجتماعية والسياسية التى نشاهدها ، ونحس دبيبها هنا وهناك وهنالك ... فكأن التاريخ يعيد نفسه ، فيسترد الوضع الذى صار إليه المجتمع العباسى أيام استفحال الباطنية ، وتسللها إلى مناطق النفوذ ، حتى استطاعت أن تفسد الثقافة ، ثم تفسد الأمن ، ثم تنتهى إلى تقويض الدولة ... وقد ركبت الباطنية فى سورية ولاتزال كل مركب فى سبيل تنفيذ مآربها الهادفة إلى ذلك معاقل الإسلام .. ولو كان فى هذه المراكب مايضل فى ظواهره إلى حد التناقض ! .

ولا أدل على ذلك من تسللها إلى كل عمل حزبى من شأنه أن يشارك فى كراهية الإسلام والسعى للقضاء عليه .. فهى من (الحزب السورى الاجتماعى) عصبه الحىّ ، وهى من (البعث العربى الاشتراكى) مُدَّخرته الدافعة ، وهى من الشيوعية الملحدة يمينها وشمالها ..

وقد علم الناس فى سورية كلها أن اليد الحديدية التى تقبض اليوم على مخانق الشعب السورى باسم البعث ، هى نفسها التى كانت لأيام خلت ترفع لافتة الحزب الأنطونى ، المناقض تماما للبعث ... وهى هى التى بدأت تحول سورية

(١) هذا ماذهب إليه فى حديثه المذاع مساء ٢١/٤/٨٨ من لندن وهو أحد /٥/ حلقات ...

اليوم إلى قاعدة شيوعية دولية لإحكام الحصار على الإسلام والحيلولة بينه وبين الانطلاق .

ثم وراء ذلك التسلل تلك الترتيباتُ السرية التي فضحها النصيرى النبيل صاحب منشور (وحيد العين) الذى سيطلع عليه القارئ آخر هذا الكتاب ، ومنه يرى أن القوم مستعدون لارتداء جميع الوجوه من أجل الوصول إلى أهدافهم الجهنمية .

وهذا يعنى أن تلك الطاقة المخربة إذا استمرت فى طريقه المشهود - لا سمح الله - فستنتهى إلى المصير نفسه الذى سبق إليه أسلافنا الغافلون فى القرن السابع ، ويومئذ لن ينفعنا تفكير ولا تدبير ، لأننا لم نحسن استعمال عقولنا فى الوقت المناسب ! ..

وبعد فقد كان من حق هذا الكتاب أن يحظى بمطالعة القراء قبل خمس عشرة سنة على الأقل ، وفى ظنى أن لو تم له ذلك لأمكن لسورية أن تتجنب الكثير من المآسي التى خاضتها خلال هذه الأيام السود ، إذ كان جديراً بأن يشكف لذوى الحل والعقد فيها هوية القوم ، الذين خدعوا بأسمائهم الإسلامية ، وبما كتبه عنهم المتملقون ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. وعلى تقدير أن هؤلاء لم ينتفعوا بهذا الكشف لانشغالهم بأهوائهم السياسية عن مسئولياتهم الإسلامية ، فقد كان متوقعا أن يهز الكتاب أعصاب المتآمرين من الباطنيين أنفسهم ، إذ يعلمون أن الأضواء قد سلطت عليهم ، فينسحبوا من المسرح نهائيا ، أو يتخوفوا عواقب حماقاتهم فيعدلوا عن مؤامراتهم ...

ولكن شاء الله أن يشغل متعهد نشر الكتاب عن تقديمه للطبع فى الظروف الصالحة ، ثم تتالت المفاجآت بسرعة لم تدع مجالا لإخراجه قبل اليوم .. ولعل فى ذلك حكمة للقدر نجهلها .. ولعل منها أن النكبات التى أنزلتها الباطنية بسورية أثناء هذه السنوات قد أعطت الكتاب أدلة جديدة من واقع القوم ، تدمغ كل من أراد المكابرة بالحجة التى لا ترد .

والكتاب مع هذا عرض سريع وجيز لحقائق كبيرة ورهيبة من حقها أن توقظ النيام ، وتفتح الأعين التى لاتزال قادرة على الرؤية ، عسى أن ترد سكارى الغفلة إلى حالة من الصحو يدركون بها واقع أمتهم ، فيحسون نحوها بعض واجباتهم .

إنها صيحة مذعور لايملك غيرها نذيرا لقومه بما يتهدد وجودهم ، وقد أراد الله أن يؤيدها بشهادة منصفين من صميم الباطنيين نسبا ومشيخة ، الشاعر العربى الكبير بدوي الجبل ، والكاتب المفكر الشيخ عبد الرحمن الخيّر ، إذ هالهما مايبيت أولئك المتآمرون من أهليهما لأهل الإسلام من كوارث تجعل الولدان شيبا ، فراحا يدقان ناقوس الخطر ليتخذ أولو البقية من الدين والتفكير حذرهم ، ويحزموا لمواجهة التبعات الكبار أمرهم ...

وحسبنا أننا بذلك نبرئ ذمتنا من جريمة السكوت على المنكر أمام الله الذى هو سائل كلًا منا قدم لدينه وأمته من خالص النصيحة بازاء هذه المحن الرهيبة .

وهو المسئول أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يوفقنا إلى العمل به خالصا لوجهه الكريم .

والحمد لله رب العالمين .

[illegible]

كان الإسلام تحولاً عاما تناول كل شئ من حياة الجزيرة العربية ، فأقر من أخلاقهم ماكان صالحا للحياة وللرسالة الإنسانية ، وأعلن الحرب على تقاليد موروثة من شأنها أن تحول دون وحدتهم وانطلاقهم إلى العمل الكبير .. فلما استعز الله برسوله[1] كان البناء ناهضا على أسسه الراسخة ، فما على خلفائه من القادة والرعية إلا المضى فى حركة البناء ضمن المخطط الذى وضع تصميمه على أساس يستوعب جهود الإنسانية كلها إلى نهاية الحياة .... وبذلك لم يتركهم إلا «على بيضاء ليلها كنهارها .... من زاغ عنها هلك ....»[2]

ولم يكن الكيان التحولى الجديد محصورًا فى جانب من الحياة دون جانب ، فهو كيان كامل يتولى بالتنظيم أعلى القمة كما يعنى بمركز القيادة ، فلا يفوت حسابه جزء ولا كل ... ومن أجل ذلك كان للعرب حياة ووحدة ونجاة ومجدا ... أحياهم من موت ، ووحدهم بعد تفرقة ، وأنجاهم إلى البر بعد أن أوشك موج الفتنة أن يبتلعهم ، ثم أعدهم لسيادة الدنيا بما وضع فى أيمانهم من مشاعل الهدى ، الذى يحدد مهمتهم بأنها « إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[3] وكانوا يعرفون ماأعدهم له الله ، إذ يقرؤون من بشرياته فى الكتاب الحكيم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنَّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولَيمكنَنَّ لهم دينَهم الذى ارتضى لهم .... » ولكن القرآن الذى يبشرهم بكل هذه العظمات هو نفسه الذى كان يحذرهم من الفتن التى سيتعرضون لها من ناحية التنافس على الحكم ، فيقول لهم مخوّفا مهولا : « فهل عسيتم أن توليتم أن تُفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ! . » ولقد حقق الله وعده للعرب فاستخلفهم فى الأرض يتبوؤون منها حيث يشاؤون ... وحدث كل ماحذرهم إياه من ذلك التناقض الذى فرق وحدتهم ، فزجهم فى معارك داخلية كادت تذهب بكل وجودهم السياسى والحضارى ، لولا قوة الأساس الذى قام عليه هذا

---

(١) استعز به = توفاه ..

(٢) من خطبة الرسول (ص) فى حجة الوداع ..

(٣) من كلام ربعى بن عامر لرستم قائد الفرس .

الكيان ، فظل يمُدّهم بغذاء البقاء حتى قطعوا مابينهم وبينه من وشائج أو كادوا ...

أصابــع الشعوبيــة

وقد بدأ الخلاف سياسيا بحتاً حول إدارة الدولة ، ثم مالبث أن أخذ صبغته الدينية فإذا هو يولد الاجتهادات هنا وهناك ، وتقوم على هذه الاجتهادات مذاهب تبحث في الخروج والقعود والخلافة، والحكومة الفعلية والحكومة الشرعية .. وما إلى ذلك من أحكام كان طبيعياً أن يتعرف الناس رأى الإسلام فيها ، من خلال المدّ الفكرى الذى ابتعثه فى حياة الناس .... لامن خلال الفتن التى عَمَّتهم فخضت وجودهم خضا ، حتى أصبح كل واحد مضطرا لتعيين موقفه منها ...

وما كانت المؤامرات المتربصة بالعرب ودينهم الدوائر لتفوت على نفسها فرصة العمل فى مثل هذا المضطرب ، فإذا هى تتحرك تمد الفتنة بالسموم التى لاتقتل الأجسام ولكنها تفسد العقيدة ... التى هى مصدر كل قوة لهذه الأمة ، فإذا فسدت كان يسيرا أن يفسد بها كل شئ ...

وجاءت الضربة الأولى من هذا الباب على يد السبئية[1] التى اخترعت أول مااخترعت قضية الوصى .. ثم تسللت إلى تأليه على .. وبديهى أنها لم تحول أنظار الأغرار إلى عبادة على حبا به ولاتقديرا لفضله ، ولكن وضع على من حيث قرابته لرسول الله كان أكثر جاذبية للقلوب ، فاستفادت من هذه المناسبة ، ولو وجدت هذه الظروف متوافرة فى خصم على لما أحجمت عن توجيهها نحوه[2] ... وسرعان ماحفرت الفتنة الدخيلة أنفاقها فى قلوب البسطاء والسُّذَّج ، فإذا حملة

(١) أتباع عبدالله بن سبأ ، (كان يهوديا من صنعاء أظهر الإسلام عهد عثمان وتنقل فى الكوفة والبصرة والشام ومصر ، وهو أول القائلين بفكرة الوصي ، وخلاصتها أن لكل نبى وصيا وأن عليا وصى محمد (ص) – من فجر الإسلام ص ١٣٦ – وهؤلاء هم أول القائلين بإلاهية على (رض) وقد جاء قوم منهم إلى الإمام نفسه وقالوا له « أنت الله » .. فأمر بالنار فأججت ثم طرحهم فيها فلم يزدادوا إلا إصرارا على ضلالتهم ، وجعلوا يقولون وهم يقذفون فى النار : لا يعذب بالنار إلا الله ! . انظر الملل والنحل لابن حزم . باب (شنع الشيعة) ج ٤ .

(٢) كان القول بإلاهية على أول فتق أحدثه المتآمرون فى عقيدة التوحيد على يد اليهودى ابن سبأ ، ثم تتالت الفتوق بعد ذلك حتى وجد من الفرق من يقول بإلاهية الموالى والمفاليك من أوباش الناس ... ومن هنا يتضح الهدف الذى يرمى إليه أعداء الإسلام من هذه الضلاله التى ماكانت لتتهم بها عليا حبا بعلى ...

انظر نفس المصدر الآنف ص ١٤٢ و١٤٣ ج ٤ طبعة صبيح ٢٣٤٧ .

مركزة تشحن الوسط الإسلامى بمئات الألوف من كاذب الأحاديث منسوبة إلى رسول الله .. ومنها مالو أخذ به الناس لعفى على الإسلام كله ، ولم يقفوا عند هذا الحد فمدوا أشراكهم إلى القرآن نفسه يشيعون حوله الريب ، إذ يزعمون أن جامعيه من الراشدين قد استبعدوا منه سورا وآيات تصرح بحق على فى الخلافة[1] . ثم علموا أن مثل هذه الحيلة لايمكن أن تروج فى أوساط الذين يملكون مسحة من الفهم ، بعد أن قرأوا فى الكتاب الحكيم نفسه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) لذلك أخذوا طريقهم إلى معانى القرآن يخلقون لها التأويلات المسمومة ، بعد أن أوقعوا فى خلد السذج أن للقرآن ظاهرا وباطنا ... وأن حقيقته فى باطنه فقط ، وأن مفاتيح هذا الباطن فى صدورهم وحدهم ، أودعهم إياها الله فلا سبيل إليها لسواهم من الناس .... فهم إذن سفينة الله فى الأرض من لاذ بها نجا ومن فارقها هلك .... وقد أخذ عليهم العهد أن لايبيحوا هذه الكنوز إلا من كان عليها أمينا ، فهم منذ ذلك اليوم لايطلعون أحدا على ماعندهم إلا بقدر ، وبعد أخذ الغليظ من العهود والمواثيق .. ! وكان نجاحهم فى هذه المؤامرة موقوفا على تصديق الغافلين بهذه الأضاليل الحالقة ، إذ يقيمون بها سدا بين حقائق الإسلام وبين مصدقيهم فيشك هؤلاء بأنفسهم ، ويعطلون مواهبهم ليجعلوا مصيرهم كله بأيديهم وحدهم ! .. وفى هذه الحالة لايتعذر عليهم أن يحولوا العقيدة الإسلامية الصافية إلى معادلات معقدة من التعاليم الزرادشتية والمانوية والبوذية والسامرية والصابئيّة .. فيخلقوا لهم فى قلب المجتمع الإسلامى ركائز جبهة تشغله بمشكلاته الداخلية عن رسالته الإنسانية . !

---

(١) إن كتاب (الكافى) للكلينى وهو من أكابر علماء الشيعة وأقدمهم وأوثقهم عندهم قد تبنى هذه الخرافة الهدامة ، زعم أنه كان لدى فاطمة (ع) مصحف يبلغ ثلاثة أمثال المصحف المعروف ، وليس فيه حرف منه — ص ٢٣٨ — ط ١٣٨١ هـ ويقول عن لسان أبى جعفر : ماادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذب ، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا على بن أبى طالب والأئمة بعده .. — ص ٢٣٨ ط ١٣٨١ هـ وهو يروى هذا الخبر عن جابر الجعفى الذى قطع أئمة المسلمين كأبى حنيفة بأنهم لم يروا أكذب منه ! .. ولعل من غرائب الأمور أن يزورنى ذات يوم بعض كبار علمائهم ، ولما أخذوا — على دأبهم — بالكلام عن ضرورة التوحد قلت لهم : لابد قبل الدعوة إلى التقارب من إعادة النظر فى بعض كتبكم التى تهدم كل ما نحاول بناءه فى هذا الصدد .. وضربت المثل على ذلك بكتاب (الكافى وما ينطوى عليه من ثوالث الأثافى .. فقال كبيرهم : إن الكافى كغيره من أسفار الشيعة المتعلقة بالحديث فيها الصحيح والفاسد ، ولم يتح لها حتى الآن مثل ما أتيح لكتب السنة من الناقدين الذين ينقلونها من هذه المشوهات . » وحبذا لو أنهم يعلنون هذا الرأى فى مؤلفاتهم ، ثم يتقدم من جهابذتهم من يتولى تصفية هذه السخطات التى تؤلف بنفسها أكبر العقبات فى طريق التقارب ! .....

وكما هو الشأن فى كل جيل ، حيث يتوافر دائما التابعون لكل ضارب طبل ، وجد المستجيبون لهذه المعميات .. ثم مالبث هؤلاء أن وجدوا أنفسهم تلقاء طبقة من كهنة الدين احتكرت فى يدها مفاتيح المعانى الإلهية .. فلاحظ لأحد منها إلا بمقدار ما يسمحون له ! .. واختلفت هذه الطبقة نفسها فى مسالك العمل مع اتفاقها على مبادئه ، فإذا هناك فرق وفرق ، ومع أنها جميعها تقسم الأتباع إلى طبقات : أئمة وسوقة ، وعقالا وجهالا ، وشيوخا وعاما ، وملهمين ومحرومين .. إلى آخر ماهنالك من التقسيمات الطبقية ، مع ذلك فقد وجد بينها من يقسم الأتباع إلى أهل للديانة ، ومحرومين منها ... فالرجال وحدهم هم الجديرون بهذه الأمانة ، أما النساء فلاحظ لهن بها لأنهن لايستطعن حملها ! .. وحتى الرجال أنفسهم لا يملكون الحصول على هذا الحق إلا فى حدود معينة من السن والعقل والاستعداد للكتمان المطلق ! .. وإلا فقد يتخطى الواحد منهم حدود الهرم دون أن يبلغ السن التى تؤهله لهذا الشرف !! .

وما هى إلا مراحل معدودة حتى كان هناك مجموعات من الشروح الباطنية لمعانى القرآن يتناقلها كبار الشيوخ ، مثلما كان كهنة المعابد الفرعونية يتناقلون أسرار الصناعات ... شروح لا مستند لها من علم أو منطق ، إلا ما أراده أولئك المضللون ، فهى كرموز الشفرة لكل شيخ فى حلها معجمه الخاص ، وعلى الأتباع المساكين أن يأخذوا مايعطون منها دون تفكير أى تفكير أو اعتراض ! ...(١)

حضر بشار بن برد مجلس المهدى وكان هناك رجل باطنى من موالى المهدى هو (المعلى بن طريف) أراد أن يعجز بشارا فتلا قول الله تعالى : « وإذ أوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . فاسلكى سبل ربك ذللا .. يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . » ثم سأل بشارا قائلا : ياأبا معاذ من النحل هؤلاء ؟ .. وما الشراب الذى يخرج من بطونها ؟ !

---

(١) فى رسالة (تنزيه الذات ...) للشيخ محمد الكلازى الأنطاكى صورة دقيقة للفوضى التى انتشرت بين شيوخ النصيرية حول رموز العقيدة وموضوع الظهورات ، تدل على أن القرن الحادى عشر الهجرى كان مسرحا لمخاض طويل عميق فى هذا المضمار ، كان جديرا أن يتجه بالقوم فى طرق أخرى لولا جهود بعض المشايخ كشأنه هو فى رسالته التى اندفع لكتابتها تحت ضغط الخوف من تلك الانحرافات ! ...

فقال بشار = أما النحل فهو النحل .. وأما الشراب فهو العسل ...
فأرسل الشيخ الباطنى ضحكة الظفر ثم قال : هذا شئ ليس من اختصاصك يا أبا معاذ .. إن النحل بنو هاشم ... أما الشراب الخارج من بطونهم فهو علمهم ! .. » وضحك بشار ... وعلى دأبه فى الصراحة قال : جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بنى هاشم ! .

هذه عينة من تلك التفاسير الباطنية ... وللقارئ أن يثق بأنه لن يقع فى تأويلاتهم على شئ يتجاوز هذا الضرب من التفكير الغريب ...

ولا عجب فى هذا فالقوم لا يقيمون وزنا فى تفسيراتهم لا للغة ولا للمنطق ولا للتاريخ ... لأنهم عالمون أن « كنوز علمهم » لا تفتح إلا لأولئك المسحورين الذين طلقوا مفاهيم اللغة والمنطق ، فلا شغل عندهم لما آتاهم ربهم من المواهب .

فتــق وفتــوق =

وقد يكون من الطرافة أن يستعيد العربى اليوم مثل هذه « الأساطير » من قبيل التندر ... وربما كان من الممتع أن يحدث بها الناس باعتبارها من غرائب عرفها تاريخنا فى ماضيات الأيام ، ثم طواها إلى غير رجعة ... ولكن من المحزن المخيف معا أن هذه « الأساطير » لا تزال حتى اليوم ماثلة فى بعض أنحاء مجتمعنا ، عاملة فى تهديم كياننا ، كشأنها فى سالفات العهود تماما .. ولقد كان الأمل كبيرا أن يؤدى انتشار التعليم فى أيامنا هذه إلى تصفيتها بصورة نهائية ، ولا سيما أنها مصنوعة فى الظلام ، ومُعَلَّبة فى زوايا الظلام ، فلا قدرة لها على الظهور فى النور ....

ولكن ... وما آلم (لكن) أحيانا ! ... إن الذى نحسه من الواقع غير ما كنا نحلم به ... وهذه الجراح التى لا تزال تفتحها تلك « الخزعبلات المقدسة » فى كياننا الاجتماعى لأكبر دليل على أننا تلقاء تيار جديد من شرورها لا يجوز إهماله أو تجاهله إذا كنا لأمتنا وملتنا ورسالتنا مخلصين ....

وأحب هنا أن أحصر كلامى موقتا فى أحد هذه المجالات ، وأعنى بذلك المناطق التى يسكنها مواطنونا النصيريون من الساحل الشامى[1] ....

---

(١) سأقتصر على استعمال كلمة النصيرية عند الحديث عن هذه الفرقة لأنها الاسم الذى عرفت به فى التاريخ ، نسبة إلى محمد بن نصير ، ويكنى فى إحدى السور الست عشرة (أبا شعيب) ، ويقول عمر عنايت فى كتابه (العقائد) إن ابن نصير هذا كان تابع الحسن العكسرى ... وقد وقعت فى يدى ورقة سرية عثر بها بين أوراق

لقد شاء الله أن ترث هذه المناطق ، وخاصة فى جبال اللاذقية ، قدرا هاما من تركة التفاسير الباطنية ، ساعدت على تركيزه فترة من العزلة أحاطت بهذه الأمكنة زمنا غير يسير ، فكادت تقطع مابينها وبين البلاد ، مما أدى إلى تخير هذه المفاهيم إلى حد جعل لهذه الجماعات المعزولة طابعها المميز بالنسبة إلى سائر السكان .. وكان للسياسات المحلية والأجنبية يدها الطولى فى استغلال هذا الوضع الشاذ ، إذ راحت تضرب الجبل بالمدينة والمدينة بالجبل ، حتى جاء حين من الدهر لم يبق فيه أى محل للثقة بين هؤلاء وأولئك .. فلما أطال المستعمر الفرنسى على هذه الديار وجد التربة كأصلح ما يكون لبذوره الخبيثة ، فدق أسافينه هنا وهناك ، ونثر جنوده من المبشرين فى أكثر مناطق الجبل حساسية وفقرا ، فراحوا يفرقون بين الأخ وأخيه ، ويؤججون نيران الفتن بين العشيرة الواحدة ، حتى انتهى الأمر بعض الأحيان إلى ضروب من المذابح والمحارق لم يعرف لها التاريخ مثيلا إلا فى الندرة .. وحسبك أن تعلم أن أسرة فى إحدى هذه العشائر ، أحرقت بهم الدار فى إحدى الليالى ، ثم أحيط بها فلم يترك لأحد سبيل لمغادرتها حتى أتت النيران على الجميع .

ولم يقف المستعمر فى استغلال بذور الباطنية عند هذا الحد ، بل عمد إلى الإفادة من فكرة تأليه الأشخاص ، فإذا هو يدعم متأله الجوبة – سلمان

كتاب استعير من أحد النصيرية ، وعليها بيان بأسماء الأئمة وبإزاء كل منهم اسم رجل اعتبر بابا له ، ومن ذلك أن وضع اسم (أبى شعيب محمد بن نصير البصرى النميرى – كذا –) بجانب اسم الحسن العسكرى بوصفه بابا له ، على أن بعض كتبهم السرية تسميه البكرى أما تسمية هذه الفرقة بالعلوية فشئ لا تقره اللغة ولا المنطق لأنه عمل فردى اخترعه رجل من نصيرية اللواء هو المدعو (محمد أمين غالب الطويل) الذى أول من أطلقه على هذه الطائفة عام ١٩٢٤ حين سمى كتيبا له (تاريخ العلويين) والمعروف تاريخيا أن كلمة العلويين والعلوية إنما هى اصطلاح عرف به أهل البيت النبوى من ذرية على ، فحيثما أتت هذه النسبة انصرفت إليهم وحدهم فى أنحاء العالم الإسلامى جميعا ، وليس فى الأرض أحد يطلق اسم (العلوى) على (النصيرى) خارج الحدود السورية ، وهذا وحده كاف لرد الأمر إلى نصابه .. ثم لا ننسى أن للاستعمار الفرنسى يدا فعالة فى خلق هذه التسمية التى ولدت فى نفس الظروف التى خلقت فيها دولة (العلويين) .. فلتذهب إذن مع الفرنسيين ! ....

وقد درج بعض الذين كتبوا عن الفرق أن يطلقوا على هؤلاء وصف الرافضة ، كما فعل أحد شيوخهم الذى أشرنا إليه فى المقدمة الأولى ، وهى نسبة عامة يشترك فيها مجموع فرق الشيعة الذين رفضوا خلافة الشيخين ونُبز بها الذين انشقوا على يزيد بن على بن الحسين (رض) بسبب ترحمه عليهما . ولذلك لزم التفريق بينهم وبين شركائهم فى الوصف ، وليس ثمة اسم مميز لهم بحق سوى (النصيرية) الذى لا يستعملون سواه لتعريف أنفسهم فيما بينهم .

المرشد – بكل ما أوتى من قوة .. بخلاف ما صنع الأميركيون إذ قضوا على ألوهية الميكادو وبعد احتلالهم جزر اليابان – ثم أخذ يجمع حوله الأتباع ، ويطلق يده في الاستيلاء والتحكم يفعل ما يشاء ... وتمكين الوهم من هؤلاء الأغرار لم يتورع كبار ضباطه عن السجود لهذا المشعوذ على مشهد من قومه ... !

وهكذا استطاع الفرنسيون أن يتكئوا على هذه النزعات الباطنية ، فيستثيروها إلى أبعد حدودها ... حتى ليدفعون أعوانهم لإثارة الأحقاد القديمة ، بغية خلق مذابح تمكن لهم من استبقاء سيطرتهم على سورية كلها ... كلما وجدوا سلطانهم الاستعمارى مهددا بالحركات الوطنية .. !

وكما صنعوا في الجزائر في مايو ١٩٣٠ يوم أصدروا الظهير المشهور ، الذى أرادوا به انتزاع البربر من حظيرة الإسلام ، فأقاموا لهم المحاكم الخاصة ، وحاولوا إحياء ما اندرس من غابر وثنيتهم ... هكذا صنعوا حين أقاموا للنصيريين قضاءهم المذهبي الخاص ، ثم دفعوا بعض المأجورين إلى خلق تاريخ لهم خاص ، ثم راحوا يستأجرون الوقادين لإحراق البلاد ... ولم يكن عسيرا عليهم أن يجدوا ذات يوم من جهلة المسلمين من يؤجر نفسه لهذه الأغراض ، فإذا هم يبدؤون في اللاذقية عام ١٩٣٢ حركة جهنمية من التناحر الطائفي ، لو قدر لها أن تحقق لأثقلت البلاد بجراح لا تضمد .. ثم بعثوا رسلهم يومئذ لحشد جنود الشر في أنحاء الجبل ، كى تعم المعركة « حكومة اللاذقية » من أقصاها إلى أقصاها ! .. ومن المرغب أن يسهم آنذاك في هذه الحركة عدد من الشيوخ استطاع الفرنسيون أن ينتزعوا منهم طائفة من الفتاوى كان ممكنا أن تحول البلاد إلى رماد .. ولعلها المرة الأولى التى يكشف فيها الستار عن قلب هذه المؤامرة ، عندما نصرح هنا أن واحدا من الشباب اليقظ المخلص قد قيضه الله لإطفاء الفتيل في لحظة الخطر ، وكان ذلك ساعة وقعت يده على تلك الوثائق الشيطانية بنصها الأصلى وتوقيعات مصدريها ، وذلك في مكتب محام شهير في اللاذقية ! .. وبفقدان هذه الوثائق شعر أصحاب الفتنة يومذاك أن خطتهم قد انكشفت فلا سبيل إلى تنفيذها .. وأن العناصر النظيفة ، من العاملين في حقل القضية الوطنية ، لابد عاملون لإخماد هذه النار بكل ما أوتوا من قوة .

ولم يكن هذا البلاء هو كل ما جرته الباطنية على أمتنا ، فقد حدثنا التاريخ بعشرات الكوارث كادت تدفع بهذه الأمة إلى نهايتها أيام الغزو التتارى

والصليبى ، ولم يكن مصدرها سوى هذه الألغام التى بثتها الشعوبية الباطنية فى طريق المدافعين عن الإسلام .. وما أحسب قارئا لتاريخ هذه البلاد ينسى المؤامرات الجهنمية المتعددة التى حاكتها الباطنية لاغتيال صلاح الدين .. فكانت نجاته منها فى كل مرة أعجوبة تؤكد صحة ما كان يقوله هو من أن الله يؤخر وفاته ليحقق به عملية الإنقاذ .

والذى يخشاه المخلصون هو ألا تكون هاتيك الرزايا كلها آخر ماقدر للباطنية أن تلعبه من أدوار فى حياة هذه الأمة .. مادامت جذورها السامة تتنفس فى أعصاب الأجيال من ضحاياها هنا وهناك .. ولا عجب ، فإن المدقق فى تاريخ الحركات الباطنية وفرقها منذ مقتل الخليفة الثالث حتى مطلع القرن العشرين ، يتبين له بشكل قاطع رهيب أن هؤلاء لم يشاركوا قط فى أى عمل إسلامى لا جماعات ولا أفرادا ، بل كان عملهم الوحيد هو إثارة الفتن داخل الكيان الإسلامى ليحولوا بذلك دون انتشار الإسلام فى العالم . ولعل هذا وحده كاف للدلالة على ما وراء هذه النزعات من عوامل جهنمية مركزة ..!

ثم هل ينسى الناس أن كارثة بغداد ٦٥٦ إنما حيكت بيد الوزير الباطنى ابن العلقمى ومساعده ابن أبى الحديد والرافضى الكبير جدا النصير الطوسى ، الذى ما زال يتزلف إلى هولاكو بالكيد للمسلمين والإيقاع بهم حتى أصبح مستشاره المفضل .(١)

معركة فى القمر =

قبل ثمانى سنوات ، وفى أحد المصايف المتواضعة من قضاء طرطوس ، شكا إلى ذات يوم جماعة من معارفى القرويين أحد أبنائهم ، وهو من طلابى فى ثانوية طرطوس ، وكان مما قاله كبيرهم فى شأن هذا الطالب = لقد أصبحنا نخشى على أبنائنا مدارسكم ياأستاذ ...

قلت = خيرا إن شاء الله ...

قال = لقد سمعنا الساعة هذا الوقع يطعن على مقدساتنا طعنا قبيحا ..

---

(١) شاء الله أن يتأخر بنا الأجل حتى رأينا أحفاد العلقمى والطوسى يسلمون حصون الشام التى ماكان يتوقع لها أن تُفتض إلى أحفاد عبدالله بن سبأ ، دون أن يطلق فى الدفاع عنها رصاصة واحدة ! .. أما كيف حدث هذا ففى منشور (وحيد العين) .. آخر الكتاب الجواب الذى يحير الألباب !..

قلت = أعرف هذا الفتى من المشكورين على تهذيبهم ، فما الذى أتاه ؟...

قال الشيخ = لقد زعم أن القمر كوكب لا يختلف بشئ عن هذه الأرض سوى أنه لا نبات فيه ولا ماء ! ....

ونفذت إلى ما فى نفس الشيخ ، فعلمت موضع الطعن الذى ينسبه إلى الطالب ، فالقضية ليست قضية كوكب يختلف فى شأنه ، ولكنها قضية عقيدة من مخلفات الباطنية تتململ أمام حقائق العلم ... ولم أرض لنفسى أن أكون أقل صراحة من تلميذى فقلت = « إن القمر لا يقع تحت مقاييسنا الساذجة حتى نحكم عليه ، وإنما نتعرف حقيقته من طريق الخبر الإلهى ، أو طريق النظر العلمى ... فلنرجع بأمره إذا إلى القرآن أو إلى العلم ... »

قال الشيخ = حسنا .. فماذا يقول العلم ؟ ... قلت = إن المكبرات الكاشفة تثبت ما ذهب إليه ابنكم ... وهذا لم يعد سرا ، ففى وسع أى كان أن يتبين بنفسه هذه الحقيقة سواء النظر إليه من خلال مكبر ... أو بالنظر إلى رسومه المأخوذة بوساطة هذه الأجهزة .. »

وكان الجواب مفاجأة غير سارة ، فعلت الكآبة الوجوه ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم عاد الشيخ إلى الكلام فقال = « طيب والقرآن ما موقفه من هذا الأمر ؟! »

قلت = إن القرآن لم يشرح مركبات القمر ولم يتحدث عن حجمه ، ولكنه ذكر الحكمة من خلقه ، ووصف صلته بالشمس فقال = « ويسألونك عن الأهلة ... قل هى مواقيت للناس والحج ... » فهو هنا ينبهنا إلى حركة الكواكب وأنها مقاييس للزمن لنعلم عدد السنين والحساب ... ثم قال = « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا ... » فهو هنا أيضا يخبرنا أن القمر يعكس لنا ضوء الشمس فنتلقى منه النور بالوساطة ، لأن السراج هو بالعادة مصدر النور ... »

وسكت لأرى وقع حديثى ... ثم وجدتنى مضطراً إلى إرسال الكلمة الأخيرة فى الموضوع فقلت = هناك اعتقاد موروث يزعم أن القمر كائن حى مقدس ... ولكنه زعم لا مستند له من عقل أو علم ، ويظهر أنه أخذ بالتسليم دون مناقشة ، وهانحن أولاء نقرأ فى القرآن قول الله تعالى « وسخر لكم الشمس والقمر

دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار .. » فإذا كانت هذه الأشياء كلها مسخرة لنا بفضل من الله ، فنحن إذا أفضل منها جميعا ، وبذلك يكون كل تقديس لها من قبلنا سقوطا بمنزلتنا الإنسانية إلى المكان الأدنى ... ولهذا يقول الله محذرا من عبادة هذه الكواكب « .. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهنَّ إن كنتم إياه تعبدون . » ...

وتركت القوم يومئذ يموج بعضهم فى بعض ... ومضيت إلى البيت وأنا موقن أننى وضعت لغما فى أساس تلك الأسطورة ! .

ولقد حدث قبل أيام أن غرفة الإدارة فى إحدى المدارس كانت تضم بعض المعلمين والمعلمات أثناء إحدى الفرص بين الدروس ، وكان حديث الصاروخ الروسى الذى أخذ مداره حول الشمس لا يزال جديدا يملأ جواء الأندية والشوارع ، وقد شُغِل به هؤلاء فهم يرسلون حوله تعليقاتهم المتباينة . ويظهر أن المدير ، وهو من الباطنيين ، كان يدير هذا الموضوع فى نفسه ، فلم يستطع أن يمنع لسانه الانطلاق بهذا التعليق الغريب : « الآن ينتهى مفعول الدين .. إذ أثبتت هذه الكشوف كونه مجموعة من التلفيقات ! .. »

وكانت مفاجأة أدهشت السامعين .. ولكن معلمة من بينهم تمالكت فقالت = هذه الكشوف إنما تلغى الديانات الباطلة فقط ... أما الحقائق الإلهية فلا تزداد بها إلا إشراقاً . » !

قال المدير : والقمر .. والشمس .. ألا ترين ! ... إن الكشف الجديد يؤكد أنهما من الجمادات المرسلة فى الفضاء أهذا مايقوله القرآن ... والمفسرون !! ... »

فقالت المعلمة = وأى جديد فى هذا؟ .. أليس القرآن قد أعلن هذه الحقيقة كاملة منذ نزوله حين يقول = « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . والشمس تجرى لمستقر لها .. ذلك تقدير العزيز العليم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون . » ! . فالقمر إذاً كوكب سيار يتحرك فى مساره المخطط ، فيبدو حينا بدراً وحيناً هلالا .. لا يعدو مداره إلى منطقة سواه .. والشمس تتحرك فى مجال خاص بها لا تتجاوزه إلى غيره .. وكل ذلك فى ترتيب حكيم قدر فيه كل شئ من لدن العزيز العليم ... فأين ياأستاذ عدوان العلم على هذه الحقيقة ! .

ويبدو أن الأستاذ قد خمدت ثورته بعض الشئ ، فتذكر أنه انطلق إلى أبعد مما يجوز له ، فطوى الحديث دون أن يقول فيه الكلمة الأخيرة ... ولعلك قد فطنت إلى رأى القوم هنا وهناك فى موضوع القمر ! ...

فالرموز الباطنية لا تؤمن بما يقرره العلم فى شأن الأفلاك ، لأنها استمدت معلوماتها الفلكية أصلا من مزاعم الصابئة التى تقول بحياة الكواكب ، وقبست من تخليطات الفلاسفة الإغريق الذين يتكلمون عن العقول الفلكية .: ثم ضمت إلى هذا وذاك ما ابتكرته من تقولات توهم تفاوتها فى تطبيق العقائد الباطنية على هذه الأرض ! .

وطبيعى أن يكون للشمس والقمر فى مقاييس الباطنية امتيازات ليست للكواكب الأخرى ، بالنظر إلى أثرهما المباشر على الأرض ومن عليها وما عليها ، لذلك جعلتهما مكان التقديس الأسمى ، ثم اختلفت فى تعيين أفضلهما ، فكان من سكان الجبل من يجعل الشمس هى المظهر الإلهى لعلىٍّ ، على حين يجعل القسم الآخر مظهره القمر دون الشمس[1] .. وليتقدم علم الفلك ما وسعه التقدم ، حتى يتبين عن كثب مركبات الكواكب ، وليتطور علم المادة ما أمكنه التطور حتى يدفع الإنسان إلى التطور بالنزول على القمر وغيره من هذه الكواكب ، فليس لشئ من هذا أن يمس قداسة الأحكام الباطنية ، لأنها هى « الحقائق » المسلمة ! . وليس كل اكتشافات البشر بالنسبة إليها سوى عبث أطفال ! .. ولقد كان معقولاً أن

---

(١) نحن نصور مفهوم القوم كما هو اليوم للشمس والقمر ، وسترى فى بعض نصوص المخطوطات التى نثبتها فى الجزء الثانى من الكتاب أن الشمس هى أبو عبيدة بن الحارث ، والقمر هو مصعب بن عمير ، ولا ندرى لهذا الاختلاف من تفسير سوى أن يكون انحرافا طارئا بَعُدَ بالقوم عن أصل تعاليمهم .

وقد سألنا صديقا من المهتدين عن ذلك فأكد لنا وجود هذا التفاوت بين الأصول القديمة والواقع الحديث عندهم ، وزاد على ذلك أن تفسير المتأخرين منهم لموضوع الشمس والقمر يعتمد فى الأصل على بعض نصوصهم المتوارثة كالذى يقول (إن البارى عدل فى عالم الأبشار – الأجسام – بظهوره فى صورة بشرية ... وعدل فى عالم الأنوار بظهوره فى صورة نورية ....)

وكالنص الآخر الذى يقول = « أشهد أن الصورة المرئية هى الغاية الكلية ، ليست كلية البارى ولا البارى سواها ، بل هى هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً وبياناً لا هو هى كلًا وجمعا وإحاطة وحصرا ..) ...

وهكذا وجد المتأخرون فى مثل هذه النصوص ماذهب بهم إلى اعتبار الشمس أو القمر موضع الظهور الإلهى ، مخالفين بذلك مذهب أسلافهم من مؤسسى النحلة ..

وعلى كل حال ففى تضاعيف الجزء الثانى من مثل هذه النصوص ما يزيل كل غموض عن هذه القضية – انظر ص ٧٦ –

تستمر هذه الموروثات الصماء فى سيطرتها على جماهير الجبل إلى الأبد ، لو بقيت للجبل عزلته الأولى ، التى كانت تساعد الشيوخ على تحصينه من حرية المعرفة ... أما وقد انتشرت المدارس فى كل مكان ، وأصبحت الحياة ميدان تنافس على العمل الذى لاتصلح فيه إلا الشهادات ، واستحال حبس هذه الأجيال من شباب الجبل عن المشاركة فى جوانب النشاط البشرى العام ، فالموروثات المقدسة مهددة إذن ، واستمرار السلطان الكهنوتى على حياة الناس أصبح قضية زمن ، ومن هنا كانت المدرسة آفة - بنظرهم - ولكنها آفة لابد منها ، لأن دوافع الظروف العامة أقوى من أية مقاومة ترمى إلى الاحتفاظ بالجمود القديم ! .

ولقد جربت المرشدية[1] أيام سلطانها إغلاق مناطقها فى وجه التعليم ، وشجع ذلك بعض الكبار الآخرين من رجال الجبل ، فقاموا بالمحاولة نفسها .. غير أن قذيفة التطور كانت أنفذ من كل مقاومة ، فمضت الحركة التعليمية فى سبيلها ، وهاهى ذى المدارس الابتدائية تنتشر فى كل مكان من الجبل لاتكاد تستثنى قرية واحدة .. هذا عدا المدارس الثانوية والمتوسطة الخاصة التى تقوم اليوم فى بضع مناطق من الجبل والساحل ، وقد أنشأ بعضها شباب من أبناء الشيوخ أنفسهم ، وهى تخرج فى كل عام عددا غير قليل من الذين يتابعون دراستهم فى الجامعات فضلا عن الآخرين الذين يأخذون سبيلهم إلى الوظائف والأعمال الحرة ..

وليس لهذا من تفسير سوى أن الجيل الجديد بدأ يتحرز نهائيا من السلطة الكهنوتية ... ليستعيض عن تعاليم الشيوخ المبهمة المعطلة للفكر بقواعد السلوك المدرسية ، التى لاتخضع إلا للقوانين الرياضية ..

ومن هنا كان موضوع القمر بين أولئك الشيوخ وذلك الطالب ، ثم بين المدير وتلك المعلمة إنما يمثل جانباً من معركة واسعة ، ستنتهى حتما بالقضاء على الكثير من التعاليم السرية التى لم تعتد مواجهة الضوء قبل هذه الأيام !

لنتكلم بصراحة

حدث هذا منذ سنة ١٩٦٠ م

وفى بيت من سوق الداية فى اللاذقية ...

---

(١) سيأتى الحديث عن المرشدية فى أواخر هذا البحث .

وكان عدد الحضور لا يقل عن خمسة عشر شخصا ، نصفهم شيوخ ووجهاء من هذا الجبل النصيرى ...

وكان الحديث حول الإسلام .... فقد رغب هؤلاء السادة فى الاجتماع بنا للبحث في إيجاد تعاون أخوى يساعد على إنعاش الفكرة الإسلامية فى أوساطهم ...

وتكلم شيخ مقدم فيهم ، وكان مما ذكره أن القوم مسلمون كأتم ما يكون الإسلام .. الله ربهم ، ومحمد نبيهم والقرآن كتابهم ، وكل ما يقال فيهم غير ذلك فهو كذب وعدوان .

وكدأبى الذى لا أملك تغييره قلت : أهو اجتماع مجاملة ؟ .. أم بحث فى الإسلام ؟ .. ثم رأيت أن أكون أكثر وضوحا فقلت = لنتكلم بصراحة ... هذا التوحيد الذى تتحدثون عنه .. أهو توحيد فى الله أم فى على ؟!

وفوجئ القوم بما لم يكونوا يحتسبون ... وبدا عليهم الوجوم ... فتابعت =من الخير لنا جميعا أن نكون على أتم التعارف ، متعاونين على كل خير لمصلحة وطننا وأمتنا ... ولكن عندما يكون الموضوع متعلقا بالعقيدة الإسلامية فلا سبيل إلى الروغان ، ولا مكان للمجاملة .. والذى أنا مؤمن به أن كل تباعد بيننا فى ميدان العقائد كان مرده أولا وآخرا إلى فقدان الصراحة ، وإلى الاكتفاء بالابتسام الزائف ...

اسمحوا لى أن أقول لكم أيها الإخوة = إن استقامة العلاقات الاجتماعية نتيجة للاستقامة الخالصة فى العقيدة ، فما لم نتفاهم على خطوط واضحة فسيظل سلوكنا ملتويا لا ينتهى إلى خير ... وقد صح عن الرسول قوله = (ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ... ألا وهى القلب .[1]) فلنبدأ إذن فى قلوبنا فنصحح مفاهيمها ، وبذلك يسهل علينا تقويم كل اعوجاج بعد هذا .

لقد علم الناس أن بينكم من يقول بألوهية علىّ وأنه هو الله ، وإيمان كهذا يشكل الخطوة الأولى فى طريق الانحراف عن الإسلام ، إذ لا ينفع معه أى ادعاء للتوحيد ... ثم هناك مفهوم التوحيد نفسه ، فتوحيد الله فى عقيدة المسلم يقتضى

---

(١) من حديث شريف رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير ، وهو السادس من الأربعين النووية

إفراده تعالى بالتأثير كله ، فلا ضار ولا نافع ، ولا خافض ولا رافع سواه ، وبهذا يسقط كل اعتقاد بهذه القبور التى تدعى فى الجبل للنفع والضرر ، وتساق إليها النذور ، ويحلف بها من دون الله ! .

والإيمان والتوحيد كلاهما لا يستقيمان ما لم يستندا إلى يقين مطمئن بأن القرآن كتاب الله لم يعتره نقص ولا زيادة ، وأنه هو النظام الذى يجب أن يحكم حياة المسلم .. ومثل القرآن ماصح من سنة الرسول ، إذ هو المكلف تبيين ماأنزل الله لعباده ، وليس لمسلم ولا لمسلمة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهما الخيرة ... وهذا معناه أن ليس لأى شيخ أو زعيم حق التعديل أو التبديل ، فليس فى الإسلام كهنوت دينى يعطى أهله حق التحريم والتحليل لأن (.. الحلال ما أحل الله فى كتابه ، والحرام ما حرم الله فى كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفى عنه[1]) ...

والاعتقاد بالبعث هو القطب الموجب فى جهاز الإيمان ، لأنه مبعث الفعالية فى مجموع هذه الأسس ، وكل ضعف فى عقيدته يسلب بقية العقائد تأثيرها العملى فى حياة المؤمنين .. والبعث إنما هو موعد الحساب الذى يؤديه الإنسان على جميع تصرفاته الأرضية معنوية أو مادية ، وليس للعقل أى قدرة على تحديد أحداثه من النعيم والعذاب ، لأن العلم بذلك متوقف على خبر الوحى ، فنحن لا نعرف مضمون الجنة ولا محتويات جهنم إلا عن طريقه ... ولكن نعلم يقينا أنهما كائنتان حتما ، وأنهما كائنان فى غير هذه الدنيا ، فكل تفسير للبعث بأنه انتقال الأرواح البشرية فى مختلف الأجسام تنعيما أو تعذيبا .. إنما هو افتراء على الإسلام واتباع لغير سبيله ....

تلك هى أسس الإيمان فى العقيدة الإسلامية كما فرضها الله ، وأوضحها رسوله ، وفهمها صحابته ، ودرج عليها المؤمنون حتى الساعة .. لانكره عليها أحدا ، ولكن لا نساوم عليها أحدا ، فالمجاملة صحيحة فى أمور كثيرة .. ولكنها خطر ما حق فى شؤون العقيدة ، لأنها تنظم العلائق البشرية كما أسلفنا ، فمن أولى ركائز التعاون البشرى وضوح العقائد ، حتى يعلم كل واحد مقاييس الآخر فى الخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبح ... وإلا قامت الصلات على

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذى والحاكم عن سلمان ......

دخل ، وكان سبيل المتعاملين أن يتنافسوا فى الخداع ، الأمر الذى لايستقيم فى ظله تعاون نظيف ! ..

تفسير غريب =

وكان القوم يصيخون مطرقين إلى هذا التفضيل ، وبدا أنهم يفكرون جاهدين فى كل كلمة يسمعونها ، فلم يسعهم أن يردوا شيئا ، ولكنهم شاؤوا أن يدوروا حول بعض النقاط ليؤكدوا أنهم وإيانا سواء فيها .. إلا موضوع البعث فقد رأى الشيخ فيه مكانا للمناقشة . وعلى دأب القوم فى الاحتجاج بألفاظ القرآن راح يسرد الآيات التى يرونها مؤكدة لاعتقادهم فى التقمص .. وأحببت أن أمكن له من استيفاء جميع النصوص القرآنية التى هى مظنة التأكيد من وجهة نظرهم ، فأخذت أذكره بها واحدا واحدا ... وطلبت إليه أن يختار أشدها دلالة على رأيه فى الموضوع لنبحث فى مدلوله على ضوء العلم والمنطق ... فلم ير أوفى لذلك من قوله تعالى = (يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فَعَدَلك . فى أى صورة ماشاء ركبك .[1]) ثم قوله جل وعلا = (فاطر السموات والأرض . جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .[2]) ....

ووقف من الآية الأولى على نهايتها ليقول = إن الله يذكر الإنسان بقدرته الصالحة لإيداع روح الإنسان فى أية صورة من مخلوقاته السفلى والعليا ، كما ذكر فى سورة التين إذ قال = « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. » فهو يشير فى (أحسن تقويم) إلى الوضع الروحى المجرد بأنه أكمل الأوضاع ، ثم يبين سقوطه إلى أرذل الأوضاع جزاء لمعصيته ، وليس الأرذل هنا إلا الأجسام الدنيا التى تتداول روحه بعد التدنس .. لايستثنى من ذلك إلا الممتازون ، إذ يبين سبحانه أن من أزواج البشر ماكان أصله فى الأجيال الغابرة من الناس ، وما كان أصله من البهائم فيشير بذلك إلى خطَّي الارتفاع والهبوط فى مخطط التقمص[3] .. وهنا سكت ليرى إلى

---

(١) الانفطار ٦ ، ٧ ، ٨ ....

(٢) الشورى ١٢

(٣) هذا مؤدى كلام الشيخ عرضنا فيه كل ماقاله وماشاء أن يقوله ...

وقع أفكاره فى الحضور ، ثم دعانى لأعقب على حديثه بما أراه فقلت = قبل أن أعلق على كلامك ، أحب أن ألفت نظر الجميع إلى أمور هامة جدا ، أولها = هو أن المعقول فى أى تفسير لأى كلام أن ينظر إلى صلته بمجموع الأفكار الواردة عن صاحب الكلام .. فإذا سمعنا شوقيا مثلا يقول =

آمنت بالله واستثنيت جنته   دمشق روح وجنان وريحان

فليس من حسن الفهم أن نحكم بأن الشاعر يقصر إيمانه على الله ثم يرفض الإيمان بالجنة .. كما فعل بعض زملائنا ذات يوم فى تدقيق أوراق الشهادة المتوسطة .... بل الحق أن نلم بعقيدة شوقى فى مختلف أنحاء شعره ، ثم نستخلص الحكم المنطبق على الحقيقة فى هذا المكان ، هذا فضلا عن أن قليلا من التقدير لطريقة التعبير فى البيت نفسه تفيد قطعا بأن الشاعر يسجل على نفسه الإيمان بأن دمشق ، بما هى عليه من الفتنة لا يفوقها جمال إلا جمال الجنة الموعودة ، لأنها مستثناة من أن يكون لها أى شبيه فى الأرض ... وهو لم يقدم استثناء الجنة إلا استعجالا لتنزيهها عن المشابهة ...

وقديما قيل = نصف الكلام لا جواب له .... وكلام الله وحدة كاملة فلا سبيل إلى اجتزاء آية منه لتفسيرها بعيدة عن روحه .... وإلا كنا كأحد الماجنين الذى أراد توكيد مذهبه فى السكر ، فراح يقطع من إحدى الآيات كلمتى (ويل للمصلين) ليقول = (ما قال ربك ويل للأولى سكروا بل قال ربك ويل للمصلينا !) .

هذه واحدة ... أما الثانية = فإن أمر البعث أخطر من أن يقوم على الألغاز ، لأنه واحد من أركان الإيمان الكبرى ، فلكى تقوم فيها حجة الله ينبغى أن تكون من الوضوح والإحكام فى صورة لا يختلف على مدلولها عاقلان .. وهو أمر مفقود تماما فى هذه الطريقة ، إذ لا يوجد من يشارككم فى هذا الاتجاه لا من المسلمين ولا من غير المسلمين ، إلا أن يكون من القائلين بالتناسخ ، فهو يحمل الكلام ما لا يحتمل ليتخذ منه تُكَأَةً لدعم أوهامه ...

والثالثة = أن روح القرآن العامة تركز مفاهيم البعث على أنه عملية إحياء لا موت بعدها ، يحشر فيها الناس إلى ربهم لأداء حسابهم ، ثم يساق هؤلاء إلى نعيم ، وأولئك إلى جحيم .. وأنها تأتى عقيب عملية تدمير عام تتغير فيها معالم الكون ، ففيها تُرَجُّ الأرض رجا ، وتبس الجبال بسا ، وتشتعل البحار حتى تستحيل لهبا

مسجورا .. وفيها تنشق السماء وتطوى كالسجل ، وتكشط النجوم ، وتكون كالمهل - مصهور الفضة أو عكارة الزيت - [1] ..

والتقمص يناقض هذا كله إذ هو فى مفهوم أصحابه عملية تحويل وانتقال مستمرة أبدا لا يتصور لها نهاية ، وهى بذلك تستتبع الحكم بسرمدية الأرض والأفلاك فلا يعتريها فناء ولا اضمحلال ! .. لذلك عنى أصحاب التقمص باختراع التقسيمات الفنية له فجعلوه أربع طرائق ، أعلاها (النسخ) وهو بزعمهم انتقال الروح إلى جسد أرفع مما كانت فيه .. ثم يميل الخط إلى تحت فيكون (المسخ) وهو انتقال الروح إلى بهيمة أو هامّة أو زاحفة ثم (الفسخ) وهو الانتقال إلى أجساد الحشرات ، ثم (الرسخ) وفيه يكون الهبوط الأدنى إلى النبات والجماد ... [2]

وقد حدد هذه الأقسام أحد شعرائهم إذ يقول =

تعـوذ بالإله من المسوخ وسله أن تكون من النسوخ
لقد خاب امرؤ يمسى ويضحى يُنقل فى فسوخ أو رسوخ

ويستطاع القول بأنها عقيدة الكافة من الدرزيين والإسماعليين والنصيريين ، حتى لقد رأينا شاعر هؤلاء صديقنا الأستاذ بدوى الجبل يجعلها قبل الإيمان بالله فيقول =

= ليؤمن الناس ماشاؤوا بربهمُ فبالتحول قبل الله إيمانى

الرابعة وهى أن موضوع التقمص لم يرد قط على لسان نبى فى كل مانقل عن الأنبياء ، ولم يقل به واحد من رجال الإسلام فى الصدر الأول ، وإنما عرفت هذه النحلة الأجنبية منذ انتشار المعارف الدخيلة أواخر العصر الأموى ، ولعل أوائل القائلين بها هم (أحمد بن خابط) وتليمذه أحمد نانوس وأبو مسلم الخراسانى [3] ... ثم انتشر ذلك فى القرامطة .. ومن هنا يتضح أن هذا الوباء إنما وفد على الوسط الإسلامى مع غيره من الأوباء الهندية والمجوسية ، حمله بعض الدخلاء على الإسلام ، فكان أحد مركبات الخليطة التى لفقوا منها عقائدهم العجيبة .. ومن ثم كان أحد منابع الانحرافات التى بدأنا نلمسها فى بعض مذاهب

---

(١) اقرأ ذلك فى سور (الواقعة) و(المعارج) و(القارعة) وكثير غيرها من سور القرآن الكريم .
(٢) هناك مرتبة خامسة فى التناسخ يسميها النصيرية (الوسخ) بإسكان السين . انظر ص ٧١ ج ٢ ...
(٣) عن دائرة معارف محمد فريد وجدى مجلد ١٠ صفحة ١٧٢ وما بعدها ...

الغلاة من المتصوفة ، حين يتحدثون عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، مما لم يكن له أثر قط فى تعاليم الإسلام التي جاء بها محمد (ص) .

وإذا ما لاحظنا انعدام كل أثر لفكرة التقمص إبّان البعثة وعصر الراشدين ومن وليهم من التابعين ، أدركنا فى يقين أننا أمام إجماع أطبقت عليه الأمة بجميع أحزابها وفرقها ، بأن هذه العقيدة دخيلة على الفكر الإسلامى ...

ولا غرابة فإن عقيدة رجعة الأرواح قديمة نشأت فى الهند والصين ، ولم يقل بها فى الإسلام إلا التناسخيون ، وهم لم يأخذوها من القرآن الكريم ، ولكنهم نقلوها عن الهنود مع ما نقله العرب من فلسفتهم .. [1]

تفسير قريب =

وننتهى الآن إلى النقطة الأخيرة حول تفسير الآيات ، ففى يقينى أن فيما أسلفناه مقنعا لكل ذى عقل بأن تخريجها ، على طريقة التناسخيين إنما هو خروج بها عن منطق القرآن والعقل واللغة جميعا .. ولننظر الآن إلى مفهوم (فى أى صورة ماشاء ركبك) .. فالله سبحانه يمن على الإنسان أولا بنعمة الإيجاد إذ بدأ خلق نوعه من التراب ، ثم عنى به فسواه وعدله ، وفى (التسوية) معنى التنظيم الذى يجعل الشئ سويا أى صالحا لمهمته المرسومة دون زيادة ولا نقصان ، وقريب منه لفظ (العدل) إذ يقول = عدلت الشئ ، بمعنى وازنته ، وهو فى الآية يفيد تزويد هذا المخلوق المكرم بالاستعداد الذى يؤهله للحياة .. ومنه قولك = هذا عِدل ذاك أو عديله أو معادِله ، بمعنى أنه يوازنه فى صفات خاصة .. وليس العدل الذى هو ضد الجور إلا نوعا من التوازن الذى تضبط به الأمور ...

ثم يعرض للمظهر الذى استكمل به هذا المخلوق صورته الأخيرة ، فذكره سبحانه كيف أفرغ عليه هذا الشكل ، وكيف اختار له هذا اللون ، فجعله بهذه المظاهر صورة مميزة بين الملايين من أبناء جنسه ، حتى لاتجد صورة تستوفى صفات الصورة الأخرى ، ولابنانا يستوفى خطوط البنان الآخر ...[2]

---

(١) عن دائرة معارف محمد فريد وجدى مجلد ١٠ صفحة ١٧٢ وما بعدها...

(٢) يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (.. فسواك فعدلك) جعلك مستقيما معتدل القامة منتصبها فى أحسن الهيئات والأشكال ...

وروى عن مجاهد فى قوله تعالى (فى أى صورة ماشاء ركبك) = أى فى شبه أب أو أم أو خال أو عم ... وعن عكرمة = إن شاء فى صورة كلب ، وإن شاء فى صورة حمار ، وإن شاء فى صورة خنزير ..والمراد من =

وهذه من دلائل القدرة والعناية التى من حقها أن تثير فى نفس هذا المخلوق شعور الندم والخجل من معصيته لهذا الخالق . ومن هنا ندرك بلاغة الاستفهام الذى صدر به هذا العرض الرائع ، ليكون بمثابة إلهاب لحوافز التوبة فى قلب هذا الإنسان المغفل = (ياأيها الإنسان ... ماغرك بربك الكريم الذي خلقك ...) ....

أما رده = أسفل سافلين ... فمفهوم من سياق الآيات ، إذ حدثنا عن خلقه أولا فى أحسن تقويم ، بما أكرمه به من المواهب التى فاق بها غيره من المخلوقات ، فجعله بذلك قادرا على كثير مما لايستطيعه غيره .. فإذا ماانتهى إلى ضعف الشيخوخة ، رُدَّ إلى أرذل العمر فكان عاجزا عن الحركة والعمل ، فحرم بذلك شرف الإسهام فى عمران الكون .. وهو أسفل مكان من الحياة . ثم يستثنى من هذا الحرمان أصحاب الماضى الحميد إذ يحتفظ لهم ربهم بالثواب على كل خير ينتوون عمله، ثم يعجزهم الوهن عن تحقيقه (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) فهم كعظماء الرجال الذين لا تنفك أممهم عن تكريمهم حتى بعد أن يصبحوا معطلين بالعجز عن كل عمل ...

وإذا وصلنا إلى قوله تعالى = (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه) فالأمر أوضح من أن يقبل التمحلات ... ذلك أنه تعالى يعدد بعض أفضاله على الجنس الإنسانى ، بما أمدهم من وسائل الحياة والانتشار ، إذ جعلهم أزواجا ، ذكورا ، وإناثا ، ليؤمِّن لهم وسيلة التكاثر عن طريق الولادة والنسل ، ومنح مثل هذه النعمة نعمة التزاوج للحيوان أيضا ، ليكون بتكاثره وسيلة صالحة لخدمة النوع الإنسانى من جهة منافعه الكثيرة التى لاتزال من أهم موارد الحياة بالنسبة لهذا الإنسان ، يحمل أثقاله ويمده بالغذاء الرئيسى معلبا فى أغلفة الحياة ، كما ينفحه بمواد اللبوس والصناعة المختلفة ، وذلك على سنته تعالى فى رعاية الجنس البشرى وإمداده بكل وسائل الحياة والحضارة .. فما أحكم الخالق الذى من على عباده بكل هذه النعم والأنعام ! ......

= ذلك بيان قدرته تعالى على إخراج هذه النطفة بالصورة التى يشاء، وقد قضت حكمته أن يجعلها فى أحسن تقويم .. فكان على الإنسان أن يقدر لربه هذا التكريم ، فيقوم بواجب شكره ، بدلاً من التهاون بحقوقه سبحانه

ويظهر أن البحث قد استوفى غرضه من جهة احتجاجهم بالقرآن ، إذ لم يبق ما يتمسكون به ولكن ظل فى نفس بعضهم كلام فقال = إذا صرفنا النظر عن التقمص فبأى شئ نفسر هذا التشويه الذى يولد عليه بعض الناس دون ما ذنب أتوه !! قلت = بعد أن بطلت خرافة التقمص لم يبق إلا أن ترد ذلك إلى حكمة الله ... ولكن لا تنس أولا أن أسخف الغرور هو أن ينصب الإنسان من نفسه قاضيا لمحاكمة ربه ، فيقول له = هذا لايعجبنى فكان عليك ألا تصنعه ، وهذا لا يقنعنى فكان عليك أن تتجنبه ، وهذا لا أرى له وجها من الحكمة فكان عليك أن تسحبه من عالم الوجود !! ..

ولعلك تذكر أنك قبل ساعة كنت تمشى إلى هنا بين ركام من خرائب الدور والقصور والحوانيت ، التى قضى مجلس بلدية اللاذقية بهدمها تنفيذا لمخططات التجميل الجديدة ... فما رأيك لو أن غِرًّا لم يعرف قط معنى التنظيم والتخطيط ، قد شهد الفَعَلَة يعملون معاولهم فى هذه الأبنية ليحولوها إلى مثل هذا الركام ، أكان يجد لعملهم حكمة أو مسوغا ؟ ! .. أليس من أولى البديهيات فى نظره أن هؤلاء الفَعَلَة ، ومَنْ وراءهم من المهندسين والموظفين، لا يخرجون عن كونهم مجموعة من المجانين !.....

الحق أن أصحاب التناسخ وأشباههم قد داخلهم الوهم من قِبَل غرورهم ، فراحوا يحاكمون مبدع هذه الكائنات .. وقد نسوا أنهم إنما يحكمون على أنفسهم بالجهل والسخافة والخرق ، ولو أنهم رجعوا إلى ضمائرهم لعلموا مالم يكونوا يعلمون ، ولتبين لهم أن أقل ما يجب بحقهم هو أن يثقوا بحكمة ربهم فلا يرموه بما يستنكفون أن يرموا به أنفسهم .

لنذكر أننا لم نبلغ بعدُ من كمال العلم مانفهم به كل شئ .. فإذا عجزنا عن تفسير بعض الظواهر فلا أقل من أن نعترف بأننا لا نعلم ... وذلك نصف العلم ، أما أن نخلق له من التفاسير ما يؤلف مذهبا ويكوّن دينا ثم ننسبها إلى الله فذلك ما لا يعمله إنسان يحترم نفسه ويرجو لربه وقارا ...

ومع ذلك فأنا أذكركم بمبدأ لا مندوحة عن الرجوع إليه فى مثل موضوع التشوهات الخلقية هذه ... ذلك أن الإيمان بعالم الغيب ... عالم الخلود فى الحياة

الثانية ، يجعل كل تشويه كهذا أمرا ثانويا حتى بنظر المصاب به ، إذ يعلم أنه مكلف من قبل ربه أن يحمل هذا العبء إلى أجل ، حتى إذا بلغه صابرا حُطَّ عنه ، وعُوِّض عن ابتلائه به سعادة لا نهاية لها ... هذا فضلا عن أن الذى أوتى مثل هذا الإيمان لا ينقصه أن يثق بحكمة الله ، فيتوقع أن يكون فى عماه أو عرجه أو خرسه أو صممه ، وما إلى ذلك سبب لتحصينه من آفات لو كشف له لآثر ألف بلاء كالذي هو فيه على الوقوع فى مخالبها .. وما أحسب فينا واحدا يتردد فى تسليم نفسه إلى مبضع الجراح ، يفتح بطنه ، ويعمل ما يراه فى أحشائه .. إذا كان فى ذلك إنقاذ له من أوجاع ليلة .. ناهيك بما وراء بعض هذه الظواهر من مجالات الاعتبار ، إذ كثيرا ما يكمن خلف التشوه أسباب وراثية تقع تبعتها على أشخاص أسرفوا فى الرذائل فجنوا بذلك على ذرياتهم .. وقد أجرت بعض المؤسسات العلمية فى فرنسة وألمانية إحصاءً دقيقا لأسرتين ، تحدرت إحداهما من سكير والأخرى من سكيرة ، فكان حصاد كل منهما مئات المشوهين خَلقا وخُلقا .. فمن نزلاء سجون ، إلى نزلاء فى مشافى الأمراض العقلية ، إلى عشرات من المنحرفين الذين يؤلفون خطرا على أنفسهم ومجتمعهم !..

وأنا لا أذكر هذا من قبيل الإحاطة بأسرار الله ، ولكن تنبيها بأن العقل السليم لا يعدم فى نور ربه ما يستكشف به بعض الحكم المحتجبة وراء العديد من هذه الأشياء ..

هكـذا سمـع =

ولقد انفض اجتماعنا يومذاك فى ساعة متأخرة من الليل ، على أن نعود إلى استئنافه يوما ما ، ثم لم نعد حتى الآن .. وأنا لا أدرى إلى أى مدى استطاع أن يغير من أفكار القوم ، على أنى واثق أن كلمة الحق بذرة حية لابد أن تأخذ طريقها إلى النمو ولو بعد حين ...

وقد حدثتك فى فصل سابق[1] عن مجالس مشابهة عقدت لمثل هذه البحوث فى أحد مصايف الجبل وعرضت لك هنالك صورة عن المشاركين فى هاتيك المجالس من أساتذة الثانويات وطلاب الجامعات .. وأتباع الأحزاب المختلفة . وطبيعى أن يكون التناسخ أحد الموضوعات الرئيسية التى تناولها البحث فى بعض هاتيك المجالس

(١) كان هذا الكتيب فصل من مؤلف واسع أعددناه بعنوان (أشعة فى الظلام) . وقد رأينا إفراده بالنشر تخفيفا من حجم المؤلف المشار إليه وحصرا للموضوع .

والآن أذكر أن واحدا من الشباب النصيرى قد أثار يومذاك فى موضوع التناسخ مشكلة أخرى ، كثيرا ماووجهتُ بها فى مناسبات مماثلة ... وذلك أن هؤلاء المؤمنين بالتناسخ لايزالون يستقصون كل ما يجد من أخبار مؤيدة لإيمانهم دون أن يعنوا بتمحيصها .. فأى إنسان منهم حدثك فى هذا الأمر عمد إلى توكيده بعناصر قصصية جذابة .. ففى قرية مامثلا كلب أتى بأمور لايحسنها إلا فلان الذى كان قد مات ! . وفى مكان آخر طفل قد تعرف أشخاصا وكشف أسرارا ماكان لأحد أن يعلمها إلا فلان الذى كان قد أسلم الروح يوم ميلاد هذا الطفل !... إلى عشراتٍ من أشباه هذه الروايات التى لاتخرج عن كونها تكرارا مملا لأقوالٍ تؤكد بنفسها زيفها ، وهى جميعا تساق لإيهام السامعين بصحة التناسخ ، ثم لاتعدم من يصدقها ، وبخاصة بين عامة الجبل الذين ألفوا التصديق لما هو أغرب من ذلك ! ..

وعرض الفتى بعض هذه الطرائف فى صورة وقائع حدثت فى أمكنة معروفة ...... وكان جو المجلس صالحا للاستقصاء المنطقى فقلت = أنا واثق أن الأخ سمع بهذه الوقائع ... ولكنه لم ير واحدة منها قط ! ...

قال = هو كذلك .. ولكنى واثق من روايتها ...

قلت = هكذا أوهمك اعتقادك .. وفى رأيى أنك لو حققت فى شخصيات رواتك هؤلاء لوجدتهم إما مغفلين ، وإما ناقلين عن سواهم ... ولقد جربت حتى الآن عشرات الأقاصيص المشابهة لهذه فانتهيت منها جميعا إلى مثل الذى بدأت .. أن جميع الذين حدثونى بها كانوا سامعين عن سامعين .. ولم أجد فيهم واحدا ، شهد الله ، كلف نفسه التدقيق شخصيا فى قصته ! ...

ولقد ذكرتنى طرائفك بنادرة مماثلة مر عليها خمسون سنة ، وخلاصتها أن رجلا جاء والدى ، رحمه الله ، مدعيا أن عمًّا له قد أودع لدى جدى أعلاما صوفية .. وهو قد أتى يستعيدها اليوم .. وطالبه والدى بالبينة ، فلم يملك البينة .. وبعد أيام دُعِىَ والدى إلى مجلس أحد الكبار .. وهناك وجد المدعى قد سبقه ، وعرض دعواه ، ولما سئل عن بينته ، وقف مزمجرا ، وأخذ ينفض رأسه ويستنجد بأسرار جده ! ... ثم يقول = بينتى حاضرة .. وهى أن نأتى بهذه

الرايات فنركزها عند قبر السلطان « عدى »[1] ثم نقف أنا وهو بعيدا ، ثم ندعوها إلينا .. فأينا استجابت له فهي ملكه ! ..

وهنا وقف والدي مستخرجاً ما في كيسه من الدنانير وهو يقول = أما أنا فأعلن عجزي عن هذه الكرامة ، وأشهدكم أن الرايات له مع كل هذه الدنانير إذا هو استطاع تسييرها نحوه ! .

وأنا أقول لك أيها الأخ = أرني واحدة فقط من هذه « الوقائع » الكثيرة على وجه يصمد للتمحيص العلمي .. ولك علي أن أؤمن لك .. ولكني واثق أنك ستعلن إفلاسك حتما لأن هذه « أحداث » لم توجد قط خارج أخيلة الناسجين لها ! ثم .. أليس عجيبا أيها الصديق ألا تجرى هذه الحوادث إلا في أوساط المروجين لخرافة التناسخ ، فإذا رحت تقلب سمعك بين أهل السنة وأهل الكتاب لم تجد أى ذكر لشئ من ذلك ، بل لم تجد سوى الضحك من ذلك ! ..

وكاد يقطع كلامي ليقول = (هؤلاء الكتاب الذين عرضوا لموضوع التناسخ في الشرق والغرب ... أهم جميعا من النصيرية والدروز والإسماعيلية والهندوس ! ..

قلت = فكر قليلا تجد جواب ذلك بنفسك .. إن أخبار الصحف الأجنبية في هذا الشأن لا تعدو حدود المخترعات الفنية التي لا تستهدف سوى إطراف قرائها بالتلفيقات الممتعة .

أما جنوح بعض القصاص إلى موضوع التناسخ فهو من ذلك .. أنه عنصر إغراء يتسع لنسج الأخيلة .. وإذا شئت فاسأل الأستاذ مخائيل النعيمة عن استخدام هذا العنصر في قصته (لقاء) .. أكان إلا تعبيرا عن عطشه إلى المجهول ، ومحاولة لاجتذاب القارئ إلى أفكاره الإنسانية بهذه الوسيلة .. ![2] ...

---

(١) مقام يزوره العامة والمجانين في طرطوس ....

(٢) الباحثون في المسائل الروحية في الغرب قسمان =

ا – العامة (التيوزوف والاسبريت) وهؤلاء يخلطون في حوادث مناجاة الأرواح ، فيرون في ذلك صورة انتقال الروح في الأجسام المختلفة ، وعندهم أن تفاوت الناس في الاستعدادت الطبيعية دليل قاطع على صحة التناسخ .

ولعل من غريب الاتفاق أن يزورنا اليوم ، وبعد سنوات على ذلك الحديث ، صديق من هذا الجبل ، فيكون أول حديث له فى موضوع التقمص ، يطرفنا بما جد لديه من أخباره .. وكان حديثه الساعة حول شاب يزعم أنه « نطق » بأصله وفصله منذ كان فى الرابعة ، فتعرف أمَّه القديمة ، ثم حدد لأخوته أقساما فى الأرض كانوا فى خلاف عليها ، فاستأصل بذلك أسباب النزاع من بينهم ! ..

وكان إلى جانبى حفيدى هيثم يصغى إلى حديث الرجل فيستهويه منه طريقة العرض ، وحماسة اللهجة ، وإشارات القَصاص المأخوذ بفنه .. وكان الرجل بدوره يلاحظ حفيدة فاتخذ منه قياسا لطفولة (الفتى المجيَّل)[1] إذ أكد أنه لم يكن يتجاوز مثل سنه عندما بدأ يكشف بعض هذه الستور ! ..

وما كان أروع تدخل هيثم .. إذ مالبث أن التقط بعض حديث الرجل فراح يقول = وأنا .. تزوجت .. وعندى أربع نسوان .. وبستان ..

وجُن صاحبنا ، وأخذ يحملق فى وجه هيثم فاغر الفم من الدهشة .. ثم يسأله فى جد بالغ = « وهل لك أولاد ؟ ! »

وكانت جدة هيثم تشاهد هذه التمثيلية الطريفة ، فجعلت توحى إلى هيثم من وراء الباب بما يقوله .. ومضى يردد « عندى بنت اسمها لمياء .. ماتت أمها .... » ، وصدق صاحبنا أذنيه .. وكذب عقله .... ولم يساوره أى شك فى أنه أمام « مجيَّل » جديد .. واستحال علينا إقناعه بأن القصة لاتعدو كونها عبثا وتقليداً ! . وبديهى أن تمثيلية هيثم ليست سوى صورة من آلاف الحوادث التى يرويها الأطفال الكبار .. عن موضوع التناسخ فى جميع الأقطار ! ..

= ب - العلماء ، وكل مايراه هؤلاء فى حوادث المناجاة هو أن ثمة عاملا روحانيا عاقلا قائما بغير العادة .. ثم لا يثبتون شيئا وراء ذلك ..

ويرد البارون « دوجولد تستوب » على أولئك التناسخيين بأن الأرواح العالية التى تظهر أثناء المناجاة تدحض عقيدة الرجعة = التناسخ = ويستدل على ذلك باختلاف أخبار الوسطاء .. إذ كل من النافين والمثبتين منهم يجد فى كلام الأرواح مايؤيد زعمه ، ومن هنا تكون هذه الإملاءات من إيحاء الوسطاء أنفسهم .. - أى من تأثير عقولهم الباطنة - ويقول (هودسن توتل) الروحانى الأمريكي = إن القول بالرجعة يناقض تماما المذهب الروحانى ، إذ يجعل من المحال مخاطبة الأرواح ، لأن الروح ينبغى أن تكون دائما مشغولة بمحلها الجديد ، وبهذا لا تكون قادرة على الاتصال والمخاطبة ...

مختصر من دائرة المعارف للعلامة المرحوم محمد فريد وجدى ص ١٧٨ و ١٨٠ ج ١٠

(١) تعبير خاص يريدون به المخلوق الذى ظهر فى أجيال متعددة ...

ومع كل ذلك فالتناسخ يفترض شيئين كل منهما مردود بحكم العلم والإسلام ..

أما أولهما فهو خلود هذه الطبيعة المادية ، كما زعم من قبل قدماء الدهريين الذين قالوا بقدم العالم ، وأن النفس والمادة غير متناهيتين ، وهذا قول فقد كل وزن منذ كشف الإنسان أسرار الذرة .. وما أظن بيننا من يجهل قرار العلم فى هذا الشأن .

لقد أثبت العلم أن المادة مركب صائر إلى الفناء ، فإذا انفجرت الذرة من المادة استحالت طاقة كهربية هى غير المادة فعلا وطبيعة .. وعلى هذا فالأرض والكواكب وما بينهما وما حولهما كل أولئك متحولات قريبا أو بعيدا عن أعيانها إلى حالات لابقاء معها لشئ اسمه الحياة ..

وثانى الأمرين أن تداول الأرواح فى الأجسام الدنيا والعليا قائم على اعتبار الجزاء ماديا إلى حد التفاهة .. وهاهو ذا الشيخ « عبد اللطيف مسعود » وكان قاضى قضاة النصيرية فى اللاذقية ، وأحد الشعراء المجودين ، يعلن ذلك صراحة فى قصيدة نشرتها له جريدة « الشاطئ » اللاذقية تعقيبا على مقالة كانت نشرتها لأحد الصعاليك ، يتحدث فيها عن الغنى والفقر والترف والشظف ، فإذا الشيخ يجعل منظومته تفسيرا لهذه الظواهر على طريقة التناسخيين الذين يعتبرون المال صورة السعادة .. فمن ظفر به فهو المنعَّم المَرضى ، ومن حُرِمَه فهو المعذب الشقى ! ... ولعمرك انه لقانون لو أخذ به الناس لكان عليهم أن يكفروا بكل المثل العليا ، ليحصروا همهم كله فى طلب المال وحده ولو أدى ذلك إلى اغراق الأرض بالدم ! . وليس ثمة من قانون أشد تسويغا لعمل الاستعمار فى اغتصار فلسطين ، وتذبيح الجزائريين ، وتقتيل العمانيين ، واستذلال الملونين ، من القول بالتناسخ ، الذى يجعل كل أولئك أمرا مشروعا يسوغه حق القوى فى تأمين حظوظه ولو على أشلاء البشرية ! ..

إن نظام الاستعمار فى أعمق بواعثه قائم على استغلال الجنس الأبيض لثروات الإنسان الملوَّن .. من أجل شئ واحد هو توفير الخمرة والمرأة والرفاهية للفرد الأوربى والأمريكى ... وقد استنفدت البشرية قواها فى سبيل القضاء على هذا

المنطق الوحشى .. فإذا تركنا لروح التناسخ أن يسيطر على أفكار الناس كان ذلك أفضل خدمة نقدمها للصوص الشعوب ، إذ يجدون فيها الحجة التى تؤيد عدوانهم المجرم على نصف الإنسانية ! . ويومئذ ستسقط كل مقاييس الإسلام التى تقول = (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها) ٩/٥٥ (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا ، وماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)٤٢/٣٦ ويومئذ سيكون من غير المعقول قول رسول الله (ص)= « رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره »[1] وستنتهى تبعا لذلك بقية القيم المسيحية التى تؤكد أن (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، ولكن بكل كلمة تخرج من فم الله ..) ..

آيـة الميثـاق =

وكان تدقيق الامتحانات الثانوية فى اللاذقية صيف ١٩٥٨ مناسبة طيبة جمعتنى بزملاء أعزة ، أحدهم فتى نصيرى كان من أحب طلابى إلى ذات يوم ، وهو اليوم مثلى مدرس للأدب العربى فى إحدى الثانويات .. وفى متنزه « الطابيات » الرائع قضينا معا سهرات أخوية لم تخل من بعض المباسطات .. وما أدرى كيف تطرقنا إلى موضوع التناسخ ، فلفت نظرى إلى آية أخرى من القرآن لم تخطر فى بالنا أثناء بحث هذا الأمر من قبل .. ثم حدث أن أورد ذكر هذه الآية مرة ومرات فى أحاديث مماثلة ، ففهمت من ذلك أن القوم يهتمون كثيرا فى استغلالها لتوكيد مايذهبون إليه .. ولهذا رأيت أن أجعلها خاتمة المطاف فى موضوع التناسخ .

أما الآية الكريمة فهى قوله تعالى فى سورة الأعراف = « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم = ألست بربكم .. قالوا بلى شهدنا ... » .

والحق أننى لم أفهم كيف يتسلل التناسخيون إلى هذه الآية ليستمدوا منها دليلا لنحلتهم ... وهى أبعد شئ عنها !. ومهما يكن فسأمضى فى تتبع مدلولات هذه

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة .. وقد رُوى بمعناه فى عدة أحاديث كلها بين الصحيح والحسن

الآية كما توخى بها وكما فهمها أولو العلم ، وعلى رأسهم صاحب الرسالة (ص) .

لقد ورد في الأخبار الصحيحة عن رسول الله (ص) أن الله تبارك وتعالى أخرج ذرية آدم من صلبه فجمعهم جميعا ماهو كائن إلى يوم القيامة ، واستنطقهم وأخذ عليهم العهد والميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم « ألست بربكم ؟ .. » فقالوا بلى .. إنا نشهد أنك ربنا وآلهنا لا رب لنا غيرك .. [1]

وملخص ماورد في هذا الإخراج أنه تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره ذرا ، ثم أخرج من هذا الذر ذريته ذرا ثم أخرج من هذا مثل ذلك ، إلى آخر النوع ، وخلق فيهم الحركة والعقل والكلام ، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وخالقهم ، فاعترفوا بهذه الحقيقة ، ثم ردهم إلى ظهر آدم .. وقد حمل كل منهم يقين الفطرة بوجود ربه ووحدانيته ..

وهؤلاء العلماء يرون أن هذه الذرات التي أخذ عليها ذلك الميثاق هي جوهر الإنسان ومحل التكليف ، وهي التي تحلها الأرواح يوم البعث فتستحق الثواب أو العقاب . فهي إذن الأصل الذي لا يتبدل ولا يتحلل ، وماعداه من أجزاء الجسم فأقسام فضلية تؤلف الهيكل الظاهر ، فإذا قضى الله الموت على الإنسان انفصلت روحه عن ذرته الأصلية ، ثم انحل الهيكل الظاهر إلى أجزائه الطبيعية من مركبات المادة ، دون أن يمس الانحلال تلك الذرة ، حتى إذا نفخ في الصور ليوم النشور عادت الروح إلى ذرتها هذه ، ثم أعاد الله إليها هيكلها الإضافي من الأجزاء الفضلية السابقة أو سواها ، إذ المدار على بقاء الذرة الأصلية فقط ... وقد بلغت هذه الذرات الأصلية من الصغر جدا أمكن به اجتماع ذرات الجنس الإنساني كله في ظهر الأب الأول ، كما أمكن لنقطة صغيرة من الماء أن تحتوي على الحيوانات المكروسكوبية على مايوازي عدد البشر المتحركين على وجه الأرض [2] .

فنحن إذن نرى من الآية ، مع تفسيرها الطبيعي جدا ، بعدها الشاسع عن

---

(١) من حديث طويل رواه الحاكم عن أبي بن كعب في قوله تعالى « وإذ أخذ ربك .. » والأحاديث في هذا كثيرة وردت عن جماعة من الصحابة بأسانيد قوية . راجع ص ٤١ و ٤٢ ج ٢ من كتاب (لوامع الأنوار ...) للعلامة السفاريني .

(٢) ارجع إلى تفصيل هذا البحث في كتاب (الرسالة المحمدية) ص ٣٤٨ – ٣٦٠ – للمرحوم الشيخ حسين الجسر .

إمكان الاستغلال فى موضوع التناسخ ، بل إنك ترى فيها هدما ساحقا لهذه الأضلولة الهندوكية .. فالله تعالى قد شاء أن يغرز فى فطرة الجنس البشرى معرفته وحصولها فى الدنيا ، فاستخرج كياناته الأصلية من مكانها فى ظهر آدم ، وأذن لها بالحياة والكلام ، فرأت وعلمت وشهدت ، حتى إذا صارت إلى الوجود الزمنى بعد ذلك كان فى طبيعتها ما يذكرها بربها فيجعلها صالحة للعودة إليه ، كلما دهمها ماصرفها عن طريقه .. ولولا ذلك الكشف الأول ، الذى أودع الجنس البشرى بذرة المعرفة ، لاستحال أن يوجد فرد واحد يؤمن بالله ، كما يستحيل على الخشب أن يتفاعل مع التيار الكهربى ، لأن ذلك خارج عن حدود استعداده أصلا .... وبالطبع لم تشر الآية إلى حيوانات أو نباتات أو جمادات أو حشرات .. ليقال إن بعض ذرية آدم استخرج من غير جنسه ، وإنما كان الاستخراج محصورا فى ظهور آدم وذريته فقط .. فأين حجة النسخيين والمسخيين والفسخيين والرسخيين والوسخيين ؟ !

الحق أن الآية فضيحة جديدة لهؤلاء التناسخيين ، ودليل جامع مانع على أن هذه العقائد كما أسلفنا أعجمية المولد والنسب ، فهى فسيلة أصلية من غراس الوثنية الهندوكية ، التى تفرض على أتباعها عبادة كل ذى حياة حتى العقارب والبعوض بل البقر والقرود ! .. فلا سبيل إلى وصلها بالإسلام ، بل من القحة أن يطلب لها حجة من القرآن .

أما إذا أصر أصحاب التناسخ على ربط نحلتهم بالقرآن بعد هذا التبيان فلا عليهم إلا أن يقرؤوا قوله تعالى عن لسان الكافرين ، إذ يقولون لربهم بعد أن رأوا عذاب القيامة : « أرجعنا نعمل صالحا .. » فيسمعون الجواب القاطع المانع « أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر .. وجاءكم النذير ! » فهنا كفرة تنكشف لهم عاقبة غيهم فيودون لو يرجعون كرة أخرى إلى الدنيا ليستأنفوا حياة جديدة يكفرون بها عن آثامهم الأولى ، ولكن الله الذى جعل الدنيا ممرا إلى الآخرة سرعان مايخيب آمالهم ، ويذكرهم بأنه كان عليهم أن يستفيدوا من وجودهم الأول ، فيستجيبوا لدعوة الله .. أما الآن فلا (رجعة) .. وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ..

القذى والخشبة =

بقى علينا أن نتساءل = إلى أى مدى يمكن لبحث كهذا أن يزعزع من خرافة

التناسخ فى نفوس معتنقيها ؟ .. الحق أن هذه العقيدة لم تزل وستبقى إلى أمد طويل هى القاسم المشترك فى أوساط الباطنية ، لاأستثنى من ذلك جاهلا ولا متعلما . وذلك أن فكرة التناسخ ، بما يحوطها من تهاويل الإغراء ، وبما توهمه من الإجابة عن عشرات الأسئلة الحائرة فى أذهان القوم ، حول الثواب والعقاب والغنى والفقر والسلامة والتشوه ، وما إلى ذلك من أصناف « المعضلات » .. إنها بهذا كله قائمة تفرض سلطانها على يقين الجميع لأنها تمدهم بالحلول المرتجلة لكل من هذه العقد ، ولهذا ترى الفتى من هؤلاء يحمل أرقى الشهادات وهو متشبث بهذه العقيدة ، لايرى فيها أى بأس .. بل ربما أشفق عليك لأنك لاتهتدى إليها .. !

قبل أيام يسيرة لقينى فتى موهوب من تلاميذى القدامى ، فما إن قبض على يدى حتى أخذ يحدثنى بأشياء وأشياء ...

قال = لقد قصدت إلى دارك أكثر من مرة فلم أوفق إلى لقائك .. إذ كنت راغبا فى إطلاعك على كتيب حررته فى نقد عقيدة التثليث قبل أن أعمد إلى نشره ...

ثم راح يسترسل فى عرضه لأفكار الكتيب ، ويبالغ فى التنقيب عن الشواهد التى تبطل آراء النصارى فى تأليه المسيح حتى إذا أفرغ كل مافى رأسه رفع إلى عينيه يقول = كيف رأيت ؟ !

قلت = إنه منطق عجيب .. يريك القذى فى عين أخيك ، ويصرفك عن الخشبة فى عينك !..

قال = ماذا تعنى ؟ !

قلت : أعنى ... أى فرق بين تأليه المسيح وتأليه علىّ مثلا ! .

وهنا انتفض صاحبى كأن مسّا كهربيا قد أصابه ، ثم لم يتمالك أن صاح = ألا لعن الله كل من يؤله عليا ..

قلت = فإذا كنت جادا فتبرأ من عبادته ..

فأخذ يكرر عبارته = ألا لعن الله كل من يؤله عليا ..

قلت = ياصاح .. لاتحاول أن تخدعنى بهذه الظاهرة .. أنا أتحداك أن تتبرأ من عبادة على فقط ، فلا تضع اللعن مكان البراءة ، ولا تحسبنى من الجهل بمذهبك

بحيث لا أفرق بين الصيغتين .. »

ولم يبق ثمة مجال للروغان ، فاكتفى مضطرا بهذه الكلمة « ومع ذلك فالفرق بعيد بين المسيح وعلى »

قلت = وعابد المسيح أيضا لايرى مجالا للمقارنة بين إلهك وآلهه ... ولكن الأعجب من هذا كله أن تحاجَّ المسيحى بمنطق الإسلام ، ثم تنسى هذا المنطق فى عبادتك لعلى وإنكارك للبعث ! .

قال = ومن زعم أننا ننكر البعث ؟ !

قلت = إيمانك بالتقمص هو الذى زعم ذلك ..

قال = وهل بقى مسوّغ للشك فى حقيقة التقمص .. بعد أن قال به أرسطو وأفلاطون وو ... ثم شرع يعد طائفة من أسماء الفلاسفة وكبار الأدباء ، حاشدا إياهم جميعا فى صف التناسخيين ، ليستخرج من ذلك فى زعمه البرهان الذى لايدفع على صدق عقيدته .. فلم أتمالك ضحكة تعجُّب ، ثم قلت = ياصاحبى . إذا صح هذا فهو دليل على أن التقمص مذهب فلسفى اخترعه بعض الخياليين ليرضوا به أهواءهم ، أو ليفسروا به ما أعجزهم من طلاسم الحياة ، ولعلك قرأت أثناء دراستك الثانوية كلمة « كونت القائلة : قد يبدو من المستغرب ، ولكنه أكيد ، أن عقلنا لايستنبط نتائجه من الطبيعة ، ولكنه يعزوها إليها .. » وهذا يعنى أن كثيرا مما زعمه « الكبار » قوانين كونية وحقائق حتمية لا وجود لها إلا فى أخيلتهم وحدها .. وأنت حين ترجع بمذهبك إلى تأملات الإنسان فلك حريتك ولاحق لنا عليك ، أما أن تنسب خرافة التقمص إلى الإسلام ، وتحاول إثباتها بالقرآن ، فهنا المهزلة التى لايصح عنها سكوت ..

قال = وكيف إذن تؤول تلك النصوص القرآنية التى تؤكد التقمص ! ..

ثم أخذ يعرض الآية تلو الأخرى ، فى نسق يصور شدة اهتمام القوم بهذه الناحية .. حتى إذا إستنفدَ محفوظه منها أخذت أعقب عليها بما يوضح مدلولها اللغوى والموضوعى ، على ضوء الروح العام للمعانى القرآنية .. وكان يستمع إلى مبهوتا كالذى يشهد انهيار منزله الوحيد بفعل العاصفة دون أن يستطيع حراكا ! . غير أنه مالبث أن قذف بآخر أسهمه حين قرأ قصة الذين عَدَوْا فى السبت من بنى إسرائيل فقال لهم الله = « كونوا قردة خاسئين ... وجعل منهم

القردة والخنازير .... » ثم أردف ذلك بلهجة المنتصر = « وهل ثمة مجال للتأويل خارج قوانين التقمص » ؟!

وقلت = لو أنك قرأت كلام المفسرين فى موضوع هذه القردة والخنازير لخفت حماستك .. ولكن علة الشباب دائما غروره .. فهو قلما يحاول الوقوف على ماعند سواه أو الشك فى ماعنده .. ولا بأس أن أذكر لك أن بعض ماقيل فى تفسير هذا المسخ إنه ليس ثمة تحول مادى انتقل به الإنسان إلى جسم قرد أو خنزير ، وإنما هو تحول معنوى يصور به القرآن مدى الانحطاط العقلى فى هؤلاء العصاة ، حتى كانوا لايمتازون عن القردة والخنازير إلا بهيئاتهم البشرية ، ففيهم من القردة طباع الاستكبار والتقليد وما إلى ذلك من مميزات هذه الحيوانات ، وفيهم من الخنازير قذارة النفوس التى لاتفرق بين الخبيث والطيب ، والأسوأ والأفضل ، وهى الصفات التى تكاد تكون الطابع الرئيسى فى معظم الجنس اليهودى إلا من رحم الله ..

نعم .. لقد ورد عن رسول الله (ص) فى الصحيحين قوله = (فقدت أمة من بنى إسرائيل لايُدرى مافعلت ! . وإنى لأراها إلا الفأر ...) وورد قريب من ذلك فى الضب ... ولكن هذه الأخبار جميعها لم تقطع قط بأن هؤلاء الممسوخين قد بقيت أنسالهم فى الضباب والفئران ، وإنما تمثل ظنا شخصيا محضا من الرسول (ص) . ثم انتهى هذا الظن باليقين وذلك فى قوله الذى رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود (رض) : « قال رجل عند رسول الله ﷺ : القردة والخنازير هى مما مسخ ! » فقال (ص) : « إن الله لم يهلك قوما ـ أو يعذب قوما ـ فيجعل لهم نسلا ، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك .. » ومعنى هذا أن المسخ ـ إذا وقع على الصورة ـ فإنما هو حادث محدود ، كان نوعا من العقوبة الخاصة أخذ بها قوم بعينهم ثم انتهت بانتهائهم [1]

وعزّ على الفتى أن يرفع يديه أمام هذه الحقائق ، وتعذر عليه الإقرار على نفسه ، فقال متململا « إذن فلنرم بكل أقوال الفلاسفة والحكماء إلى قاع البحر » ! .

---

(١) أورد ابن كثير بسند جيد عن مجاهد فى قوله تعالى (... كونوا قردة خاسئين) قال « مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة .. ومثل ذلك فى سند آخر عن أبى العالية قال « يعنى أذلة صاغرين ... » ولكن ابن كثير يرجح أخيرا حصول المسخ الصورى مستدلاً على ذلك بروايات قوية عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قلت: « ومَن هؤلاء الذين تسميهم فلاسفة وحكماء ؟ ! . وماشأنهم فى دين الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! .. وأنت لو فكرت قليلاً لعرفت أن هؤلاء المسوخ الكبار هم الذين شوهوا جيلة الإنسانية ، إذ جعلوا دأبهم خلق المسوّغات لكل باطل يجدون فى أنفسهم نزوعا إليه ، ومن هنا كانت رسالة النبيين صلوات الله عليهم وسلامه أفضل تصحيح لأخطاء هؤلاء الذين تسميهم حكماء ! »

وقصص أخرى

ولقد كان هذا الحوار مع فتى منهم مثقف موهوب .. فما بالك بمن هو دونه فى الموهبة والثقافة ، وماذا تنتظر من الطالب الذى أصبح يتلقى هذه الأفكار فى سن مبكرة ، لتحصنه من حقائق الإسلام التى لابد أن يتعرض لها مدرس التربية الإسلامية ! ..

ولقد حدثنى مدرس آخر أن تقرير هذه الحقائق كلَّفه الكثير من راحته ، وعرضه للكثير من المخاطر .. وكان ذلك حين جرته المقررات إلى الكلام عن أصول الأفكار الدخيلة وتسللها إلى الوسط الإسلامى أثناء العصور العباسية ، فعرض لموضوع التناسخ ورده إلى المصادر الهندية ، ثم أوضح مباينته للحقائق الإسلامية وللتفكير الصحيح . فإذا هو يواجَه بعاصفة من الاحتجاج والتهديد من قِبَل التناسخيين الذين قال كبيرهم له: « إن التقمص من عقائدنا الأساسية ، ولن نسمح لأحد بالتعرض لها ... » ولكن المدرس أصر على حقه فى البحث وكان مما قاله لتلاميذه الصاخبين: « إن القانون الأساسى للدولة لايعترف إلا بالأديان الآلهية.. ولابد لكل فرد من أن يعين نسبته إلى أحدها .. فإلى أيها تنتسبون ؟ .. قالوا إلى الإسلام . قال المدرس: « إذن فلا مندوحة لكم من أن تعلموا حكم الإسلام فى التناسخ ، الذى يعتبر المؤمن به كافراً بدين الله ... »

ولم يجد هؤلاء الطلاب مايردون به على أستاذهم .. فسكتوا مكرهين ، ولكن أحدهم أبى أن يكتفى بالكلام فجاء فى يوم تال بمسدس .. ولكن الإدارة اكتشفت أمره فى الوقت المناسب ، ففصل من المدرسة ، ووقف الأمر عند هذا الحد .

وحدثنى صديق موثوق بأن ولداً له قد جاءه ذات يوم بشاب من القوم يريد أن يتزوج من فتاة مسلمة ، ويأباه أهلها لاختلاف الدين ، مع أنه مسلم من رأسه

إلى أخمص قدمه ! .. وحسبه دليلا على إسلامه مواظبته على حضور الجماعة مع المصلين فى كثير من الأوقات ..

وكان الصديق ممن لايؤخذون بالظواهر فقال للشاب:« إذا كنت مسلما حقا فتبرأ من كل دين يخالف الإسلام .. ولك على أن أسعى لتزويجك من الفتاة .. »

غير أن الشاب الذى كان يؤكد إسلامه بأغلظ الإيمان وضروب البرهان سرعان ماسحب ادعاءه ، وراح يقول فى صراحة محزنة :(إن هذا قد يكلفنى حياتى ... لا .. لا .. لاأستطيع أن أتبرأ ..)

وكانت تلك خاتمة التمثيلية ... ولكنها خاتمة تثير عددا من الاستفهامات
– لماذا إذن كان قبل لحظة يصر على ادعاء الإسلام ، ويحلف على ذلك بأغلظ الأقسام ؟! ..
– ولماذا كان يتكلف حضور الصلوات مع المسلمين وهو على غير ملتهم ؟ !! ...
– وأخيرا ... من أولئك الذين يهددون حياته إذا هو قد تبرأ من كل دين يفارق الإسلام ؟ ! ...

غليان =

أمامى الآن رقعة صفراء كتبت لتكون تميمة تعلق تحت الإبط–كما أشير فى أسفلها – وقد وجدت على مكتبى عقيب مغادرة صديقين من شيوخ النصيرية كانا فى زيارتى ... ويظهر أنها سقطت من أحدهما وهو يضع على مكتبى بعض الأوراق فلم ينتبه ولم ننتبه إليها ، حتى شاء الله أن يعثر بها زائر آخر فإذا هو ينظر فيها ثم يقول = كيف استطعت الحصول على كل هذه الأسرار !! قلت : وأى أسرار تعنى !! ... فأخذ يقرأ على من الورقة : « بسم الله الرحمن الرحيم . قوله تعالى : الله أكبر الله أكبر وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما . لبابك قاصد . وإلى اسمك ساجد . لذاتك بالحقيقة عابد . سجدت وسجد وجهى البالى الفانى لوجهك الدائم الباقى ... ياعلى لك الأحدية .. ياعلى لك الأنزعية . ياعلى لك المعنوية . ياعلى لك الإلهية. ياعلى لك الأزلية . اللهم آمنت بظاهرك وباطنك .. ظاهرك إمام ووصى ، وباطنك غيب لايدركه أحد .. ياعليا ياعظيم .. »

وقرأ على الوجه الثانى من الورقة =

« بسم الله الرحمن الرحيم . قوله تعالى = إنا فتحنا لك فتحا مبينا . أشهد وأقر بأن مولاى أمير المؤمنين صاحب الفتح المبين اخترع السيد محمد - كذا - من نور ذاته فجعله حجابه ورسوله الكريم لا متصل به ولا منفصل عنه . بل هو منه كالشعاع من القرص أو كالنظر من الناظر ، وأشهد أن السيد محمد - كذا - مخترع السيد سبحان وباريه فجعله باب -كذا - وسبب الأسباب ، لادخول إلا منه ولامعرفة إلا منه وبه .. وأشهد أن السيد سبحان اختص لنفسه الخمسة الأيتام الموكلين بترتيب الأمم .. فزدنا اللهم بهم مددا ، وثبتنا على رأى شيخنا الحسين بن حمدان » ..

.. ودهش صديقى لما قرأه ، ولكن دهشته كانت أكثر عندما رآنى لاأشاركه شعوره ، ومن حقه أن يعجب لأنه يطالع هذه الأشياء أول مرة فى حياته ... ومن حقى أن أجمد بإزائها لأن الذى أعرفه من أسرار الجماعة أبعد مدى من هذا كله ... بل لعل أقل ماأعرفه من أسرارهم هو ماتصرح به هذه الورقة من أن عليا هو الله ، وأنه هو خالق محمد ! . فهناك شئون أخرى لاتتسع هذه التميمة لها ، وأكثرها تداولا على ألسن الشيوخ ذلك التثليث الذى لايختلف كثيرا عن الأقانيم الثلاثة ، إذ يقرن بين على ومحمد وسلمان فى رمز مقدس واحد هو (عمس)[1] ثم يتخذ هذا الرمز حكما فى أخطر المشاكل . فبسر هذا (العقد) تنحل المخالق وتنكشف الحقائق ، ويعترف المنكر بما لاتستطيع قوى الدنيا أن تنتزعه من ذات صدره ! .

وذات يوم كنت أقرأ مقدمة لديوان من المراثى نظمها أصحابها فى أحد شيوخهم . والظاهر أن كاتب المقدمة لم يعرف الشيخ الفقيد فجعل مقدمته بحثنا عن الفكرة الإسلامية فى ذلك الجبل ، ومايحيط بها من شوائب تسربت إليها من بعض التعاليم الأعجمية ، ثم اتخذ من شهادة مئة راث لهذا الشيخ دليلا على أننا فقدنا به رجلا من الصالحين ! . وكان هناك صديق من شعراء ذلك الديوان هو

---

(١) يرمز الصينيون إلى معبودهم بوذا بكلمة (فو) ويزعمون أنه ذو ثلاثة أقانيم ، وأنه واحد فى ثلاثة أشكال ، وكذلك أشياع (تاو) الصينيون أيضا يعبدون مثلثا ويرمزون إليه بهذه الثلاثة الأحرف .. فهل ثمة من علاقة أصلية بين (عمس) و(فو) أو (تاو) ! . انظر ص ٢٤ من (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) لمحمد طاهر التنير ...

أحد تلاميذ الشيخ ، فلما اطلع على ماأقرأ لم يتمالك أن يرسل ضحكة مجلجلة ثم قال: « لقد كانت تسبيحة شيخى المألوفة دائما « ياعلي لك العبادة » وتابع « لعلك تقول أنه يريد بذلك الله العليّ ! .. وأنا أقول لك:« إنه لم يرد غير على الأنزع البطين[1] ...

وكانت فتاة نصيرية تتردد على أهلى .. وشهدت النسوة ينهضن للصلاة فى أوقاتها ، فيسبغن الوضوء وينتصبن للعبادة فى جلابيبهن البيض خاشعات قانتات ، فتعمل هذه المشاهد عملها المؤثر فى قلب الفتاة ، فلا تتمالك أن تذرف الدمع . وذات مرة قالت لزوجتى « هنيئا لكن .. إنكن تعرفن الله .. وتصلين له .. وعجبت زوجتى مما سمعت وقالت «وأنتن .. ألستن مثلنا ؟ » فأجابت الفتاة فى حزن عميق « هيهات » ! .. نحن محرومات وليس للمرأة عندنا أى حق بالاطلاع على الصلاة ..[2] وإذا اجتمع الرجال للصلاة أخلوا المكان من كل مخلوق سواهم ! . ولقد كدت أفقد حياتى ذات ليلة ، إذ حفزنى حب الاستطلاع إلى المغامرة ، فهممت بالتسلل نحو مكان الاجتماع ، ولكنى فوجئت بالحرس الذين أبعدونى بالقوة ! .

ثم شاء الله أن اجتمع فى حماة بفتى منهم كان مشحون الصدر ثورة بهذه التقاليد العمياء ، وراح يحدثنى بما أعرف وأجهل ، ثم جاءنى بنسخة كاملة من أشعار « المكزون »[3] عليها شروح خطيرة بقلم واحد من أساطين الباطنية فى هذا الجبل ، وهى شروح تضع بين يديك عقيدة « ابن حمدان » كما توارثها كبار شيوخ القوم حتى هذا اليوم .. ولكنها على غرائبها لاتعدو أن تكون صورة مكبرة لهذه العجائب التى أبسطها فى هذه الصفحات ..

---

(١) يريدون « الأنزع من الناسوت ، البطين من اللاهوت ، وهو من مصطلحاتهم الخاصة . انظر تفصيل ذلك فى الجزء الثانى .

(٢) فى (الباكورة) أن النصيرية كانوا قبل تكوين العالم أنوار أو كواكب ، وقد ارتكبوا بعض الخطايا فأهبطوا إلى الأرض بمعصيتهم ، ثم خلق على من معصيتهم الأبالسة والشياطين ، ومن ذنوب هؤلاء خلق النساء ، ومن هنا كان حرمانهن حق الدين . وفى تعاليم اليهود المقدسة (أن الأجرام السماوية هى صالحو الملائكة ، وأرواح اليهود جزء من الله . لذلك كان الإسرائيلى معتبرا عند الله أكثر من الملائكة . (انظر الكنز المرصود فى قواعد التلمود) ص ٥٣ و ٦٠ و ٦٦ فهل التشابه بين القولين من قبيل الصدفة .

(٣) المكزون من شعرائهم القدامى وديوانه من الذخائر المقدسة لدى شيوخهم .. ولا يطلعون على مجموعه إلا من ارتضوا .

وأذكر أن أحد زملائى من مدرسى العربية قد نقل إلى ذات يوم عن لسان الشاعر المعروف الأستاذ (سليمان ...) – من نصيرية اللواء – طرفا من مفاهيم القوم لم أكن قادرا على تصديقها يومئذ ، فأعلنت له شكى فيها ، واتهمت الشاعر بأنه يبالغ فى الموضوع لأسباب حزبية .. فلما وقعت بنفسى على هذه الحقائق أيقنت أنى ظلمت الشاعر ، وأنه لم يفض إلا بالنزر اليسير . والقارئ الذى يعى أسرار هذه التميمة ، يدرك جيدا أنها ليست فى الواقع إلا شحنة من تلك « المخدرات » التى يتاجر بها كهنة الباطنية فى هذا الجبل المسكين .. على حين غفلة من رقابة القوانين ! .

أما هاتيك الاعترافات التى سردتها لك آنفا فليست فى حقيقتها سوى زفرات محرقة تمثل روح التذمر الذى بدأ يكتسح الجيل الجديد بأجمعه بإزاء هذه الشواذّ .. وإنه لتذمر ، بل غليان ، سيكون مصدر انفجار جد مروع إذا لم توضع له الصمامات التى تحوله إلى طاقة بناءة ! ...

والويل للقيم الروحية وللمثل العربية يوم ينطلق الانفجار فى طريق الإلحاد المدمر ! ..

مسرحية التكريس[1]

وكنت أسمع العجيب الغريب عن مسرحية التكريس التى يشهدها ويمثلها طالب الديانة عند الاحتفال بإعطائه الأسرار .. حتى شاء الله أن يرزقنى الاطلاع عليها من حيث لاأحتسب ، فإذا هىَ فوق الخبر .. إنها لمسرحية لا مثيل لها فى المسرحيات إلا مايمثله « عميان » المحافل الماسونية فى الاحتفالات ذات الطابع الدرامى ..

ولعل مما يمتع القارئ أن أنقل إليه فيما يلى بعض المشاهد من هذه المسرحية ليكون لديه صورة متماسكة عن مؤلفيها ومخرجيها وممثليها .. وقبل عرض الموضوع لابد من لمحة صغيرة تصور للقارئ جوّه ومناسبته ، فالديانة النصيرية كنز مستور لايظفر برؤيته إلا أهل الحظوظ من الذكور المقبولين ، المشهود لهم بالقدرة على تحمل أسراره ! .. ومن أجل ذلك كان المألوف أن الرجل العادى

(١) كرس البناء = أسسه والشئ خصصه لخدمة الله ، والكلمة من الدخيل ...

لاينال أمانة الديانة إلا فى حدود معينة من السن والكفاية العقلية الخاصة ، إذ يرشحه وليه أو سواه لهذا الأمر ، فإذا وافق الشيخ على ذلك شرع بعرض المسرحية حتى تستكمل أدوارها .. على أن شرط السن قد تطوز مؤخرا وأصبح فى الإمكان قبول الحَدَثِ إذا شُهد له بالميزات النفسية الضرورية ، وقد حدث هذا التطور جزئيا مع الظروف التى أحدثها انتشار العلم ، إذ أصبح القوم يخشون على بنيهم أن تبتلعهم التيارات المدرسية ، فتنقطع صلتهم بالدين نهائيا ، لذلك كان لابد من تحصينهم بهذه الأمانة ولو فى سن مبكرة ، مكتفين من الشروط بواحد فقط هو الكتمان .

ولمسرحيتنا هذه مكانها .. وهو خلوة بعيدة عن أعين الناس غير المدعوين ، ولها زمانها الذى يتألف من ثلاث مراحل ، بين الواحدة والأخرى مابين سبعة إلى تسعة أشهر . وأما شخوصها فهم طالب الديانة ، ومعه وليه والشيخ الذى يختاره « مكرسا » ثم مجموعة من الشيوخ الذين يدعون لحضور الحفل .. ويبدأ عرض المرحلة الأولى بحوادث لاتتجاوز تعريف الطالب بشيخه الذى سيتولى قيادته الروحية طوال حياته .. وتقتصر على شرب السر ، وهو عبارة عن كأس من نقيع الزبيب أو التمر أو الخمر ، يتناوله الطالب بأمر أحد الشيوخ الذى يتخذ هنا صفة المرشد ..

وأهم شئ فى المشهد الأول هو هذه النتف المركزة من الحوار التلقينى =

المرشد = – للطالب – اشرب وقل لشيخك = سرك .. ياسيدى فلان (ويسميه) .

الطالب = – مرددا – سرك ياسيدى ......

الشيخ = اشرب سرى وأسرارى برضاى واختيارى(١)

---

(١) لابد هنا من الإشارة إلى أن الخمر هى الشراب المفضل فى مثل هذا الموقف ، وهم يسمونها « عبد النور » وفيها يقولون .. « إذا حضر بينكم عبد النور فامزجوه بالماء لئلا يخل بالعقل ، لأن الصرف سلطان جائر مذموم ، والمزج سلطان عادل محمود » ، ومن أقوال شعرائهم فى الخمر ، وهو مما يتداوله الشيوخ بخاصة ....

وصهباء من بنت الكروم ذخرتها ... لشرب صديق عنده مثل ماعندى
يوافقنى بالعقل والرأى والهوى ... ويشبهنى بالخَلق والخُلق والود
فصنا خفاياها عن الناس كلهم ... وأخبار صدق أوردوها عن المهدى
أنا لا أعيب الراح كرها لشربها ... ولكن أعيب الراح مع دنس وغد
كما قال زين العابدين لصحبه ... حلال لكم فيكم حرام مع الضد =

المشهد الثانى

وكثيرا مايبدأ هذا المشهد بعد حفل خاص يدعو إليه الطالب أو وليه ، وفيه تقام صلاة ظاهرية أو باطنية .. أما الحضور فالطالب طبعا وعدد من الشيوخ بينهم قائده الروحى .

يغسل الطالب يديه بماء مطيّب أعد لهذه الغاية .. ثم يقدمه المرشد إلى مابين يدى الشيخ ، وقد عقدت يداه فوق السرة كما لو كان فى صلاة .. وحنى رأسه بمساواة الظهر إظهارا للاحترام .. وبعد أن يقبل الأرض ثلاثا بأمر المرشد يجرى الحوار التالى ... =

الشيخ المرشد = (هامسا فى مسمع الطالب) = إخوانى المؤمنين . أسأل الله وأسألكم بشمس الجلال وبدر الكمال ، أن تسألوا لى شيخى وسيدى

= وأنت ترى فى هذه الأبيات صورة عن عقيدة هؤلاء فى التقية والخمر ، وفى اختراع الأقاويل عن لسان الأئمة الطاهرين من أهل البيت .. ومن أقوال الخصيبى – ابن حمدان – المقدسة =

لاتشرب الراح إلا مع أخى ثقة   مهذب عارف بالـعين والميم

فهو ينهى النصيرى عن إظهار الشرب إلا مع رجال من نحلته يؤمنون بعقد (عمس) الذى يرمزون به إلى الظهور المحمدى (على ومحمد وسلمان) وقد حذف السين اكتفاء بالحرفين لضرورة الشعر ، ومن هنا جاء انتشار الخمر وصنعها فى أوساط الجبل ، إذ هم يرون فيها بالأصل معنى من القداسة تفسره الأبيات السابقة ، ويؤكده ذلك البيت الآخر الذى يردده بعض الشيوخ فى الخلوات الخاصة = راح تريح أخا الهدى وتزيد ذا ..... التوحيد إيمانا على إيمانه

وأذكر أننى قدمت مع إخوان لى ذات يوم إلى إحدى القرى لتعزية صديق من الشيوخ فى أبيه .. ولما دخلنا قاعة الاستقبال كانت روائح العرق تشحن القاعة الواسعة ، وكانت عيون الحضور ، وكلهم من الشيوخ ، غارقة فى حمرة تنم عن أنهم كانوا يعبونها صرفا لا مزجا ! ..

وحضرت فى يوم من رمضان إفطارا لدى صديق فى قرية أخرى ، وكان أغرب ماهنالك من ألوان المائدة (بطحة عرق) فى يمين أحد المعمَّمين راح يكرع منها مع الطعام .. وهو يسمى الله ! .. مما بعث الخجل فى نفس صاحب الدار فلم يتمالك أن قال له = كان عليك بالأقل أن توقر وجود ضيفنا فلا تؤذيه بمنظر المحرمات ! .. ولكن الشيخ سرعان مارد عليه فى تصميم = وهل هذا من المحرمات ! .. كلا ... إنه العرق ... والله إنما حرم الخمر .. » ثم أخذ يتلو قول الله (.. إنما الخمر ... رجس ...) ثم يعلق بقوله = هل ترون هنا ذكرا للعرق !! .. »

ولانذهب بعيدا فقد علم كل سكان جبلة أن قاضيا شرعيا من هؤلاء كان لوقت قريب يملك معصرتين متواضعتين لاستخراج الخمرة برسم التجارة ! . وقد نسى هؤلاء – أصلحهم الله – أن عليا الذى يذكرونه فى كل مناسبة ، والذى يمثلون على ذكره كل تلك المسرحيات ، هو هو عدو الخمر الجالد شاربها ... وما أحكم قول أبى العلاء لهؤلاء =

جعلتم عليا جُنَّة وهو لم يزل   يعاقب من خمر على حَسَواتِ !

فلانا – ويسمى قائده الروحي – أن يقبلني عبدا وخادما أخدمه طوال عمري ، ويعرّفني طريقي إلى الله ..

الطالب = (مرددا كلمات المرشد بصوت مسموع) = إخواني ..... الخ

الشيوخ = (لسيد الطالب) = إن هذا التلميذ يسألنا بشمس الجلال و... أن تقبله عبدا وخادما وتعرّفه الطريق إلى الخ .....

الشيخ = (يقرأ الآية) = فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ..) .. إنني أقبله على شرط أن يعقده – يكفله – لى فلان – ويسمى أحدهم – عقدا وثيقا ...

(.. يتقدم الطالب من الشيخ المسمَّى ويمسك بيد شيخه كمصافح ، فيأخذ الشيخ الكافل منشفة بيضاء فيها المصحف[1] ومعه كأس من نقيع الزبيب أو التمر أو .. ثم يجعل يمناه فوق الجميع ويشرع في قراءة خطاب طويل ..)

الشيخ الكافل = (يقرأ) بسم الله ، وعلى شريعة رسول الله ، ورأى الشيخ أبي عبد الله[2] أعقد بينكما عن تراض وقبول كل منكما ، على أن كلا منكما

(١ و ٢) فى « الباكورة السلمانية » أن فى المنشفة كتاب (المجموع) لا القرآن ، والمجموع هو مصحف أبي عبد الله الحسين بن حمدان الذى ينطوى على السور الست عشرة مضافا إليها بعض النصوص المقدسة الأخرى .

أما ابن حمدان هذا فهو أبرز الشخصيات المقدسة فى هذه النحلة ، ويعرفه أحد النصيرية فى العدد الأول من مجلة (الأمانى) التى كانت تصدر فى اللاذقية عام ١٩٣٠ بأنه (من أقارب سيف الدولة الحمدانى .. فساعده هذا الأمير على بث دعوته .. والتف حوله من الأمراء والشعراء والمؤلفين العدد الكثير فأخذوا عنه ونشروا دعوته فى سورية والعراق ومصر وبلاد العجم وفارس وغيرها ....)

ويعرفه صاحب (الأعلام) الأستاذ الزركلى بأنه = زعيم طائفة النصيرية فى عصره ، مصرى الأصل ، رحل إلى جنبلا فى العراق العجمى ، وتتلمذ لكبير دعاة النحلة عبد الله بن محمد الجنبلانى . ثم خلفه فى رئاسة الطائفة الدينية ، وانتقل إلى بغداد ، واستقر فى حلب إلى أن توفى ، وقبره فى شمالها معروف إلى الآن . وكان له وكلاء فى الدين والسياسة . ثم ذكر بعض مؤلفاته وحدد وفاته بسنة ٣٥٨ هـ . ويظهر من عبارة الأعلام أن مؤلفه تأثر بتعريف صاحب (تاريخ العلويين) الذى أسلفنا ذكره فسمى النصيرية بالعلويين ..

(لسان الميزان) لابن حجر العسقلانى مايلى (الحسين بن حمدان بن الخصيب الخصيبى أحد المصنفين فى فقه الإمامية ، ذكره الطوسى والنجاشى وغيرهما .. وقيل إنه كان يؤم سيف الدولة ، وله أشعار فى مدح أهل البيت . وذكر النجاشى أنه خلط وصنف فى مذهب النصيرية واحتج لهم فكان يقول بالتناسخ والحلول ..)

ومما تقدم نلاحظ أمرين =

١ – أن الكاتب النصيرى أخطأ فى جعله ابن حمدان هذا من أقارب سيف الدولة ، لأن اسم (الحسين بن =

يؤدى إلى صاحبه مايقتضى عليه من شريعة الله ورسوله بين هؤلاء السادة والحاضرين ، وآخذ عليكما بذلك عهد الله وميثاقه المأخوذ على أوليائه الصادقين ودعاته الناطقين ، عقدا لايحله إلا الكفر بعد الإيمان ، والإنكار بعد العرفان .. (وهنا يأخذ فى تعداد حقوق كل منهما على الآخر) =

فعلى السيد أن يؤدب الطالب بأقواله ، ويهذبه بأفعاله ، وألا يكلفه شططا ولايُحَفِّظه غلطا ، وأن يحمله على الطريقة السهلة ، ولايعدل به عن نهج العلة ، وأن يجنبه طريق الشهوات ...

وإن حق السيد على تلميذه ألا يعصى له أمرا ، ولايهتك له سترا ، ولايوالى له عدوا ، ولايعادى له وليا ، وقول السيد مقبول فى حق تليمذه ، وليس لهذا قول مقبول فى سيده ... »

وفى نهاية الخطبة يرفع المنشفة والقرآن وهو يتلو : لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .. »

الشيخ السيد = (يضم التلميذ تحت يده اليسرى ، وفى يمناه الكأس ، موجها الكلام إلى مجموع الشيوخ) : سادتى .. لقد وقفنا على سادة فضلاء ، وشيوخ نبلاء فهل تأذنون لى أن ألقى على هذا الطالب كلمة عالية !!

الشيوخ = (يقرؤون) = « فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم » ....

الشيخ السيد = (يسقى الطالب من الكأس ثلاث جرعات وهو يقرأ) = عين ... ميم ... سين .

(ويتقدم هنا أحد الشيوخ فيشير إلى الطالب بالركوع ثم يوجه إليه بعض التوصيات التى تدور حول ضرورة التشدد فى الكتمان ... وبذلك يختم هذا المشهد) .

المشهد الثالث

يسبق المشهد – كالأول – نفقة – وليمة – يقوم بها الطالب أو وليُّهُ ،

= حمدان)هذا يشترك فيه رأس الدولة الحمدانية الذى كان مصيره القتل عام ٣٠٥ بسبب خروجه على الخليفة وقيامه ببعض الثورات . ثم الحسين ابن حمدان الذى هو موضع البحث ، ويميز عن سابقه بنسبة الخصيبى كما قدم له صاحب (الأعلام) .

ب – أن الرجل كان من الشيعة الإمامية ثم زاد فى غلوه فانحاز إلى النصيرية فخلط وصنف ونادى بالتناسخ والحلول ..

ويدعى إليها جمع من الشيوخ بينهم الشيخ السيد .. ولابد فى هذه الحفلة من ذبيحة وطعام وصلاة و .. زكاة محتومة تقدم للشيخ حسب مقدرة الطالب ، على ألا تنزل عن واحد وخمسين درهما بعدد الركعات[1] والدرهم يقدر هنا من قبل أحد الشيوخ ، فقد يكون ليرة أو أقل أو أكثر ..

ويبدأ المشهد بغسل يدى الطالب على الطريقة السابقة ، ويعطى بعض الرياحين العطرة .. ويقبل الأرض ثلاثا بأمر المرشد ، ثم يقف حانى الرأس والظهر ..

المرشد = (ملقنا الطالب) = إخوانى وسادتى .. الله يصبحكم - أو يمسيكم - بالخير والإقبال ، بحق طه ومريم والأنفال ، ويفسح لكم البارى فى الآجال ، ويقيكم شر الأهوال ، ومظالم أهل الضلال ..

الطالب = (مرددا كلمات الشيخ) = إخوانى وسادتى ... الخ

المرشد = (متابعا تلقين الطالب) = إخوانى .. عرفتمونى شيئا من طريقى إلى الله وهاأنا أرجو أن تزيدوا فى هدايتى ومعرفتى بالله ..

الطالب = (مرددا) = ... عرفتمونى ...

كبير الشيوخ = (ويسمونه شيخ الحضرة) = يابنى .. سألت صعبا مستصعبا .. إن سر الله سر مستسر كالجوهر والدر لايحمله إلا ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان ... فهل تستطيع أن تحمل سر الله !!

الطالب = (مرددا مع المدرب) = ستجدنى إن شاء الله صابرا ولاأعصى لك أمرا ..

كبير الشيوخ = هل تتحمل القتل ذبحا وشنقا وتمثيلا ولاتبوح بهذا السر ؟!

الطالب = (مرددا مع المدرب) = أحمل إن شاء الله ....

الكبير = إنك طالب حاجة ، ولو قلت لك هل تحمل الجبال الرواسى .. لأجبت بنعم ... ويصرخ فى غضب مصطنع أخرجوه من هنا !..

المرشد = (يدفع الطالب إلى الوراء وهو يقول للشيخ) = أنعم سيدى ... أنعم ..

الكبير = مامرادك أحسن الله معادك ؟ ..

المرشد = السماح لهذا الطالب بالمثول بين أياديكم .. (ويقدم إليه الطالب) .

(١) انظر تفصيل ذلك فى الجزء الثانى = قداس (أشخاص الصلاة) ..

الكبير = مامرادك أيها الطالب ؟ ...

الطالب = الإطلاع على سر الله ..

الكبير = هل تتحمل القتل ؟ ....

الطالب = إن شاء الله ..

الكبير = أريد منك مئة كفيل على ألا تبوح بهذا السر ..

الشيوخ = (يقرؤون) = (.... ثلاثة فى الحج .. وسبعة إذا رجعتم .. تلك عشرة كاملة) .

الكبير = أحضر الكفلاء العشرة ..

المرشد = (يلتفت بالطالب إلى الشيوخ) = الله يصبحكم بالخير[1] .. ياإخوانى العشرة ..

(وهنا ينهض عشرة من الشيوخ وقوفا) .

الطالب = (متابعا كلمات مدربه المرشد) = اكفلونى واضمنونى على حفاظ سر الله ، والتمسك بشريعة رسول الله .. وأنتم أبرياء من كل خطيئة أرتكبها .

العشرة = شهدنا بما سمعنا ، والله خير الشاهدين .. (ويجلسون) .

الكبير = الكفلاء والضامنون يموتون ولا يبقى إلا الحى القيوم ... أريد منك ثلاثة يكفلونك على حفاظ السر وإقامة الشريعة (ويشير إلى ثلاثة من الشيوخ مسميا إياهم ..)

الطالب = (مرددا مع المدرب) = إخوانى .. اكفلونى واضمنونى ....

الثلاثة = شهدنا بما سمعنا ....

الكبير = لاأستطيع إحضار هؤلاء الثلاثة فى كل وقت ، وأنا أريد منك ثمانين يمينا على كتاب الله ...

(ويؤتى بالمصحف فى المنشفة البيضاء ، ويقدم فى احترام إلى الطالب الذى يتلقاه بيسراه ، ويتجه به إلى الكبير واضعا فوقه يمناه .. وهنا يقرأ الشيوخ الفاتحة .. ثم يدعون للطالب بالثبات والهداية ، ومن ثم يأخذ الشيخ بتحليف الطالب الذى يردد معه صيغة القسم وهو جاثٍ =

الطالب = أقسم بالله – ثلاثا – وبكتاب الله .. أول يمين بالله وثانى يمين

(١) هذا إذا كان الاجتماع صباحا ، وإلا كانت التحية بلفظ المساء ..

بالله .... ووو ... وعاشر يمين بالله ، وعشرين يمينا .. وثلاثين .. وأربعين ...

(وهنا يرفع الشيخ الطالب ، فيقف ويتابع القسم حتى ينتهى به إلى الثمانين ..) (ثم يختم هذه الأيمان كلها بجوابها مرددا مع مدربه) = إن هذا السر الذى يلقيه إلى شيخى - ويسميه - لاأذيعه ولاأمارى به ولاأكتبه ولاأشير به إلا لأخ من إخوانى المؤمنين ينادئنى وأبادئه .. والله على ماأقول وكيل وشهيد . (وهنا ينهض شيخه ، ويتناوله بيده اليسرى سائلا الشيوخ أن يسمحوا له بالاطلاع على السر ، فيسمحون مرددين) = فإن آنستم منهم رشدا فآتوهم أموالهم ....

الشيخ = (يلقن الطالب) = بدأت فى أول إجابة بولاية أبى تراب حيدرة ، واستفتحت بذكره ..

(ويمضى على هذا النحو بقراءة بعض مايسمونه « سورة الفتح الأول » وهى كلام طويل) .

الطالب = (مرددا مع شيخه) = بدأت فى أول .... الخ

الشيوخ = (أثناء ذلك يترنمون فى نغم تقليدى) =

بى يمنةً إن كنت بى حفيًّا على اللوى واستوقف المَطيا
وخلِّنى والمنزلَ الخليا لسقيه من الدموع ريا

(وعند قولهم لسقيه .. يأخذ الشيخ فيسقى مريده جرعة من الكأس ...)

الشيوخ = (يقرؤون) = « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها .... [1]

الشيخ وتليمذه = (يسجدان مرددين) = سبحان ربى العظيم ثلاثا ..

الشيوخ = أللهُ أكبرُ .. أكبرٌ أللهُ ... اسم لمعنى جل من سمَّاه [2] ...

(وينهض الشيخ وتلميذه)

الجميع = (مرددين) إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وماأدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر ...)

---

(١) أو آية فيها ذكر السجود .

(٢) الكلام منظوم كبيت من الكامل ....

الشيخ والطالب = (عند قراءتهم = سلام هى ...) = السلام عليك أيها النبى الكريم (ويلتفتان يمينا وشمالا . وبذلك ينتهى المشهد الثالث) ...

وبعد هذه التمثيلية يستمر الطالب على الاتصال بشيخه منفردا ، يأخذ عنه بقية التعاليم وبخاصة السور الست عشرة .. التى سبقت الإشارة إليها .[1]

ماسونية وأفلاطونية وصوفية =

ولعل القارئ قد لاحظ فيما تقدم من مشاهد المسرحية ، وقبلها فى أسلوب التميمة مالاحظته أنا من آثار **النصرانية والماسونية والصوفية** ..

أما الطابع النصرانى وبتعبير أدق : الطابع الأفلاطونى فيبدو جليا فى صيغ التثليث المنثورة فى ثنايا التميمة ونصوص المسرحية .. والقول بأن محمدا من ذات على (كالشعاع من القرص أو كالنظر من الناظر لامتصل به ولامنفصل عنه) إنما هو تعبير كنسى قديم وصف به انبثاق الابن بالنسبة إلى ذات الأب .. وأما مجموع الثلاثة (على ومحمد وسلمان) فهو الأقانيم الثلاثة فى العقيدة النصرانية ، بل إن طريقة التسلسل الذى تصف به عقيدة النصارى علاقة كل من الأب والابن والروح القدس بعضهم ببعض ، هو نفسه التسلسل الذى تبنته الأفلوطونية الحديثة[2] أضف إلى ذلك شرب السر الذى لايكاديختلف عن تناول القربان المقدس وأخذ الخمرة التى يرمزون بها إلى دم المسيح ، ولاسيما فى تقاليد المعمودية عند الأرثوذوكس ، حيث يتضح بجلاء أن ثمة غرضا واحدا بين الملتين يستهدف تسجيل الطابع الدينى على الفرد فى موكب من التهاويل الرمزية . فكما أن (التكريس) النصيرى تثبيت للمكرَّس فى الحظيرة النصيرية ، كذلك التعليم الكنسى إذ يقول (إننا بالإيمان والعماد حصلنا على الخلاص وعلى نعمة التآخى ..) .

وإلى القارئ بعض ماكتبته مجلة (النعمة) الصادرة فى دمشق فى عددها

(١) أخذنا عناصر هذا البحث بطريق المشافهة من صديق كان واحدا من ذوى المقامات الدينية بين شيوخهم – ولا يزال – ولا حاجة إلى القول بأنه أصبح منكرا فى سره لكل هذه الشواذ التى لا يهضمها عقله ... وسيرى القارئ فى الجزء الثانى من الكتاب صورا شتى لهذه الطقوس ...

(٢) تتلخص أفكار أفلوطين فى الناحية الإلٓهية بما يلى =

الثالث عشر حول هذا الموضوع ليتاح له المقارنة بين الموقفين =

(.. ثم يأتي الكاهن وينفخ في المعمد ثلاث مرات متتالية بشكل صليب .. ويبارك الكاهن الموعوظ .. ثم يرسم الكاهن الموعوظ في جبينه .. ويرسمه في فمه ويرسمه في صدره .. ويقول الكاهن = (تبارك الله ..) ويضع يده على الموعوظ .. فيسأله الكاهن = (أتوافق المسيح ؟ ..) فيجيبه الموعوظ = (نعم أوافق المسيح ..) ثم يكرر الكاهن عليه السؤال عينه ثانيا وثالثاً .. ثم يسأله = (أتؤمن به أنه ملك ؟) .. فيجيبه الموعوظ = (أومن بآله واحد ..) تاليا دستور الإيمان الأرثوذكسي بكماله .. وبعد أن ينتهي الموعوظ من تلاوة دستور الإيمان يأخذه الكاهن من يده ويتجه به نحو الهيكل .. ثم يتقدم به نحو المذبح .. ويرافق كفيل العماد « فيلونه » فيسجد ثلاثا أمام المذبح متعهدا لله بأنه سيحرس المعتمد في الإيمان الأرثوذكسي والسيرة الحسنة والعبادة المستقيمة .. ثم يأخذه مشيراً إلى أنه قد أؤتمن عليه ، وأنه قد ضمن للمسيح بأنه سيكون أبا روحيا للمعتمد) ..

ونلفت نظر القارئ من هذا العرض بخاصة إلى موضوع الحوار والرموز ثم الكفيل والفيلون ، ومايقابل أولئك في مشاهد التكريس .

هذا من حيث الأثر النصراني ، فإذا رحنا نتتبع الأسلوب ، ومايتخلله من مشاهد مسرحية ، ومايغلف هذه المشاهد من روح السرية المغرقة والإيحائية المرعبة ، أدركنا الصلة الوثيقة بين النصيرية والماسونية أيضا ... بل إنك لتتصور

= ا = إنه تعالى واجب الوجود ومنشئ الكل .

ب = أول شئ صدر عن هذا المنشئ هو العقل الذى له قوة الإنتاج ..

ج = إن هذا العقل الفعال قد انبثق عنه الروح الذى هو وحدة الأرواح جميعا ، ثم عن هذا الثالوث يصدر كل شئ .

ومن هذا التزاوج نتجت عقيدة التثليث ، وإن افترقا أحيانا في بعض التفاصيل ، فالأب في عقيدة التثليث يقابل منشئ الكل عند أفلوطين ، والعقل المنتج عند هذا هو الابن وهو الكلمة لدى النصارى ، وليس روح الكل في الأفلوطينية سوى روح القدس عندهم ! .. وقد فصل هذا الموضوع بدقة المستشرق (ليون جوتيه) في (المدخل إلى الفسلفة الإسلامية)

ثم إن هذا الاتجاه الانبثاقي ، نفسه مسبوق العقائد البوذية وبخاصة عند الصينيين الذين يزعمون أن (تاو) هو العقل الأبدى انبثق منه واحد ، ومن الواحد هذا انبثق ثان ، ومن الثاني انبثق ثالث ، ومن الثلاثة صدر كل شئ ..) انظر (العقائد الوثنية في النصرانية) ص ٢٤ و٢٥ وكتاب (مشكلات الجيل في ضوء الإسلام) لمحمد المجذوب .

نفسك تلقاء تمثيلية ماسونية خالصة ، لايختلف عليك فيها إلا الصيغ الأدبية وبعض شكليات العرض ! .

ولاتنس مع ذلك أن ثمة عددا من الأصول الكبرى يجمع بين النحلتين جمعا لايدع مجالا للتردد فى وحدة المصدر ، أحدها الكتمان الذى تلح عليه كلتاهما ، والذى يفرض على كل من أتباع هذه وتلك التحفظ والحذر والامتناع عن أى دعوة إلى فكرته ، حتى لا يتحدث عنها إلا مع أهلها ، ثم إقصاء المرأة تماما عن الحظيرة المقدسة لأنها غير مؤتمنة على أسرارها ، ثم اعتماد كلتيهما على الرمز كوسيلة وحيدة للاتصال والتعارف بين أجناس الأتباع .. واستكمالا للمقارنة أعرض لك هذه الصورة الطريفة عن طريقة التعارف فى الوسط النصيرى .. فقد يحاول أحدهم استكشاف أخ له .. فما عليه إذن إلا أن يبادره بالتحية ، فإذا جاءه الرد عمد إلى بقية الرموز معروضة فى هذه الحوارية الموجزة =

– هل لك أب ؟

– نعم !

– ما اسمه ؟

– حسين !

– هل أبوك شيخ ؟

– نعم !

– كم دورة لعمته ؟

– ست عشرة[1]

ومتى توافقت صيغ الحوار على هذا الوجه وقع الاطمئنان بين الاثنين وزال كل تحفظ ، فهى والحالة هذه أشبه بأرقام الصندوق – فى المصارف – لايعمل

---

(١) يلاحظ القارئ أن هذه الكلمات رموز تتصل بصميم العقيدة ، فالمراد بالأب هو واضع المذهب أو الطريقة أو الديانة وهو الحسين بن حمدان ، أما عدد دورات العمة فيقصد به التسور الست عشرة التى تركها للقوم .

وقد نشرت مجلة الأمانى – اللاذقية – فى عددها الثامن تكذيباً لمقالة كاتب فرنسى عن النصيرية هو (إدوار هلساى) وفيها ينقل طائفة أخرى من كلمات التعارف بين النصيرية ، وكذلك عرض صاحب الباكورة أنواعا غيرها من رموز التعارف بعضها أقرب إلى ماذكرنا ، وهذا إنما يدل على أن رموز التعارف هذه خاضعة للتعديل بين الحين والحين ، أو أنها تختلف باختلاف الطائفة ، لأن النصيرية متعددة الطوائف ، وأشهرها – فى جبال اللاذقية – اثنتان = الكلازية والشمالية .

فيه المفتاح إلا إذا ائتلفت على وضع مخصوص ..

فإذا أنت أضفت هذا إلى مجموع ماتقدمه ، ثم تذكرت طقوس « الماسونية » ورموز التعارف فيها لم يخالجك الريب فى أنك أمام « هيكل » ماسونى تام . ولا عجب فى ذلك .. ومن أين يعتريك العجب إذا تذكرت أن كلتا النحلتين ترجعان إلى نسب واحد من اليهودية .. أما الماسونية فقد انتهى التحقيق فى نسبتها اليهودية إلى اليقين الكامل ، وأما النصيرية فلا تنس أنها فى أصلها البعيد هى البنت البكر لليهودى اليمنى عبدالله بن سبأ ...[1]

وننتهى الآن إلى الملامح الصوفية فى هذه النحلة .. والأمر فى هذه الناحية لايتطلب كبير ذكاء ولاكثير جهد . إن مجرد فناء الطالب فى شيخه وإسلامه مقادة نفسه بكل إذعان ودون تحفظ كاف لإعطائها « حقيقة الطريقة » . فإذا أضفت إلى ذلك أيضا صورة الازدواج فى كلتا الفلسفتين استقام لك الحكم ، فقول الصوفية بأن للشريعة ظاهرا هو الصورة العملية للعبادة والأحكام ، وباطنا وهو حقيقة الشريعة التى لاتدرك إلا بالذوق ... هذا القول هو نفسه الذى يتجلى لك فى موضوع النصيرية التى تعتبر الشرع الظاهر ستارا عاما لما وراءه من الحقيقة الخاصة ...

ولاتنس أخيرا أن الصوفية أصناف ودرجات ، حتى لتجد فيها الإنسان السوىّ الذى لا يتجاوز حدود الشريعة قيد أنملة ، فهو يربط سلوكه بأحكام الكتاب والسنة على أكمل وجه ، ثم يتخذ من التصوف رياضة روحية يجاهد بها نفسه لتكون أكثر اندماجاً فى معانى الشريعة ... كما تجد ثَم المتطرف المشتط عن طريق الحق ، فهو يعتبر الشريعة ظاهرا خاصا بالعامة ، فإذا تدرج المريد إلى المقامات العليا منها انفلت من أحكام الشريعة ، وأخذ يتجه بعقيدته نحو التمحلات الفلسفية المحضة ، التى تخرج بصاحبها عن حقائق التوحيد إلى أباطيل الاتحاد والحلول ووحدة الوجود وما إلى ذلك . فأنت إذن لا تعدم القدرة على الربط المحكم بين هذه الانحرافات الصوفية المتطرفة ، وبين ما عرفته من طقوس الباطنية

(١) تتبع أئمة المسلمين مجارى هذه النحل حتى انتهوا إلى مصادرها اليهودية الأصلية . انظر كلام الشعبى فى « منهاج السنة » ١ - ١٤ - ٢١ و(العقد الفريد) ٢ - ٤٠٩ - ٤١١ طبع لجنة التأليف بالقاهرة ١٩٤٠ ....

فى هذا العرض الوجيز .. ولقد حدثنى صديق من شيوخ النصيرية – يكتم إيمانه – إن تعاليمهم ليست إلا ضربا من التطور الصوفى الذى يخرج بأهله عن دائرة الإسلام . فكنت كذلك اتردد فى هذا الرأى حتى رجح لدىّ أخيراً بما وجدته من هذه الصلات الصورية بل العملية بين النحلتين . على أننى لأأزال أخالفه فى شئ واحد هو اعتباره الصوفية هى وحدها أصل الموضوع ومصدره الفرد ، ولاسيما بعد أن ثبت مما قدمنا أن الصوفية لم تكن سوى واحد من المصادر الرئيسية الثلاثة .

وهنا أرى أن أذكر القارئ بأن الصوفية – على وضعها الذى تحدثنا عنه – إنما تمثل فى الواقع العنصر الهندى فى هذه النحلة .. ذلك العنصر الذى كان ذا صلة بكل التحولات التى طرأت على الفكر الإسلامى – مباشرة أو عن طريق الفرس – منذ أواخر العصر الأموى .. وقد بات من المسلمات لدى أولى التحقيق من أهل العلم أن الإسلام لم يعرف قط مشاكل التصوف إلا على أيدى هذه الجماعة من الأعاجم الذين تظاهر كثير منهم بالإسلام للقضاء عليه ، فكان صبغه بهذا اللون من النسك الأعجمى أقطع الأسلحة التى استعملوها فى الكيد له . وهانحن أولاء لانزال نتجرع المرَّ من انحرافات أصحاب الطرق التى توشك أن تؤلف بمصطلحاتها وفلسفاتها دينا خاصا إلى جانب الإسلام الذى يظلمونه أشد الظلم حين ينسبونها إليه[1]

---

(١) يتمثل العنصر البوذى من الصوفية المنحرفة فى سلطة الشيخ المطلقة على المريد ، وفناء هذا المريد فى إرادة شيخه ، حتى تكاد عبادته تنحصر فى تصوره حتى أثناء الصلاة ، وفى حبه والدعاء له ، كقولهم – وقد سُمِعَ هذا ويالالأسف من بعض أهل العلم فى شيوخهم من أهل الجهل « اللهم احفظنا فى شيخنا .. » ويقول بعض المحققين فى تاريخ البوذية (إنها قد حصرت العبادة فى أشياء أهمها « الإكثار من الحمد لبوذا والثناء عليه .. والتلذذ بتصوره وذكره والدعاء له . فذكر بوذا وتصوره من أعلى مراتب العبادة فى هذه النحلة .. وقد أدى ذلك أخيرا إلى الإفراط فى تعظيم المشايخ حتى انتهى الأمر إلى الشرك ..)

ومن آثار البوذية هذه فى الصوفية المنحرفة أيضا وبوجه خاص اعتقاد الفريقين (أن النجاة لا تحصل بالعلم ، بل بالأخذ عن الشيخ الكامل الذى يبلغ رتبة بوذا فى تزكية نفسه .. إذ هو الوحيد الذى يتولى كشف أسرار الكون ..)

ولعل أبرز هذه الآثار فى القائلين بالاتحاد من الصوفية زعم البوذية أن السالك فى هذا الطريق سينتهى إلى المرحلة التى يتحد فيها العابد بالمعبود والخالق بالمخلوق ، بحيث لا يبقى بينهما أى فرق ..) انظر كتاب BUDDHISM ص ٥٧ و١٨٧ و١٩٨

وفى تائية ابن الفارض صور عدة لهذا الاتجاه الدخيل .. من أشهرها قوله فى ذات الله تبارك وتعالى=

ردود الفعل قلت « إن هناك معركة ، وهي ككل معركة ستخسرها الأضعف ، والأضعف هنا هو الخرافة التي ارتدت لبوس الدين أحقابا متطاولة . ثم استنفدت أغراضها أمام التيار الجارف من التعليم العام . فتأليه الشمس والقمر لعبة لا يمكن أن تعيش طويلا أمام الكشوف الفلكية . وتحول العبادة إلى أوراد من الشتائم لأعاظم رجال الإنسانية من صحابة محمد « ص » عمل صغير لا تتنازل إليه نفس تعلمت أن تدرس بحرية حقيقة هؤلاء العظماء . وتعقيد المفاهيم الدينية حتى تصبح أحاجي موقوفة الحل على طبقة الكهنوت قد بات أضحوكة المثقفين في وسط يكشف فيه البحث العلمي أدق القوانين التي تمكن الإنسان من تسخير الماء والهواء والأشعة الكونية . واستغلال بساطة الدهماء في خلق التفاسير الملتوية لآيات القرآن صار من السخافات التي لا مكان لها عند هؤلاء الشباب ، الذين يتعلمون في المدارس والجامعات أن القرآن هو المثل الأعلى للبلاغة العربية ، فليس معقولا أن يفسر على غير طريقة العرب في الكلام ..

أجل .. هذه نتائج لا مندوحة عنها بعد هذه النهضة التعليمية التي اكتسحت الجبل ، حتى بات مألوفا أن يعيش كثير من أسره على مثل الحرمان لتؤمن قوت أبنائها من التعليم . وطبيعي جدا أن يسقط في زحمة هذه التيارات كثير من التلقينات غير الصالحة للحياة . وهذا دون ريب خير كبير لأنه عملية تحرير لمواهب هي جزء من ثروة الأمة التي لا مندوحة لها عنها في وثبتها الراهنة .. ولكن من حقنا أن نتساءل عما انتهى إليه هؤلاء الشباب بعد انسلاخهم من هاتيك القيود .. ماذا أفادوا ؟ . وبالتالي ماذا أفاد مجتمعهم من ذلك ؟ !

لقد كفر هؤلاء الشباب بالكثير من أضاليل الباطنية ، إذ وجدوها غير منسجمة مع منطق الفطرة ، ولكن .. هل أدى بهم ذلك الكفر بالباطل إلى الإيمان بالحق ؟! ..... وهل كان انطلاقهم من أغلال الخرافات سبيلا لدفعهم إلى البحث عن الحقائق !! ..

= لها صلواتي بالمقام أقيمها — وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى — حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ، ولم تكن — صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
... فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن — منادى أجابت من دعاني ولبت
.. ومازلت إياها ، وإياي لم تزل — ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي احبت

وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبير ...

الواقع أن ذلك لم يكن .. أو بالأقل لم يكن معظمه ، لأن الذى نشهده من الدلائل يؤكد أن كثرة هؤلاء قد انتهت فعلا إلى النفور الشديد من كل القيم الروحية ، وإن احتفظ بعضهم فى ظاهره بغير ذلك لسبب ما .. ولا غرابة لأن الذى انكشف لأعينهم من المآسى الدينية قد أفرغ قلوبهم من كل احترام للدين ، يضاف إلى ذلك أنهم لم يتيسر لهم الاطلاع على الحقائق الدينية فى مصادرها الصحيحة ، فكان طبيعيا أن يستسلموا إلى الشك فى موضوع الدين نفسه ، ثم يصدقوا كل ما يزعمه خصوم الأديان فى كل مكان . فإذا نحن ذكرنا مع هذا كله مواريث الأحقاد التى جرتها أحداث الماضى ، وما أثارته السياسة الأجنبية من تنازع بين هذه الجماعة وتلك ، أدركنا أن مثل هذا التحول سيحمل فى بعض حالاته بذور الخصومة الموجهة ضد الإسلام نفسه ... إذ يصبح من المتعذر التفريق بين الدين وبين المنتسبين إليه ، وهذه وقائع أصبحت من الوضوح بحيث بات كل تجاهل لها لا يعدو أن يكون تمثيلا مضحكا ..

وبديهى أن هذا كله إنما يؤكد حقيقة واحدة هى أنه ، حتى فى كنف الحركة التعليمية الواسعة ، لم ينته عمل الباطنية فى تجديد الخلاف وبعث التراث المشوهة .. وكل ما حدث أنها قضت على قداسة المفاهيم الدينية فى صدور الأكثرين من الجيل الجديد ، لتحول الحس الدينى إلى نزعة ثورية مخرِّبة ..

صراع

ولقد عبر هؤلاء الشباب عن تفاعلاتهم تلك فى مختلف الصور ، وبخاصة فى ظل الأفكار الحزبية ، وأخص العقدية منها ، إذ أصبحوا يمثلون حركة الغليان فى كل نضال حزبى أيا كان الحزب الذى ينتمون إليه .

وكان من جبرية الأحداث – بعد جلاء الأجنبى عن ديار الشام – أن تتجه طاقات الشباب إلى العمل الجماعى ، كوسيلة لحشد القوى الشعبية فى منظمات سياسية تتنافس على الحكم .. وبذلك نشطت الحياة الحزبية ، وبالتالى نشطت حركات الانقسام الشعبى فى خطوط من الاتجاهات الفكرية المختلفة .

وكانت الأفكار العلمانية ، التى تدفقت على الشباب المتعلم ، وعلى الجماهير كلها من خلال المناهج المدرسية ، ومن المنافذ الثقافية والفنية العديدة ، قد آتت

أكلها بتوجيه الحياة العامة إلى ألوان من السلوك ، جاءت بطبيعتها كتطبيق عملى لتلك الأفكار الغربية ..

وهكذا اصطبغت الحزبية نفسها بهذا اللون من التفكير العلمانى ، الذى سرعان ما انكشف عن صراع عنيف ضد الأفكار الدينية أيا كانت .. صراع رمى من أول خطوة إلى استبعاد الدين عن ميادين الحياة العامة جميعا ! ..

ثم تتابعت الأحداث المفجعة ، فهناك نكبة الإسكندرون ، فكارثة فلسطين ، وكلتاهما محنة للعزائم والعقائد ، فتحت فى ضمائر الشباب ثغرات جديدة للشك فى كل تراثنا القديم ، ولاسيما أن مجموع هذا الجيل - إلا القلة النادرة - لم يكن على صلة كافية بقيم هذا التراث ، إذا لم نقطع بأنه كان خالى الذهن من كل معانيه .. فلم يكن لهذا من حصاد سوى مضاعفة النفور من كل أمر ذى صلة بموضوع الدين من قريب أو بعيد ...

وهنا أرانى مضطرا للإشارة إلى بادرة خاصة ، مارأيت أحدا من البُحاث الاجتماعيين فطن إليها بعد ، على الرغم من بروزها فى حياة الشباب وبخاصة فى الشام ، تلك البادرة التى أطلت مع نكبة الإسكندرون ، إذ إن شبابا من نصيرية اللواء كان لزاما أن يهاجروا من ضغط المحتل إلى وطنهم الأم ، بعد أن أسهم فى حركة الكفاح لاستبقاء اللواء ، فاحتضنته البلاد هنا وهناك ، وفسح له كما يجب فى مختلف مجالات العمل والدراسة .. ولكنه - وهذا موضع الأسى - كان أكثر بعدا عن الثقافة الإسلامية من سائر شباب البلاد ... يضاف إلى ذلك أنه كان مشحون الأعصاب بفورة الحقد على الأتراك ، إلى حد جعله لا يفرق بين التركية والإسلام ! .. وقد أهلته ثقافته وقدرته النضالية ، وتشبعه بشعور القومية المجروحة ، إلى المشاركة فى قيادة الأفكار الثورية ، فإذا هو يبرز فى مقدمة الصف الحزبى ، وإذا هو يفرغ على حركة النضال كثيرا من ألوان التطرف ، التى من شأنها أن تستهوى الفتيان فى سن المراهقة ، فتمد قواهم المتفتحة بغذاء حار من الحماسة للمبادئ الانقلابية ، وتقدم لهم بذلك تعويضا فكريا عما قد يستشعرونه من الفراغ الروحى ..

وبهذه العناصر مجتمعة تكوّن فى أوساط الشباب اتجاه مركز إلى معارضة الروح الدينى ، والعمل على اجتثاثه من صفوف الجماعات ذات الفعالية فى

حركة المجتمع .. ثم جاءت آثار هذا الاتجاه تفرغ أصباغها على كل احتكاك بين المسلك الحزبى والقيم الروحية .

أقول هذا وأنا عالم تماما أن كثيرا من المؤلفات الثائرة على المثل العربية - مثلا - إنما كتبت بأقلام غير باطنية ، وأن كثيراً من الهجمات البارزة ضد هذه المثل لم يقدها فى الظاهر شخصيات ناشئة فى أحضان الباطنية ، ولكنى أومن أن بين البواعث الكامنة وراء هذا كله مؤثرات فكرية كان للعناصر الباطنية أثرها العميق فى توجيهها .. والذين يقرؤون هذا الكلام من مثقفى دمشق وحماة واللاذقية وحلب هم أعرف الناس بهذه الحقيقة .. ولو شئت لسجلت الحوادث ، ولقصصت الأخبار ، ولذكرت الأسماء .. ومعاذ الله أن أريد تعميماً ... فأنا لا أستطيع أن أنسى رفاقا من شباب الجيل بلوتهم فى أشد المآزق ، أيام كان الأجنبى يدفع ثمن كل كلمة تقذف بوجه الإسلام ، فوجدتهم من أصدق الناس إيمانا ونضالا .. ولا أستطيع أن أنسى أن عددا منهم حتى الساعة يتحملون أذى الأهل وضغط الحرمان ، لا لذنب سوى أنهم آمنوا بالله ورسوله وكفروا بكل حماقات الماضى ...

ولكنها دراسة موضوعية تقتضى تصوير الواقع من جوانبه جميعا ..

حقائق لا تُردّ

ولقد يكون من الميسور على بعضهم أن يرد كل ماقدمته من الحوادث والشواهد ، وأن يهبَّ لتسطير المقالات فى تفنيد ماقدمته من وقائع لا تصور إلا جزءا يسيرا من حقيقة كبيرة ، يعرفونها هم أكثر مما أعرفها .. وليس ردهم ولا تكذيبهم إلا مشهدا مكرورا من تمثيلية قديمة طالما شهدها الناس فى القديم والحديث ... فكلما نهض مصلح لكشف هذه المعميات السامة انبرى له من ينكر أثرها .. ولا غرض من ذلك إلا التهرب من مواجهة الحقيقة ، ثم الإصرار على هذه التقيّة التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الديانة الباطنية ، التى لا تتورع أن تنسب إلى الإمام الباقر مثل هذا القول : (التقية فى دينى ودين آبائى وأجدادى .. فمن لا تقية له لا دين له ..) ؟!

وقبل سنتين نشرت إحدى صحف دمشق بيانا من مرشدىٍّ هداه الله مع طائفة كبيرة من قومه فى قضاء تلكلخ إلى الحقيقة ، وفيه اعتراف بما كان عليه من زيغ ،

وما كان فى عقيدتهم من أسرار مباينة لدين الله ، ثم دعوة للمتخلفين أن يلحقوا بالوكب المهتدى إلى النور ...

وما كاد هذا البيان يظهر فى الصحيفة حتى انطلقت قذائف التكذيب والتفنيد ... وكتب أحدهم ردا يتهم فيه الكاتب الإسلامى (محمود مهدى الإستانبولى) بأرذل المفتريات ، ولأنه أتاح لذلك « المأجور » — فى زعمه — أن يطعن فى إسلام القوم وسلامة عقيدتهم ! .. وقد نسى هذا الفاضل أن أيام التقية قد زالت إلى غير رجعة ، بعد أن رد الله إلى الحق آلافا من الحيارى المضللين فى منطقة شين وغيرها ، وبينهم كثير من دعاة الباطنية والمرشدية ... ومعهم كثير من المخطوطات السرية التى لاسبيل أبدا إلى إنكارها ... فإذا كان فى كشف هذه « الأسرار » مايؤذى أو يخجل ذوى الحساسية من القوم ، فليذكروا أن فى بقائها مكتومة ماهو أشد وأدهى ... ليذكروا أن فى بقائها فى الخفاء تدميرا للثقة العامة ، وإفسادا للعلائق الخلقية بين المواطنين ، ثم فيها بعد ذلك خطر التهديم الماحق للقيم العليا فى صدور هؤلاء المساكين من أبنائهم ، الذين لم يعد هناك من أمل بقبولهم لهذه الخرافات ، مهما عضّ الشيوخ عليها بالنواجذ ! .

لقد وقف بالأمس محام معروف من نصيرية اللاذقية يقول للمحكمة الشرعية : إن موكلىَّ النصيريين يدفعون دعوى (فلان) المسلم ، الذى يقتضيهم حق النفقة بوصفه أخا لهم من أبيهم ، يدفعونها بكونه مختلفا عنهم فى الدين ، واختلاف الدين موجب لحرمانه حق النفقة والإرث !

فلما ردَّ عليه القاضى بألّا خلاف فى الدين ، لأن النصيرى ليس إلا أحد المسلمين ، أصر المحامى على دفعه ، ثم أخذ يعلن على الملأ عقيدة القوم فى صراحة عجيبة ، وعلى صورة كانت مفاجأة للسامعين ، لأنهم ماكانوا ليتصوروا مثل هذا التباعد بينها وبين الإسلام ! .

ومضى المحامى فى إيضاح هذه الألغاز إلى الحد الذى كان كافيا لاقتناع القاضى بالحكم لمصلحة موكليه ... وبذلك فقد المدعى المسلم حق الإرث والنفقة من تركة أبيه النصيرى[1] .

---

(١) كان المدعى فى هذه القضية (محمد سعيد أبو شريف) من اللاذقية ، وهو من أم مسلمة وأب نصيرى ، وكان محامى الدفاع هو الأديب المعروف الأستاذ (إبراهيم عثمان) صاحب مجلة « الأمانى » المحتجبة . أما تاريخ الدعوى فهو عام ١٩٣٨ ...

وكان لهذه الدعوى يومئذ دوىّ هائل هزَّ دوائر الدولة ، فضلا عن أوساط الشعب ، ووجد فيه الفرنسيون فرصة طيبة للاستغلال الواسع .. على أن المهم فى الأمر أن أحدا من شيوخ النصيرية لم يقل كلمة فى الاحتجاج أو الاعتراض على الفكرة ، واعتبر سكوت القوم عن هذه المرافعة يومئذ اعلانا صريحا بتصديق ما ذهب إليه صاحبها ...

وأنا إذ أعرض اليوم لهذه القضية فلكى أؤكد لهؤلاء الراضين بذلك الواقع أن أية محاولة للتنصل منه لا تزيد الناس إلا إمعانا فى الشك بطواياهم ، ويقينا بإصرارهم على استبقاء قومهم فى هاتيك الظلمات ... وإلا فأنّى لهم أن ينكروا قضية لاتزال وستظل حتى قيام الساعة شاهدة بهذه الوقائع فى سجلات المحكمة الشرعية باللاذقية ! .

لقد صمم الشباب العربى فى كل مكان على التحرر الصحيح من ربقة الجهالات والخرافات ، فلا سبيل لاستبقاء الشباب النصيرى والإسماعيلى والدرزى مقيدا فى هاتيك الأغلال من عبادة المخلوقين ، والاستسلام لحماقات الجاهليين والمضللين .. فخير لأولئك المكذبين بالحقائق ، أن يعودوا إلى ضمائرهم ، فيتذكروا أن رسالة محمد ليست حكرا الفريق ، وإنما هى هبة السماء للإنسانية جميعا ، وليس فى الناس أحد أولى بها من أحد إلا أن يكون هناك المؤمن بها والمنحرف عن أضوائها ، بل لعل منهم من يكون أشد حرارة فى احتضان لوائها لو أقبل عليها مخلصا .. وهانحن أولاء نشهد ، من النصيرية والإسماعيلية ، والدرزية ، رجالا منَّ الله عليهم بالعودة إلى أحضان الإسلام ، فإذا هم يكادون يعيدون سيرة السلف الصالح فى صدق الإيمان ، والتفانى فى حب الله ورسوله .

إيمـــان .. =

فى فصل سابق قدمت لك ياقارئى مشاهد طريفة من درامة تقليدية لابد من تمثيلها عند كل « تكريس » .. والآن دعنى أقدم لك مشهدا من مأساة من نوع آخر .. مأساة يغلب أن تمثل عند كل تحلل من التزامات هذا التكريس .. إلا أن يكون المتحلل من القوة فى الموضع الذى لا يناله تهديد ولا وعيد .. وطبيعى أن يكون الضحية فى هذه المآسى هم الرجال الذين ضاقت صدورهم بأعباء الباطنية ففروا إلى ربهم .. فكان عليهم أن يتحملوا فى ذلك من العذاب ما لم يعانه إلا بلال وعمار وإخوانهم السابقون ..

أما مكان هذا المشهد فهو دار أحد الموظفين فى مدينة تلكلخ .

وأما الزمان فهو أحد الأيام ... من عام ١٩٥٥م .

وأما ممثلو المشهد فمجموعة من موظفي النصيرية بينهم شاب درزى لا أدرى لماذا جئ به ! .

الجميع يتجهون بأنظارهم نحو الفتى الهزيل الهادئ ، الذى أخذ مكانه حيث انتهى به المجلس .. وصاحب الدار يقطع حبل الصمت فيوجه إلى هذا الفتى حديثه قائلا : أى شيخ .... أنت تعلم منزلة أسرتك فى أوساط النصيرية ، ونحن إنما نكرمك لهذه الصلة التى تفرض علينا أن نهتم بك ، وأن نحب لك أن تحافظ على صلتك الطيبة بديننا ، حتى تكون جديرا بالمركز الروحى ، الذى يرشحك له أنك أحد الوارثين للمشيخة فى هذا الجبل ..

الفتى الهادئ = اسمحوا لى أن أصارحكم بأنى لا أفهم ماتريدون ..

صاحب الدار = حسنا .. لقد دعوناك لنعلم السبب الحق فى ترددك على المساجد ..

الفتى الهادئ = عجيب ! .. ولأى شئ بنيت المساجد .. أليست للصلاة !

صاحب الدار = أجل .. ولكن ليست هذه صلاتنا كما تعلم .. فهل حدث تغير ما على عقيدتك ؟! ....

أم هو تظاهر تحجب به حقيقتك كأى واحد منا ! ...

الفتى الهادئ = لا أكذبكم .. فأنا والله لا أومن بهذا التظاهر .. وإنما أدخل المسجد لأقيم صلاتى لله رب العالمين ..

صاحب الدار = ونحن لمن نصلى .. أليس لله رب العالمين ! ...

الفتى الهادئ = أنتم تصلون لعلى بن أبى طالب .. وليس على سوى عبد صالح لله ... (ضجة وهمهمة .. واضطراب يسود المجلس ...)

معلم مدرسة من الحضور = (يأخذه الغضب فلا يتمالك أن يسبق صاحب الدار إلى الكلام فى صوت متهدج) = إذن فأنت تكفر بعلى الأعلى !

الفتى = (فى هدوء رائع) : بل أكرم عليا عن هذه السنة ، فأقول إنه عبد أنعم الله عليه ، فكان من السابقين إلى طاعته ...

المعلم = (فى ثورة) هذا كلام سيكلفك كثيرا ..

الفتى = ماذا تعنى ؟!
المعلم = أعنى .... الموت !
الفتى = والله لو آمنت أن بيدك حياتى وموتى لما عبدت غيرك ..... ولكن ثق بأنك أهون على من ذلك .
صاحب الدار = (مشيرا إلى المعلم بالسكوت) =
ياشيخ هذه فتنة تثيرها على قومك ... وليس لك فيها من حجة إلا أن تكون أعلم بالقرآن وبعلى من جميع شيوخنا .. قل لى = بربك أنتبعك أم نتبع الشيخ (س . أ ..) ؟!
الفتى = بل نتبع الحق أينما كان ... فقل لى بربك = أشيخك هذا أحق بالاتباع أم على نفسه ؟
صاحب الدار = بل على ...
الفتى = فلنحتكم إلى كلامه .. هات نهج البلاغة ...
(وجئ بنهج البلاغة.. وقرأ القوم هناك = « من عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى .... » . وعلق الفتى على ذلك بقوله = هذا على يعترف بالعبودية لله أفنكذبه لنصدق ناسا يزعمون ألوهيته !!
أليس ذلك تكذيبا مباشرا لعلى !!
ومع ذلك فلا تقفوا عند هذه الكلمة وحدها ، بل امضوا فى قراءتكم لكلام على ، وأنا واثق أنكم لن تجدوا له حرفا واحدا يخرج عن هذه الحقيقة ...
وارتفعت الهمهمات من كل جانب ....
وكان أشد الحضور غليانا ذلك المعلم .. الذى هاله أن يجد بين النصيريين واحدا يجرؤ على تسفيه رأى ذلك الشيخ المقدس . (س . أ) ..
وانفض المجلس على غير اتفاق ...

ويظهر أن صاحب الدار قد لبث يفكر طويلا بما سمع ، لذلك ما إن لقى الفتى الهادئ فى اليوم التالى حتى أفضى إليه بما استقر عليه وقال = لقد كنتَ ياصاحبى على حق .. وقد آمنتُ بما آمنت به .. وأنا أدعوك لتعلمنى الصلاة ثم تجعلنى من رفاقك حين تغدو وتروح إلى المسجد ...

وتمر الأيام وينتقل صاحبنا الفتى (الصابئ) إلى إحدى مصالح الدولة فى

اللاذقية ، فماذا يلقى هناك !! ..

إن هذا الفتي ليستقبل فى تلك المصلحة مِحَنًا لا تكاد تجد لها مثيلا فى حياة موظف ..

لقد ابتلى بآمر من الباطنية شُحن قلبه حقدا على هذا الصابئ ، فهو لا يغفل عن إهانته واضطهاده وإيذائه ، ولم يعدم من يؤازره فى هذه الحملة حتى من الذين يحملون هوية المسلمين ! . وحيكت التهم ضد هذا الفتى ..

وجاء دور التفتيش ، ولكن الجو كان مشحونا بالمضللات ، فلم يستطع المفتش التخلص مما أحاط به من ذلك التوجيه ، وسرعان ما امتلأ صدره نقمة من هذا المتهم ، حتى لم يعد قادرا على استماع كلامه .... فإذا هو يقترح الحكم عليه بمبلغ مرهق ! ..

وظل الفتى المؤمن شديد الثقة بالله يقول = لن يضيعني ربى ....

ولقد صدق والله فلم يضيعه ربه ، وماهى إلا لفتة منصفة من كبير المصلحة حتى أدرك كل ماهنالك من المؤمرات والأكاذيب والأحقاد ... وأعيدت القضية للتفتيش مرة ثانية ، وجاء المفتش نفسه ليضع يده على الحقيقة ، التى لا يعقل غيرها بالنسبة إلى هذا المتهم البرىء .

وعلى الرغم من بعد المفتش عن سبيل المؤمنين ، لم يتمالك إلا أن يعلن أسفه الشديد لما سبق أن حكم به على هذا الإنسان الذى هو فوق التهم ! ..

ولم تكن هذه الاضطهادات كل مالقيه ذلك الفتى ، فهو ما يبرح حتى هذه الساعة محل النكاية والسعاية من مختلف الجهات حتى أهله الأقربين ، وشيعته الأدنين ! ..... وتلك ياقارئ نماذج يسيرة تصور لك ضروب المحن التى يعيشها هؤلاء الهاربون من دهاليز الباطنية ... ولو شئت لسقت لك نماذج أخرى لعشرات منهم يتجرعون ألوان العذاب فى السلمية والسويداء واللاذقية دون ما ذنب ، سوى أنهم نفضوا أيديهم من الحماقات التى لم تطقها عقولهم ولم تُسغها فطرهم ! ..

ولقد يكون مثل هذا النكال فى سبيل العقيدة مستساغا أيام كان المستعمرون هم الحاكمين .. أما أن يقع كل ذلك فى ظل وضع (قومى) يزعم أن الإسلام تراثه

الأعظم ، فأمر لا يعقله المجانين بله العاقلين[1] !.

ومع ذلك فإن ظلمات التعصب الأحمق لا تستطيع الوقوف فى طريق الفجر إلى الأبد ... وهاهى ذى مواكب النور زاحفة فى كل مكان من مواطن الباطنية ، تهيب بالمتخلفين والمترددين أن يلحقوا بركب الحرية ولو لم يجدوا لهم من معين ....

عقائد هدامة =

ورب قائل = مالك ولعقائد الناس ! ... أليس من حق الفرد أن يختار مايراه مناسبا لنفسه من الأفكار والأديان ؟ . وهل نسيت المثل الذى يقول = (كل واحد ذنبه على جنبه) ؟ .

ولهؤلاء نقول = عندما تكون الفكرة من خصائص الفرد وحده يكون من الفضول أن نحاسبه عليها . فهى كأى لون من الطعام يشتهاه لنفسه ... ولكن الأمر يختلف فى موضوع العقائد الاجتماعية ، لأنها تعيّن – كما أسلفنا – العلائق المشتركة بين مجموع الأفراد ، ولذلك كان من حق المجتمع أن يحول دون انتشار الفِكَر الهدامة لقيم الجماعة ولكيانهم الواحد ... وقد رأينا الدولة الأمريكية تصادر حريات مجموعة كبيرة من أفرادها لأنهم أباحوا لأنفسهم تعدد الزوجات ، فاعتبرت ذلك منهم خرقا للنظام الأمريكى ، واعتداء على قِيَمِهِ الخلقية ! .. ومع ذلك لم يوجد فرد واحد فى الغرب يعارض هذه المصادرة ، بل إن الدولة الأمريكية قد جردت اليابان من أهم عقائدها الدينية إثر احتلالها لجزرها ، وذلك بإلغاء عبادة الميكادو وسحب تأليهه من الكتب المدرسية ، فلم يرتفع صوت فى العالم باستهجان هذا العمل ... ذلك لأن تأليهه يجر وراءه مخاطر على الإنسانية لا نهاية لها ، إذ يجعل له سلطانا مقدسا على نفوس أتباعه ، يمكنه من توجيههم فى أى طريق لتحقيق أطماعه ، دون أن يلقى أمره أى رد أو مناقشة ! .
ولاجرم أن فى التقاليد السرية التى يرثها هؤلاء خطرا أى خطر على وحدة الجماعة وبالتالى على مصالح البلاد ، وذلك لأنها تنمى فى كياناتهم آلية الشعور بالعداء لإخوان لهم فى الوطن والعروبة ، لا لذنب سوى أنهم – بنظرهم يؤلفون سلالة الفريق الذى اغتصب من آل على ذات يوم حق

(١) كان هذا قبل حكم البعث ، أيام كانت « العروبة » .. لا الاشتراكية ولا الماركسية ، هى تُكَأَة الحاكمين ...

الخلافة ! . وقد نسوا أنهم جميعا قد أصحبوا سواء فى فقدان الخلافة وفى كوارث الزمن .... وأن من الظلم البشع محاسبة إنسان على ذنب وهمى نسب إلى جد له طواه القدر منذ ثلاثة عشر قرنا ! ..

وأى خطر على وحدة العرب أشد من تعاليم تجعل من أسس الدين بغض الرعيل الأول من بناة مجد العروبة ، بل تجعل شتمهم تكليفا مقدسا .. لا تستثنى من ذلك إلا عددا يسيرا كأصابع اليد من صحابة الرسول ﷺ[1] . فإذا حدثتك نفسك أن تدافع عنهم ، أو تذكر القوم بفضائلم ، أو تناقش حججهم فى هذا التهجم الطائش عليهم ، قاموا وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا ، ثم راحوا يستعدون عليك الدولة ... كأن فى عملك خطرا على كيانهم الذى لا يقوم كما يتوهمون - إلا باستبقاء هذه الشتائم مقررة حتى فى نصوص الدراسة الرسمية[2] ...

(١) تكفير معظم الصحابة هو القدر المشترك بين معظم فرق الشيعة - مع الأسف - وقد ذكر الكلينى فى (روضة الكافى) عن أبى جعفر (إن الناس ارتدوا بعد النبى إلا ثلاثة فقط هم المقداد وسلمان وأبو ذر) ص ٥٠٢/..

(٢) فى (نهج البلاغة) المنسوب إلى أمير المؤمنين « ع » مجموعة من الشتائم البليغة تحمل اسم (الخطبة الشقشقية) موجهة إلى صفوة إخوانه من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، أبى بكر وعمر وعثمان تتهم الشيخين بالتواطؤ على تبادل المنافع ، وتفرغ على ذى النورين صفة الحيوان الأعجم الذى لا هم له إلا بطنه ! ..

وقد كتبت بعض صحف دمشق نقدا لهذا النص ، أثبتت فيه براءة على رضوان الله عليه من هذه السفاسف ، التى تناقض المشهور من أدبه وخلقه ورأيه فى إخوته من السابقين إلى الإسلام ... فإذا بوفود الباطنية تؤم دمشق محتجة صاخبة ! ... وإذا الدسائس من كل صوب تثير على الكاتب رئيس الدولة ومن حوله من حماة الإرهاب أيامئذ ...

وكان من أطرف ماحدث يومئذ رسالة مكتومة وردت من مكتب رئيس الجمهورية المتحدة إلى بعض المسئولين ، ومعها تكليف بالتحقيق حول ماتضمنته من افتراآت كتبها محام عجوز ، وفيها يرمى الكاتب بكل تهمة حتى العمالة للاستعمار ! .. وحجته فى ذلك أن الاستعمار هو الذى يدفعه للدفاع عن أبى بكر وعمر وعثمان ... ليثير التفرقة فى صفوف الدول الإسلامية !...

ومن الإنصاف أن نذكر بالخير موقف السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزى يومئذ ، إذ قابل ذلك البحث بما يستحق من الاهتمام فقرر إلغاء الكتاب المدرسى الذى يحمل هذا النص المدخول .. وكان هذا أفضل رد على تلك العاصفة المصطنعة التى أثارها يومئذ بعض الدجالين ! . وهنا لا مندوحة من الإشارة إلى الحافز الذى يدفع هؤلاء الحاقدين إلى تقديس مثل تلك النصوص الهدامة . فهم مؤمنون كل الإيمان بكل ماتضمنه (نهج البلاغة) مع كونه فى ميزان العلم لا يعدو كونه مجموعة من الوثائق الأدبية ، لا يمكن القطع بصحتها إلا على أساس الرواية الموثقة ، مهما تكن منزلة قائلها وناقلها من الأدب والدين .

وقد تناول الإمام الذهبى فى كتابه المشهور (ميزان الاعتدال) راوى النهج فكشف من أمره عن الكثير مما جهله غيره ... فليرجع إليه من شاء ...

وأى تهديم لوحدتنا القومية أخطر من أن تجد جيلا من إخوانك يشب على التقية التى تجعل الإنسان كيانا مغلقا لا تعرف ما وراء ظاهره مهما يبلغ ذكاؤك من النفاذ ! .. ذلك لأن أول ماتلقنه من التعاليم المقدسة أن يتخذ من الدين سترا يحجب ما خلفه ! .. ولا بأس فى سبيل إحكام هذه التقية أن يدخل مع المصلين مسجدهم ، ويشاركهم الصلاة بغير وضوء !.. كل ذلك لأن أول ماتعلمه الفرد فى هذه البيئة (إن التقية دينى ودين آبائى واجدادى فمن لا تقية له لا دين له ..)[1] .

ثم أى هول أضر بأمتنا من أن يكون فيها من يحرم الدين على الأنثى ، ثم يضطر إلى إرسالها إلى المدرسة انسياقا مع التيار التعليمى الجارف ... فإذا أنهت دراستها وجدت نفسها عدوة لكل دين ، ثم لا تلبث أن تكون بهذا مصدر خطر رهيب على بيتها وأبنائها ، لأنها تحمل إليهم أولى جراثيم الإلحاد والاستهانة بمقدسات الأمة ! ..

وأخيرا أى شئ أوجع لقلبك كعربى من أن ترى مئات الألوف من أصفى العرب نسبا ودما ، يقبض على مخانقهم فئة من غلاظ الكهنة ، أقاموا من أنفسهم أربابا ، وأحاطوا وجودهم بالطلاسم ، فهم يحلون ويحرمون دون سند من وحى أو نبوة ، فإذا سئل أحدهم عن المرجع الإلهى الذى يؤيد هذه المزاعم لم يزد

= على أن من الخير أن نذكر القارئ ببعض هذه الأسرار فى أوثق المصادر .

روى مسلم فى مقدمة الصحيح عن ... ابن مليكة قال « (كتبت إلى ابن عباس أسأله ... فدعا بقضاء علىٌ فجعل يكتب منه أشياء ، ويمر به الشئ فيقول « والله ماقضى بهذا على إلا أن يكون قد ضلَّ ..») » .

وعن مجير عن طاووس قال « (أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على فمحاه إلا قدر ذراع ..) »وعن الأعمش عن أبى إسحق قال « لما أحدثوا تلك الأشياء بعد على قال رجل من أصحاب على « قاتلهم الله .. أىّ علم أفسدوا ! ..» وعن ابن عباس قال « سمعت المغيرة يقول « لم يكن يصدق على على فى الحديث عنه إلا من أصحاب ابن مسعود ..» . ففى هذه الأسانيد الصحيحة توكيد لأمر جد خطير هو أن الكذب على على (رض) سبق عهد الرضى – جامع النهج – بزمان .

(١) هذا اللغو ينسبونه إلى الإمام محمد الباقر كما مر بك .. ولا حاجة للقول بأنه لا أصل له . وقد أخرج الحافظ بن عساكر (٤ – ١٦٥) أن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب قال لرجل من الروافض « والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ، ثم لا نقبل لكم توبة .. » فقال له رجل « لم لا تقبل منهم توبة ؟ » قال « نحن أعلم بهم .. إن شاؤوا صدقوكم وإن شاؤوا كذبوكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى التقيّة ... » .... انظر ص ١٨٥ من كتاب (العواصم من القواصم) للقاضى ابن عربى طبعة السلفية ١٣٧٥هـ ...

على أن يقول « (ورائى غيرى وليس عليكم معرفة ذلك الغير ! .) »... ومن هنا تراهم أبدا يصرفون أزمة الجماهير المربوطة بهم فى الطريق التى تؤمن استبقاء سلطانهم عليها ... وقد يصل الطغيان ببعض هؤلاء إلى أن يخلفوا لأتباعهم كل حين مذهبا جديدا فى تلك الفجاج المظلمة .. فيحلل ويحرم .. ويفلسف مذهبه بما يضحك ويبكى ..[1] ...

وكما صنع أتباع الأغاخان حين أعفوا أشياعهم من بقية الشعائر الإسلامية فى جبال اللاذقية والسلمية مطلع هذا القرن .. هكذا فعل أحد شيوخ النصيرية فى الوقت نفسه ، إذ أعد رسالة سرية يدعو فيها إلى إلغاء بعض العبادات الظاهرية ... ثم لم يكتف بذلك حتى راح يبعث رفات المثنوية الفارسية القائلة بإلهى الظلمة والنور فى كفن جديد من التفلسف المضحك .. وقد جعل عنوان هذه الرسالة (الدرة اليتمية فى صفات الله الظلمية والنورية) ومن هذا العنوان الصريح يتضح مذهب الشيخ الذى يرى أن لله تنزه وتبارك ، مظهرين أحدهما فى الظلمة والآخر فى النور ! . وهو لا يأتى بجديد من الرأى بالنسبة للتعاليم النصيرية التى تقول فى نصوصها السرية المقدسة « (إن البارى عدلا منه وإيناسا لمخلوقاته ظهر لكل جنس بجنسه وبصفة مماثلة لئلا تقع عليه حجة ، لأن الجنس لا يفهم إلا عن جنسه ...) » !

وهم يعللون ذلك بأن الوجود مؤلف من طبيعتين عرض وجوهر ، وبتعريف ثان « ظل ونور ، أو ظلمة ونور » ولذلك كانت إحدى الحالتين هى الظهور الإلهى فى العرض ، وكانت الأخرى هى الظهور فى عالم النور .. ومن هنا كان بحث الرسالة لا يعدو أن يكون تجديدا لتلك الفكرة المجوسية القديمة ، التى كان لها أنصارها بين غلاة الشيعة أيام أبى العلاء الذى يوجه إليهم هذا التوبيخ الباعث للخياء :

ألا تتقون الله رهط مسلِّم ... فقد جزتمو فى طاعة الشهوات
عمدتم لو أن المثنوية بعد ما ... جرت لذة التوحيد فى اللَّهوات !

ولقد لقيت تلك الرسالة منذ ظهورها فى أوساط الجبل حتى اليوم تأييدا

(١) سيرى القارئ صورا رهيبة من هذا الاختلاق الجهنمى فى منشور (وحيد العين) وغيره ، وهو أحد الأدلة على أن فى بقاء هذه الطلاسم تنمو وتتطور فى الظلام تهديدا خطيرا لوجود العرب والمسلمين ...

واعتراضا . وكانت حجة المعارضين أن مجرد وصف الظهور الإلٓهى فى عالم البشرية بالظلمة خروج على تعبير القرآن الذى يقول = (الله نور السموات والأرض ..) . وأما المؤيدون فقد ذهبوا إلى تعليل الفكرة بأن المقصود بالظلمة إنما هو العرض الموصوف بالكثافة ، لا الظلمة بمعناها المتبادر .. وبذلك يتبين أن الخلاف لفظى لا يؤثر على الحقيقة المسلمة لدى الجميع !

ولعمز الله أى سم أقتل للحياة وأحق باعتباره أفيونا للشعوب من أمثال هذه الطلاسم ، التى استولى بها هؤلاء الشيوخ على مقادة أتباعهم ، فسلبتهم قوة المحاكمة ، وجعلتهم كالطفل الذى يؤمن بقدرة أبيه على كل شئ ! .

أجل والله إنه لخطر ساحق أن تُترك هذه الجماعات البريئة من أبناء العرب فى هذه الجبال العربية نهباً لمثل هذا التضليل .. الذى لا يقيم وزنا لأى حق ، وفريسة لاستغلال وبىءلايراد منه سوى استمرار تحكم هؤلاء الكهنة فى رقابهم ، بغية الإبقاء على منافعهم من الزكوات والأخماس ، بعد أن أيقنوا ألا سبيل إلى استبقائها إلا فى ظل هذه المعمَّيات من الحجاب والقباب والمعنى والباب .. وما إلى ذلك من كل لغز عجاب ! .[1] ..

إن هؤلاء المساكين لينظرون إلى سكاكين جزاريهم من أولئك الكهنة تفتك فى أحشائهم ، ويرون إلى أظافرهم مخضبة بدمائهم ... إلا أنهم لا يجرؤون على دفاع ولا يسمحون لأنفسهم أن تهمس بأى اعتراض ..

ولعلك تعجب إذا حدثتك عن واحد من هؤلاء الضحايا قد جاءنى ذات يوم يقص على مأساته مع أحد الشيوخ كيف غصب أرضه ، وسلخ جلده ، وألب عليه أهله وولده ! .. ثم شاء الله أن يموت ذلك الشيخ بعد أيام فإذا الرجل المظلوم فى مقدمة المقدسين لذكره ، المتمسحين بقبره ، الشاهدين له بالكرامات والمعجزات ! ..

وأنا لا ألوم هذا الغافل على تقديس جلاده ، وهو يسمع إلى مئات الألسن من حوله تلهج بعجائب الشيخ ، التى شفت فلانا من دائه الذى أعجز الأطبة ، وردت فلانا إلى الحياة بعدأن أشرف على الموت ، وأطلقت أرجل الدجاج من قيودها ، لأن الشيخ لا يسمح بمرور مقيد حول قبره ولو دجاجةً .. وهو يعرف

(١) انظر تفصيل ذلك فى الجزء الثانى ...

كيف يضرب المنكرين لكراماته بكل وسيلة تقهرهم على الإقرار بها .. فكم من رجل فقد دوابه لأنه شك فى بركة الضريح ، وكم من رجل شلّت يده لأنه استعملها فى إقتطاف ثمرة من الأشجار الموقوفة على مقامه المقدس ... والأصح على سدنة قبره المقدس ! .. وما أكثر التعساء الذين ساقهم أصحاب القباب إلى الحراثة المرهقة ليالى طوالاً ، لغير ذنب سوى أنهم حاولوا أن يتحققوا من كراماتهم المشهورة أو المستورة ! ..

وأنى لهذا المخدر الساذج أن يرتاب فيما يسمع من كل هذه الروايات ، وهو يرى بأم عينه إلى قبر الشيخ يفيض الماء من حوله صباح كل جمعة ، ليمد زواره بالعلاج الذى يستشفون به من أنواع الأسقام ! .. وهيهات أن يفكر مثل هذا المنوَّم بالبحث عن مصدر ذلك الرشح ، وأن يتتبع أقنيته الممدودة من بيت السادن ، الذى لا عمل له إلا الاستغلال لبساطة أمثاله من زوار القبر ، مادام واقعا تحت أصناف من ضغط الأوهام التى ينوء بها هناك تفكير المتعلمين بَلْهَ الجاهلين ! .

شيخ يثور

على أن استمرار هذا الواقع الرهيب فى منجاة من الانتفاض أو الاعتراض أمر مخالف لسنن الكون ، وبخاصة بعد التطور الذى أكره القوم على الخروج من عزلة القرون ، فأحدث فى خزائن أسرارهم ثقوبا لن تلبث أن تتسع وتتسع حتى تأتى على أقفالها وأبوابها جميعا .

لقد استطاعت الإقطاعية الكهنوتية احتكار كل أسباب المعرفة زمنا طويلاً ، أحالت خلالها العقائد الروحية مجموعة من الطلاسم والرموز ، لا سبيل إلى حلها إلا عن طريق أربابها الذين بأيديهم وحدهم مقاليدها السحرية . وكان غرض السابقين الأولين من تكوين هذا الجهاز الخفى مجرد صرف المغفلين عن طريق الوحى لاستخدامهم فى تهديم الدولة الإسلامية ، ولكن سرعان ماتطور هذا الغرض فأضيف إليه هدف الاستغلال ، الذى لا هم له فى الجملة إلا استبقاء المنافع الشخصية ، ولو بسلب المجتمع النصيرى كل قابلية للصحو . ومن أجل ذلك شيدت القباب فى رؤوس الجبال ، واخترعت لها الحكايات الكفيلة بسوق النذور ، وإفاضة البخور ، واستدامة المنافع المرجوة للسدنة المحترمين ! .. وليس

ضرورياً أن يكون تحت كل قبة شيخ معروف . فرب قبر ضخم صندوقه مجلل بالخز والبز ، ورفعت فوقه الأعلام ، وليس فى جوفه إلا حثوتان من تراب ! .. ولكن واحدا من كهنة القوم زعم أن نوراً انقضى من أحد الكواكب على تلك البقعة فإذاهى فى اليوم التالى مقام مرموق ، فتِحَ لمئات الوافدين يتمسحون بجدرانه ، ويشترون منه الشفاء والبركة والحماية بالدراهم والدنانير ! ...

تماماً كما يصنع بعض الأوهاميين عندما يتخيلون تَجَلِّى العذراء فى مكان ما ، فينفخون أبواق الدعاية التى تجعل من الحبة قبة ، ثم يكون حصاد ذلك إقامة مركز جديد لاستثمار ثقة المساكين والجاهلين ! .

وعلى الرغم من أن أحداً لم ير ذلك النور غير الشيخ الذى زعمه ، فسرعان ماينتشر الخبر بطريق الإيحاء المركَّز ، حتى لتسمعه من عشرات الأفواه ترويه لك .. كأنها هى التى أبصرته ! ..

ولا ننسى أنه من أجل هذه المنافع أبيحت المحرمات .. وحرمت المباحات ، وكأنما قصد بذلك كله إلى المباعدة بين القوم وبين الدين الحق كما أنزله الله ، فإذا هناك مجموعة من التقاليد والطقوس لا أصل لها من علم ولا وحى .. بيد أنها تشكل أسوارا من الحواجز التى أقامتها أكف المستغلين بين هؤلاء المضللين ، وبين إخوانهم من المسلمين ! .

وقد لمسنا طلائع التمرد على ذلك الإقطاع الكهنوتى حتى فى نفوس بعض الشيوخ .. الذين أتيح لهم أن يتنفسوا بعيدا عن ذلك الجوالمسموم .. وهاهو ذا الفقيد الشيخ عبد اللطيف سعود نفسه – الذى لم يستطع التملص من أوهام التقمص – يرفع عقيرته بشكوى هذا الإقطاع الخطير ، فى قصيدة جمعت الكثير من انتفاضات التحرير ...

استمع إليه يصف لك موقف بعض زملائه الشيوخ من خروجه على أضاليلهم ، ويعدد لك المخترعات التى أبدعها هؤلاء فطوقوا بقيودها أعناق أشياعهم :

.. وبالإلحادأرمى عندرفضى لأقوال أراها ترهاتِ
كتحريم لأنثى حَلَّلتها شريعة خاتم الرسل الهداة
وأسماك خلقن بلا فلوس وأطيار عَدِمنَ الحوصلات

كذا الأجمال[1] من ذكر وأنثى   مع الغزلان ظبى أو مهاة
.. وما يروونه عن آل بيت النبى بها فمن خلط الرواة
.. وأعياد أتتنا عن نصارى القرون السالفات المظلمات
أبيت قبولها من قبل تسع   وعشر من سنين ماضيات
وتعمير المقامات العوالى   على قنن الجبال الشامخات
وتقديم النذور لهن حتى   من العقلاء منا والدهاة
وما للأنبيـاء بها قبـور   تزار وترتجى للنائبـات
ولكن أهل أطماع بنوها   مصايد للدراهم والهبات
وما عجبى وإن أمسى عجيبا   لنذر الشاة بل نذر البنات !...
فياقوم اتقوا الأبناء قبل العداة وحاذروا طلب الترات[2]
لأن عوائداً أورثتموها   لهم جعلتكمُ شبه الجناة
سينتقمون بعد الموت منكم   وإن قدروا ففى حال الحياة
خوارجَ كلهم يغدون يوما   عليكم كالشعوب على الولاة
فويحكم وويحَ الدين منهم   إذا ما الدين كان بلا حماة
وفى حذف الزوائد خير حام   له من كيد أولاك البغاة[3]
فصفّوه الغداة وغربلوه   ونقوه كتنقية النبـات
وإلا جاء ناس نَخَّلوه   وربّما ذَرَوْهُ فى الفلاة

ففى هذه القصيدة بيان مفصل لتلك الترهات ، التى حجرت على عقول الناس زمنا غير يسير .. فالأنثى لا يجوز أكل لحمها ، والسمك والطير لا يؤكل منهما إلا ما تفلس أو تقنّص ، حتى الأرنب يتركونه يعيث فسادا فى حقولهم ، وقد يأتى عليها دون أن يبيحوا لأنفسهم اصطياده للأكل ! .. والقبور الرابضة فى قمم الجبال مصايد نصبها الكهنة لاصطياد الدرهم والدينار من شعب لا يكاد يشبع من الخبز .... وكثيرا ما يطلقون عليها أسماء أنبياء (كشيث ويونس و . و ...) ولا أثر فيها لنبى قط ، وإنما هى ضروب من اللافتات المغرية .. يروج بها هؤلاء التجار لبضاعتهم فى سوق الأغرار ! . ولقد استحكم شر هذه القبور فى

(١) الجمال .. الابل ...
(٢) الترات .. جمع ترة وزن عدة — الظلم والانتقام فيه ...
(٣) فى الأصل (ذلكم البغاة) ولا وجه له ....

قلوب هذه الجماهير المخدوعة ، حتى إنها لتقف عليها معظم دخلها نذوراً وقرابين .. وليس هذا فقط بل إنهم لينذرون لها بناتهم فيقفون عليها مهورهن تدفع كاملة إلى سدنة هذه المصايد – كما يسميها الشيخ – .

هذا إلى تقاليد أجنبية تسربت إلى الجبل منذ العهد الصليبى ، ولاتزال موضع التقديس لدى الجميع ، على الرغم من تحريمها بالقانون ...

والشاعر لا يكتم نقصته من هذه الأباطيل المستغلة .. لذلك تراه يقف أخيرا فى هؤلاء الشيوخ موقف الخطيب الثائر يدعوهم إلى طرحها ، وتنقية الدين منها ، ويحذرهم يوما تشخص فيه الأبصار ، إذ ينتقض عليهم الجيل ، ويثور فى وجوههم أبناؤهم أنفسهم .. وقد كفروا بالدين كله ، وقذفوا به كالغبار فى وجه الأعاصير ! .

والحق أن الشيخ لم يقصر فى النصح لقومه ، ولم يدخر وسعا فى تحذيرهم من النهاية السوداء التى ستغمر الجبل .. إذا بقى الجبل راسفا فى عبودية هؤلاء الشيوخ المتاجرين بعقوله ومقدراته ! ...

على أن الشيخ أغفل التعرض لحلقات أخرى من المأساة لا تقل هولا عن كل ما تناوله منها .. ويظهر أن قيود الشعر قد ضاقت به فحالت دون الاسترسال فى هذا المجال ، وإلا فكيف ينسى شأن المرأة ، وفى وضعها الحزين المظلوم ما يعطيك أوجع صورة للرقيق الذى فقد كل حق .

مأساة ومآس =

لقد مرت بنا اليوم واحدة من هؤلاء القرويات اللائى يغشين المدينة فى باكورة النهار لتصريف مايملكن من البيض واللبن والخضار .. وكانت حافية وشبه عارية .. كالمألوف فى أكثر هؤلاء . ولما ساومناها على قدر اللبن لم تتمالك زفرة محرقة ، ثم قالت = .. لا تقتروا على .. فإن هذه الأشياء كل ما أملك من مورد لإعاشة ثلاثة أطفال ..

وكانت والدتى فى حاجة إلى البكاء .. فراحت تحقق معها وهى تكفكف دموعها = أليس لك زوج .... أليس لكم أرض ... وو ؟ ...

ووجدت القروية نفسها مدفوعة بهذا التجاوب إلى عرض أحزانها = لقد توفى

زوجها منذ عدة أشهر ... وكان له زيتون وتين وحقول ودوابّ .. ولكن أخاه أخرجها وأولادها من كل هذه الأشياء .. ولما رفضت أن تكون له زوجة إلى جانب زوجته عمد إلى العصا يمزق بها جسدها صباح مساء ... وهاهى ذى الآن مع أطفالها مطرودين من أرزاق مورثهم دون أن يجدوا لهم معينا ! .

إنها لمأساة تذكرك بأنظمة الجاهلية ، أيام لم يكن للمرأة والطفل أى حق فى الإرث ، وإذ كانت المرأة تقسم مع السلع بين الوارثين ، فيزوجونها إذا شاؤوا ، أو يعضلونها ... وليس لها فى مصيرها أى رأى .

ولا أقول إن كل قروية يجب أن تخضع لهذا النوع من التحكم الظالم .. فقد يتفاوت وضعها فى مقدار السوء ، ولكنها لا يعقل أن تنجو منه .

فهى إذا مازوجت كان مهرها برطيلا لوليها . وقد يقايض بها أخ لها فتكون هى مهر زوجته ، على طريقة الشغار الذى حرمه الإسلام[1] حتى إذا مات عنها الزوج أقصيت عن ميراثه وطردت من تركته كالكلب الشارد ! .

والرجل قد يكون من الشيوخ الذين يهبون الديانة للعامة – كما رأيت – وقد يكون من العامة الذين يأخذون الديانة من الشيوخ .. فهو على كل حال ذو حق فى الديانة بمجرد أن كان أهلا لصيانتها ! . أما المرأة فقد كتب عليها أن تظل محرومة من تلك النعمة على كل حال ، وحتى لو تحدرت من أصلاب أكبر هؤلاء الشيوخ .. فهى فى بيت أهلها آلة عمل .. وهى فى بيت زوجها جهاز تفريخ وعمل لا أكثر ولا أقل ! .

ولو أنت رحت تستقصى مآسى أمثال هذه القروية فى أوساط النصيرية لأعجزك الحصر .. ولامتلأ صدرك حقدا على هذه الجاهلية التى لا حصيلة لها سوى القضاء على الحرية والعقل والإنسان ...

الجعفريــة

إن الذى يرقب البوادر التى تمثلها ثورة الشيخ سعود ، ويتتبع إلى هذا وقائع هاتيك المآسى التى تجرها الباطنية على سواد ذلك الشعب المظلوم ، لا يستطيع

(١) عن ابن عمر (أن رسول الله (ص) ينهى عن الشغار ، وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته لرجل على أن يتزوج ابنته أو أخته وليس بينهما صداق .) أخرجه الستة

التصديق باستمرار هذا التحكم المغلق إلى الأبد ... ولابد إلا أن يتوقع أنواعا من الانفجارات ، كالتى ظهرت على يد لوثر وأعوانه أمام تحكم البابوية المطلق ... وقد رأينا فيما أسلفنا ألوانا من هذه التفاعلات ..

والآن نطل على ظاهرتين بارزتين من ثمرات ذلك المخاض لا يجوز اغفالهما فى بحث قصدنا به إلى تحديد الواقع ، الذى تعيشه مناطق النصيرية فى أرض الإسلام .

وأريد بالظاهرتين **الجعفرية ثم المرشدية** .

بدأ الحديث عن الجعفرية قبل بضع عشرة سنة فقط فى هذا الجبل ، ثم أخذت تظهر كعامل تطورى فى حياة بعض هذه المناطق منذ العهد الشيشكلى ، الذى استهدف تصفية الفوضى الضاربة فى أوساط رجال الدين ، فأقام لجانا لامتحان المدرسين والخطباء والأئمة ، وحظر على أى كان اتخاذ المظهر الخاص بهم ، إلا إذا كان يحمل إجازة من إحدى هذه اللجان ...

وكان من حق هذا التدبير أن يشق الطريق إلى نهضة إصلاحية طيبة فى الوسط الدينى ، فيطهره من المرتزقة والدخلاء ، لو أخذ حقه من التطبيق الصحيح .. ولكنه مع الأسف كان كقانون الإثراء غير المشروع ، تعوزه اليد التى تحسن إخراجه من عالم الخيال إلى عالم الواقع ! . وكما زلزل هذا القانون أول صدوره الأرض تحت أقدام الموظفين غير الأمناء .. ثم هدأ الزلزال وزال الجزع بزوال كابوسه .. هكذا تماما كان حظ التدبير الشيشكلى ، إذ وقفت به « الظروف » الخاصة عند حدود الظواهر .. فلم يحقق أملا ، ولم ينفذ عملا سوى تثبيت الأوضاع القائمة بإعطائها الصبغة القانونية .. بعد أن كان أكثرها فى نظر الناس جميعا ضربا من التجارة غير المشروعة ! ..

لقد حصرت هذه اللجان عملها فى أزياء العمائم لا أكثر ، فبعد أن كان للشيخ أن يعتمر باللون الذى يشاء والشكل الذى يفضل ، أصبح لزاما عليه أن يختار بين العمة البيضاء ، والغبانى الأصفر ! ..

أما الخضرة فقد أكرم بها أصحاب السيادة من « الأشراف .. » ! .. وهكذا كان محصَّل هذا القانون أن توارى « حملة البشاكير » من أنحاء الجبل ، ليطلوا برؤوس متوجة بالعمائم أو الغبانى ! . وطبيعى أنه لم يسقط شيخ واحد فى امتحان .. لأن القائمين عليه ، وبخاصة باسم المذهب الجعفرى ، لم تكن مهمتهم

كما أسلفنا سوى تيسير هذه الرحلة من (البشكير) إلى (العمامة) بأى (ثمن) دون أن يقام وزن للعلم والفقه وما إلى ذلك ! .. ثم ظهرت إثر هذا نشرات صغيرة فى المذهب الجعفرى تهدف إلى تزويد هؤلاء (المعمَّمين) بما لابد من معرفته من المبادئ الأولية لهذا المذهب ، الذى ماكان لهم أو لمعظمهم علم به أو خبر عنه من قبل ! .

ولكن هل استطاعت هذه الصبغة العابرة أن تحول الباطنية المستوطنة إلى جعفرية حقة !! ...

الحق أن دعوى الجعفرية لم تكن سوى ستار أُلقىَ على مصنع الباطنية القديم ، ليمكن له من الاستمرار فى العمل بعيدا عن الأعين .. فهو أشبه الأشياء بتلك اللافتة الجديدة التى رفعت فوق مطعم فى الأستانة عقيب خلع السلطان عبد الحميد ، وكانت من قبل تحمل اسمه ، فأصبحت تحمل اسم خالعه .. حتى إذا أتاه الزبائن وجدوا كل ماهنالك كالأمس لم يتغير ! ...

والكسب الوحيد بهذه (اللافتة) إنما كان من حظ الباطنية وحدها ، إذ أن كهنتها ما لبثوا أن واصلوا طريقهم فى تخدير الأشياع واستنزاف عرق جباههم على الأسلوب القديم ، إلا أنهم أصبحوا على أتم الاطمئنان بما كسبوه من الصفة القانونية ، التى تهب لهم ماكانوا فى أمس الحاجة إليه من حرية التصرف ! ..

والجعفرية ، فى وضعها الأصيل وتطورها الأخير ، واحد من المذاهب المعروفة فى نطاق الاجتهادات الإسلامية .. لا يختلف عن المعروف لدى كبار أئمة الإسلام ، إلا ماطرأ عليه من غلو فى تقديس أشخاص من أهل البيت ، غلوًّا يفتح باب القبول لأنواع من البدع ، ماعرف لها أصل لا عن رسول الله ولا أهل بيته المطهر ! . ثم تساهل فى موضوع الأسانيد التى تقوم عليها رواية الأخبار الدينية ، بشكل يعوزه التحقيق الذى عرف به علم الحديث عند أهل السنة .. وعلى هذا فالجعفرية الحقة أبعد من أن تقر مفاهيم الباطنية .. ولكنها مع ذلك تتحمل أوزارها بهذا التستر الذى لا يراد به وجه الله ، ولا يرضى جعفر الصادق ! ..

ونحن على أتم الاستعداد لإعطاء أوثق البراهين على أن بعضا من كبار شيوخ الجعفرية الجديدة فى الجبل ، لايزالون كشأنهم من قبلها ، يدعون إلى الباطنية ، ويعملون جاهدين لتحطيم كل تنبه فكرى بين أتباعهم ، ولئن غرر بهم الوهم

فعمدوا إلى أى محاولة لإنكار هذا الواقع كان علينا إذن أن نطلع عليهم بأسماء شباب ثقات حاولوا استجرارهم إلى ظلمات ذلك الضلال القديم ، القائم على تأليه على ، وعلى العبث بمعانى القرآن .. وربما اضطررنا فى هذه الحالة إلى الجهر بأشياء يسود لها كثير من الوجوه .. التى تتظاهر اليوم دون حق بالانتساب إلى الجعفرية ! .

المرشديـــة

والآن أنتقل بالقارئ إلى المرشدية ثانية الظاهرتين ، وإن كانت فى الواقع التاريخى أولاهما وأسبقهما . كان ظهور المرشدية قبل أربعين سنة مثار دهشة لكثير من الناس أول الأمر ، سواء فى سورية أو فى خارجها . إذ تعذر عليهم أن يتصوروا وجود مكان فى الدنيا يتقبل فكرة العبادة لواحد من البشر ، وبخاصة فى مثل هذا العصر الذى طغت فيه المادية حتى أوشكت أن تزلزل أركان الحقائق الروحية ! . وقد ساء الكثيرين من أبناء الطائفة النصيرية شيوع هذا الخبر عن بعض ربوعهم ، فراحوا يتبرؤون من كل مرشدى ! . بيد أن الراسخين فى العلم ظلوا محافظين على أناتهم بازاء هذا المشهد الجديد ، إذ كانوا واثقين أن ادعاء مثل (سلمان المرشد)[1] للألوهية فى هذا الجبل إنما هو حلقة جد طبيعية من المسرحية القديمة ، مسرحية العقيدة التى انحرفت بعقول أشياعها حتى قضت عليهم أن يستسيغوا ظهور الله فى جلود أشخاص من البشر « أمثال هابيل وشيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وعلى[2] وبذلك أعدتهم لقبول دعوى الظهور الإلـهى فى أى مخلوق صالح للاستغلال – تعالى الله عما يقول الظالمون ...

---

(١) قروى من قضاء الحفة – فى محافظة اللاذقية – بدأ حياته راعياً ثم عاملا ، وقد أحاط به بعض الخبثاء ليتخذوا منه مطية إلى استثمار الجو الباطنى فى عشيرتهم ، فادعوا له صفة الظهور .. وانبثوا فى أطراف قومهم ينشرون هذه الدعاية بصفتهم أنبياء له ، فيتلقون الهدايا والأموال الطائلة . ولكن سلمان عرف كيف يتخلص من هؤلاء أخيراً بعد أن استولى على ثقة القوم وإيمانهم بألوهيته .. وقد انتهت حياته على المشنقة فى دمشق عام ١٩٤٦ .

(٢) يعتقد القوم أن مجموع القباب – الظهورات – الماضية سبع ، وأن كلا من هؤلاء كان يمثل أقنوم المعنى – الألوهية – فى حينه . ثم هم ينتظرون القبة الثامنة بين حين وحين .. وإلى هذا يشير أحد شعرائهم إذ يقول

وسوف يظهر مولانا على أسد ... من عين شمس ، له بالأنفس الرهَبُ
ظهور كشف به يصفو لشيعتنا ... ولا ينالهم من بعـــده نصَبُ =

ولقد حدثنا التاريخ عن عدد من « الظهورات » التى تفتقت عنها جلود الباطنية فى مراحلها المختلفة ، وليس كرسى المختار الثقفى ، ثم فكرة انتظار الإمام الغائب فى رضوى عنده عسل وماء – على رأى شاعر الكيسانية كثير عزة – قديما ، ولا نحلة القاديانية فى الهند ، ومن قبلها البابية البهائية فى فارس حديثا .. إلا صورا متتالية متطورة من ثمرات هذه الباطنية التى ندت فى الأصل عن طريق النبوة ، لتكون لعبة أهل الأهواء ، يتخذون لها فى كل زمان ومكان لبوسها الرائج ..

وهذه المرشدية – على سذاجة دعاتها وأدعيائها – إنما هى لون من هذه المفاجآت القصصية ، يمثل تفاعل الباطنية المستمر داخل مجالاتها الخاصة .. وفى اعتقادى أنه حدث لابد منه بالنسبة إلى اتجاهات البيئة التى تمخضت عنه ، ولو لم يتم بروزه فى شخص سلمان المرشد نفسه لكان حريا أن يبرز فى غيره .

ولربما كان من البواعث الهامة فى استنكار بعضهم لمزاعم المرشدية إنما جاء من نزعة التنافس القبلى ، الذى يوحى للعشيرة بالنفرة من أى ظهور يكون فى غيرها ! . وهو عامل كثيرا ما أدى إلى اختلافات فى تطور العقيدة نفسها بعض الأحيان ! .

على أن نظرة واعية إلى آثار المرشدية ، كمرحلة من تفاعل العقيدة السرية ، ترينا أننا أمام تحول جدير بالاهتمام والدراسة بالنسبة إلى هذا الجبل على وجه خاص ، فهى قد أدت خدمة كبيرة لفكرة التحرر من أخطار السرية المغلقة ، إذ أصبحت فى وضعها الراهن نحلة صريحة إلى حد ... فالمرشدى لا يكتم عقيدته فى تأليه سلمان وأبنائه الذين أعدهم ذلك الأب (البار) لمنصب الألوهية ، منذ أن اختار لهم بعض اسماء الله الحسنى (فاتح وسميع ومجيب) ! . وإن كان لأمر ما يحصر اليوم عبادته فى شخص مجيب .

= ويحسن الإشارة إلى أن بعض الباحثين فى النصيرية قد أخطئوا فى تعيين أشخاص الظهورات فجعلوهم (شمعون وهارون وإسماعيل وشيث وهابيل ..) ونحن نفضل روايتنا التى أخذناها من أفواه بعض الشيوخ المهتدين مباشرة . وقد تأيد ذلك بما وجدناه فى مخطوطة (خرندة النذر) التى سنتكلم عنها فى الجزء الثانى .. ومن يطالع ما كتب عن الديانات الهندية ، وبخاصة البوذية يشعر بالرباط الذى يشد هذه الظهورات – النصيرية – إلى التجسدات (الفشنوية) التى كان بوذا بنظر أتباعها هو تاسعها ... وليس أدل على ذلك من قول الفشنويين الصينيين أنه (يظهر بين الناس بهيئة فارس مدجج على فرس أشهب ذى أجنحة ...) الخ . انظر (العقائد الوثنية ..) صفحة ١٣١ ......

وقد أصبح من المألوف أن تسمع هذا المرشدى يدافع عن عقيدته باسم حرية الفكر ، متحديا كل أنواع الضغط التى لا تزيده إلا جهرا بها وعضًّا عليها ! .

وعندى أن صراحة العقيدة صورة محترمة للتنبُّه والاستعداد للنقاش ، ومثل هذا الوضع يؤلف مرحلة انتقال إلى وضع ثابت من العقائد الإلّهية ، يتوقف اختياره على طريقة عرضه .. ولا أكشف سترا إذا قلت إن خط السير فى حياة المرشدية لا يشير إلى كون الإسلام هو نهاية المطاف بالنسبة إليهما ، إذا لم أقل إنه يدل على ابتعادهما عن الإسلام بمقدار ما يساء عرضه فى مواطنها الأساسية ، وبخاصة منطقة (الجوبة) فى محافظة اللاذقية ، حيث ثبت بصورة قاطعة أن المرشدية على صلة وثيقة بالإرسالية البروتستانتية الأمريكية فى اللاذقية ، وهى صلة مريبة لا أشك أن وراءها أصابع السياسة الأمريكية ، وبكلمة أوضح أصابع الصهيونية العالمية ! .. ومن هنا يبرز وجه الخطر الذى انتهت إليه هذه النحلة .

لقد جاء يوم على المرشدية كانت فيه سيف الفرنسيين المصلت على رقبة كل وطنى فى هذه المحافظة ، وكان ذلك عام ١٩٣٨ إذ أقام ربها سلمان نفسه دولة ضمن الدولة ، يفرض الإتاوات ، ويجبى الضرائب ، وينصب المحاكم ، وينفذ أحكام الإعدام ، ويقطع طرق المواصلات بين اللاذقية وبقية الأنحاء ! . ومرَّت أوقات هول على اللاذقية كانت تتوقع خلالها غزو المرشديين ومذابحهم بين ليلة وليلة ... ثم تجلت رحمة الله ، وخرج المستعمر فى مواكب العار عام ١٩٤٥ ، وكان على المرشدية أن تدافع عن وجودها الذى لا بقاء له إلا بحراب الأجنبى ودسائسه ، فاعتصم ربها بعاصمة الألوهية (الجوبة) وعالن الحكم الوطنى الطفل عداءَه من هناك ، وظل فى تمرده ومقاومته حتى أسقط الله قلعته فى قبضة فريق من أشاوس الدرك الوطنى بقيادة الضابط البطل (محمد على عزمة) ... ومن ثم وقع الإلـٰه فى يمين العدالة التى قضت عليه بالإعدام شنقا ، ثم مالبث أن نفذ به الحكم فى ساحة المرجة بدمشق ، حيث لفظ آخر أنفاسه وهو ينطق كلمة التوحيد ، والبراءة من كل دين غير الإسلام[1] ..

(١) العجيب فى أمر سلمان أنه لم يكن ليصرح بمزاعمه (الإلّهية) خارج حدود نفوذه قط ، وقد مثل منطقته فى البرلمان السورى كأى نائب – من غير الناطقين – فلم يسمع منه أى تصريح أو تلميح لما يقول فيه أتباعه ! ..

وأذكر أننى اجتمعت به وسألته عن هذه الدعوى التى تشيع عنه فأنكرها أشد الإنكار ، وشهد على نفسه =

ولكن هل انتهت المرشدية بشنق إلـهها الأكبر !! ...
الجواب على هذا السؤال تنطق به كل يوم أحداث المرشديين هنا وهناك ...

والحق أن المرشدية لم تنته ، بل سرعان ماوجدت مجراها الجديد فى ولى عهد الألوهية « مجيب » .. ثم قتل مجيب فى حركة عصيان آخر .. فهل قتلت هى ؟!

ومرة أخرى نقول « لا .. إنها لجأت هذه المرة إلى الأصل الأصيل للباطنية ، وهو القول بالرجعة وانتظار الإمام الغائب..وهاهى ذى تتجه إلى مجيبها بعباداتها مرتقبة « ظهوره » الجديد فى جسد جديد ! ..

أجل لقد سقطت عاصمة المرشديدية فى يد الدولة ، ولكن العقيدة التى نمتها لم تسقط قط .. بل ظلت محافظة على وجودها ، بالرغم من كل الأهوال التى واجهتها على أيدى السلطة العشائرية ، التى اتخذت من وظيفتها فى الدولة ذريعة للتنكيل بأهلها إلى أقصى الحدود ... وكان المسئولون الكبار آنذاك يغضون النظر عن الإرهاب ، لاعتقادهم أن النحلة المرشدية خطر على أمن البلاد ، إذ تجعل من مناطقها أبدا بؤرة للمؤامرات ، ومركزاً لاستئناف التعاون مع كل عدو على سلامة الوطن وحريته ...

وهكذا لبثت تلك النحلة ثابتة فى وجه الأعاصير ، تتحمل كل ضروب الاضطهاد دون أن تستسلم موطنةً النفس على احتمال كل شئ فى سبيل بقائها ..

على أن هناك فقط مكانا واحدا فى حصون المرشدية قد ألقى سلاحه دون قتال ولا نضال ، ودُون أى ضغط أو إكراه . بل دون أى تدخل من قبل الدولة نفسها .. هذا المكان هو منطقة (شين) الواقعة فى قضاء تلكلخ جنوب محافظة اللاذقية ، حيث أعلن بضعة آلاف من المرشديين الأقحاح إسلامهم ... وأقبلوا طائعين مختارين يقيمون الصلاة ويعلنون شعائر القرآن فى حرارة بالغة ، وشعور بالسعادة لا يضاهيه إلا شعور الضال فى الصحراء وجد الواحة على حين غرة ..

أما كيف حدث هذا فإليك الجواب فى حديث واحد من رجال هذا الانقلاب الفكرى من الطليعة السابقة إلى النور فى هذه المنطقة ....

بالإسلام وقد قال لى يومئذ:« إن كل مهمته فى جماعته هى إن يحاول تنظيم أمورهم على أساس الإسلام .. وعدد بعض أعماله الإصلاحية هناك مما لا غبار عليه .. غير أن الواقع أن الرجل كان أذكى من أن يصرح بغير هذا أمام أى عاقل خارج جماعته ! ....

حديث ذو شجون

قال السيد (أ ..)[1] ...

« لقد كنت من أشد أتباع المرشدية إيمانا بربها ... ومن أجل ذلك وكل إلى أمر القضاء والدعوة والجباية فى منطقتى .. وقد بلغ من إخلاصى لهأننى لم أسمح لنفسى قط باقتطاع درهم من مال الجباية لمصلحتى .. ولم أعاد أحدا قط كما عاديت أهل القبلة والعاملين لحرية هذه البلاد غيرة على مصالح المرشدية .

وكان فى منطقتى شيخ معروف بانحرافه عن طريقنا قبل المرشدية وأثناءها ، وكثيرا ما جابهنا بتسفيه أحلامنا وحاول تشكيكنا فى مانحن عليه ! . ولَشَدَّ ما ناصبته العداء فى سبيل المرشدية حتى لم أمسك عن إيذائه مع الكثيرين غيرى ، ولكن تصميمه العجيب على الاحتمال كان أشد من قدرتنا على أى نكال .. فما استكان ولا وهن ، بل استمر فى دعوتنا إلىالكتاب والسنة ، وتذكيرنا بحقائق الإسلام كلما وجد لذلك سبيلا .. ومن أشدّ كلماته الحكيمة قرعا للقلوب قوله لى بين الحين والحين: « يا « أ » أينيذهب عقلك عن آيات الله ! .. لماذا لا تقرأ كتاب الله فتحكم بنفسك على نفسك ! .. » .

وأتذكر أننى أحسن القراءة ، ولا يفوتنى أن أفهم بعض ما ينطوى عليه هذا القرآن من حق أو غيره .. فلماذا لا أقرأ ... ولماذا لا أفكر ؟ ! .. ولماذا أفترض الخطأ دائما فى كل ما يقوله هذا الشيخ !! .

ومن هنا صممت على الاتصال بالقرآن ..

وذات يوم انتهزت فرصة خلو البيت من أهلى وصغارى فأغلقت الأبواب والنوافذ .. وجلست أقرأ .. وكان أول ماطلعنى من القرآن فاتحته ، وهى أقرب مايكون إلى الأفهام ، كأنها نداء عام لكل إنسان بالغا ما بلغ من قصور وبلادة ..

« الحمد لله رب العالمين » ... وما أجمل أن يكون ربى هو رب العالمين جميعا ! ...

« الرحمن الرحيم » ... وكيف لا يكون كذلك وهو واهب الحيلة والرزق والوجود لكل موجود ..! .

---

(١) اكتفينا من اسمه بالحرف الأول حرصا على حياته من الحكم النصيرى

ثم تمضى السورة بعرضها المثير لأمثال هذه المعانى الشاملة التى تدق قلب كل إنسان ..

وأحسست بانجذاب إلى هذه الحقائق الفطرية ، وخيل إلىَّ أننى أستكشف بها آفاقا ما كنت عرفتها ولا سمعت بها من قبل .. ولذلك صممت على أن ألوذ بمثل هذه الخلوة لكما استطعت ...

وبعد أيام فعلت مثل ذلك .. فغلقت المنافذ .. وأقبلت على القرآن أجيل فيه النظر وأعمل به الفكر ، وتضاعف إحساسى بأننى أتلقى هذه الكلمات على غير الطريقة التى كنت أقرأ بها من قبل .. ومَرَّت بى آيات عن الله والكون ، والحلال والحرام ، وعلائق البشر .. فوجدتنى أتقبل أحكامها فى ايجابية عجيبة .. ماكنت أرى شيئا منها قابلا لأى اعتراض ...

وهكذا اشتد ولعى بالقرآن .. وكثرت خلواتى به .. حتى لفت أمرى نظر بعض الشيوخ والرفاق ، ممن كنت أجلس إليهم فى مثل هذه الأوقات ، فجعلوا يراقبون دخولى البيت وتغليق منافذه علىَّ كلما ذهبت زوجتى بأولادى إلى أهلها .. وسرعان مادفعوا زوجتى للتجسس علىَّ . وبينما أنا مكب على الكتاب الحكيم ذات مساء أقرأ وأبكى ، إذا شهقة من خلفى ، ثم جاء صوتها يقول « صحيح مثلما قالوا ! ... » ...

وسألتها « ماذا يقولون ! .. فقالت « يقولون أنك تسنَّنت ! ... »

ورأيت أن أتلطف بها وأواجهها بالناحية المؤثرة فقلت « تعالى أحدثك بأمرى .. أنا ماتسننت ولا كفرت .. ولكنى وجدت نفسى التى كانت ضائعة .. واهتديت إلى الحقيقة التى فيها سعادتى وسعادتك وسعادة أولادنا ...

ثم أخذت أقص عليها ما وجدت .. وذكرت لها أن هذا القرآن يسوِّى بينى وبينها فى الحقوق والدين ، فلا يبقيها محرومة من معرفة الله وعبادته ...

وسرعان مااستلانت للحق واستجابت إلى دعوتى .. وعادت من النافذة التى تسللت منها ، لتطمئن القوم بأنهم مخطئون فى ماذهبوا إليه بشأنى ..

ولم أطق كتمان الخبر الذى ملأ قلبى وجوارحى فمضيت إلى الشيخ الصالح ..

ووالله ما إن بصر بى عن كثب حتى هتف بمن حوله « هاهو ذا والله لقد جاءكم بوجهِ مؤمن . »

وقلت له « الحمد لله الذى هدانى إلى الإيمان .. ولك الفضل بأنك دفعتنى إلى البحث عن ... »

ومنذ ذلك اليوم بدأنا نشق طريقنا معا ... ومنذ ذلك اليوم أخذت المِحنُ تنصبُّ علينا فنتقبلها فى رضى بحكمة الله .. ثم جاء نصر الله والفتح ، وأقبل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ....

وقال:« ومن الحق ألا ننسى جهد أخ من موظفى التعليم كان مخلصا دينه لله ، وقد جعل يلقى بذور الحق فى دورسه لتلاميذه ، فيصرفهم عن ضلالات آبائهم ، وينثرمثل هذه البذور فى أحاديثه لكل من يتصل به من أهل القرية ، فيمد لنا بذلك مجال العمل ...

ثم ختم حديثه قائلا:« وهانحن أولاء قد انتقلنا من الآحاد إلى العشرات فالمئات فالألوف ، وليس واحد منا إلا وهو ممتلئ يقينا أن سعادته لن تتم مادام هناك واحد من أخوة الأمس بعيدا عن تذوق هذه السعادة ..
وبهذا الشعور أصبح كل واحد منا داعياً إلى الله ، ساعيا لنشر نوره فى هاتيك الظلمات .

ثلاثة رجال ومصحف =

وبعد فهذا حديث ليس لى فيه إلا صياغته .. وكنت أود لو كتبته كما أخذته من فم صاحبه .. ولعمرى لئن كنت قد أحسنت إلى تعابيره ، أننى أخشى أن أكون قد أسأت إلى روحه ، لأن البيان قد يحسن تصوير الأفكار ، ولكنه يعجز عن الاحتفاظ بحرارة القلب الذى أملاها .. ولقد والله كنت أحس فى حديث هذا الرجل من عمق الحكمة ودفق الروح ما لاأجد سبيلا إلى أدائه أبدا ...

والشئ الذى يهمنا من هذا الحديث ، إنما هو العبرة التى تعرفنا الطريق إلى قلوب أولئك الذين أغلقوا قلوبهم فى وجه كل الوسائل التى اتُّخِذت فى مكافحة فكرتهم حتى الساعة ..

لقد كان الجهاز الذى استخدم لإخراج هذه الآلاف من مهاوى المرشدية فى

منطقة شين مؤلفا من ثلاثة رجال ومصحف فقط .. فهناك معلم مؤمن عرف أن وظيفته ليست فقط تلقين القراءة والكتابة ، وحشو الأذهان بمعلومات لا تلبث أن تفقدها بعد فحص الشهادة .. بل عليه أن يصحح قلوب الناس ، ويفتح للحق أعينهم ...

ثم هناك رجل آخر وقف حياته على تبديد الظلام بإضاءة طريق الناس ، لا يصرفه عن ذلك فقر ولا حرمان ، ولا هزؤ ولا أذى ... ظل على دأبه هذا عشرات السنين يتعلم كل يوم جديدا من الوسائل الكفيلة بإزالة الحواجز من طريق النور ... حتى شاء الله أن يكحل عينيه بالنظر إلى فكرته تنتصر حتى تصبح هى القوة التى تفرض نفسها على بيئته ! ..

ثم ثالث دفعته جهود سابقيه إلى طريق الهدى ، فإذا هو معهما يؤلفون مركز الضوء فى عتمة تلك الجاهلية التى ألفت حياة الظلام منذ أجيال ...

أما المصحف فكان هو وسيلتهم الوحيدة إلى تلك القلوب المغلقة ، يقرعونها به حتى تفتح ، ذلك لأنهم أدركوا مطمئنين أن القلوب صناديق الفطرة ، لا يمكن افتضاض مغاليقها إلا بمقاليد الحقائق الإلٓهية ، فلا رهبة ولا رغبة ، ولا مدرسة ولا حزبية من شأنها أن تسد فراغ هذه الحقائق ، أو تقوم مقامها بتقويم أى انحراف فى هذه القلوب ..

هذه تجربة نجحت على نطاق واسع فى مناطق الجنوب من حصون المرشدية ... فلنلتفت إلى الشمال من هذه الحصون ، لنرى إلى تجربة صغيرة قام بها معلم صغير من حملة الكفاءة ، فى مدرسة إحدى القرى المرشدية من منطقة الحفة .

معلم بالقدوة :

لقد استطاع هذا المعلم أن يدق إسفيناً فى أساس المرشدية من هذه القرية ، وذلك بما نشّأ عليه تلاميذه من معرفة الله ورسوله وكتابه ، حتى لقد استطاع أن يجعلهم يسعون إلى الصلاة راضين راغبين ، ويقبلون على صيام رمضان مطمئنين صابرين ، لا يتخلف منهم عن ذلك أحد ، ولا يشك فى حقيقته أحد ... اللهم إلا واحدا أو اثنين ظلا فى نزاع نفسى بين ما يأخذانه عن المعلم ، وما يجدان عليه أهلهما ! .

والمهم جدا فى الأمر أن المعلم قد بلغ بتلاميذه هذه النهاية الناجحة دون أن يجد أى معارضة من أوليائهم .. وكان ذلك عائدا بالدرجة الأولى إلى خُلق المعلم نفسه ، إذ كان خير أسوة لتلاميذه فى هذا الاتجاه ، فهو لم يعلمهم العقائد الإسلامية تلقينا كلاميا فحسب ، بل كان بنفسه أنموذجا لما يمكن لهذه العقائد أن تصنعه فى نفوس أصحابها ..

كان يعلمهم الصلاة على طريقة الرسول الذى يقول:« (صلوا كما رأيتمونى أصلى) »[1] .. ويلقنهم آداب الإسلام عن طريق الأسوة الحسنة ، إذ كان هو فى الواقع أنموذجا محترما من هذه الآداب ...

وطبيعى أن مثل هذه التجربة الإسلامية لم يعد لها مكان فى ظل العهد الذى يريد نسف قواعد الإيمان كلها بالهتاف العفلقى (الخالد) « (وحدة . حرية . اشتراكية ..) » !

لقد سبق أن ذاق هذا المعلم وإخوان له الأمرّين بسبب من هذه الخطة الإسلامية ، التى يراد بها رد القطيع الضال إلى حظيرة الفطرة ، وتحويل تلك الطاقات المدمرة لكل مصلحة وطنية قوة بناءة تسهم فى حماية البلد من كل شر .. وقد لقوا كل ذلك فى ظل العهد الذى يحكمه النظام الانتخابى ، إذ سلط عليهم مفتشون من التابعية الرافضية ، فمازالوا بهم هدما وتجريحا وإفسادا حتى اقتلعوهم من أمكنتهم ، ثم ملئوها بمن يرضون ممن يشركونهم فى كره الإسلام ..

بل لقد رأى الناس أيامئذ أغرب من ذلك ... قائد منطقة تلكلخ ، وهو من أبوين مسلمين ،، إلا أنه نشأ على غير طريقة المؤمنين ، وأشرب بغض كل شئ يمت إلى الإسلام .. ينظم تظاهرة رافضية للاحتجاج على (تسلل) الإسلام إلى منطقة شين ! .. وقد استقبل بتلك التظاهرة يومئذ وزير (الوحدة) للأوقاف الإسلامية الشيخ أحمد حسن الباقورى .. الذى جاء سورية لتوحيد شئون الأوقاف ، فدعاه علماء حمص وحماة لزيارة أولئك المهتدين الجدد فى تلك المنطقة ، ظنا منهم أن ذلك يسره فيحفزه على احتضان الدعوة الإسلامية بالتشجيع الذى يشد أزرها ، فيحميها عدوان أولئك الموظفين الإداريين ، الذين وجدوا فى شيوع الإسلام هنالك تحديا لمبادئهم الحزبية المستوردة ! وطبيعى أن

---

(١) من حديث متفق عليه .

فضيلة الباقورى لم ينظر يومئذ إلى الموضوع بعين الجد لأن سحر الوزارة كان قد غير من قدرته على الرؤية السليمة ..

وإذا كان لمثل هذا أن يحدث فى ظل الدستور الذى يتحدث عن صيانة الحريات ، ويؤكد على سلطة القانون ، وينص على إسلامية الدولة ، ثم فى ظل (الوحدة) التى لجأ إليها المقتتلون على السلطة لتنقذهم من تآمر بعضهم على بعض ، ولتتولى توزيع المنافع المتخلف عليها فيما بينهم .. فكيف بالأمس بعد تمزيق شاشة الوحدة ، ثم بعد انقلاب البعثيين على رفاق السلاح ، ثم بعد سيطرة الرافضة والباطنية على هؤلاء وأولئك أجمعين ! ...

وإنه لسؤال رهيب ولكن جوابه جد قريب ...

جوابه فى أنشودة الكتائب الرافضية التى اقتحمت حماة وهى تملأ أجواز الفضاء بذلك الهتاف الذى لن تنساه حماة « (هات سلاح وخد سلاح دين محمد ولى وراح) » وياله من هتاف سرعان ما تلاقى مع أخيه هتاف بنى صهيون ، إذ اقتحموا المسجد الأقصى يوم النكبة وهم يرددون ، وتنقل الإذاعات العالمية مايرددون « (محمد مات ، خلف بنات . فليسقط الإسلام ..) » .

جوابه فى تدمير مسجد السلطان بحماة الذى أسفرت عنه يومئذ بطولة الغزاة الباطنيين ، إذ هدموه بالقنابل على رؤوس المصلين ، حتى لم يبق منه حجر على حجر ...

جوابه فى قلب المسجد الأموى بدمشق ، الذى لايزال يحمل جراح الرصاص ممزوجا بدماء الشهداء .. من القارئين والقائمين والركع السجود ..

جوابه فى جريدة الثورة التى أعلنت أن (الله والأنبياء والكتب المقدسة كلها محنّطات ينبغى تحويلها إلى متاحف التاريخ ! .)

وأخيرا لا آخرا جوابه فى كلمة المدير الرافضى لسجن المزة ، الذى جاء أحد العلماء يسأله أن يدع له مصحف الجيب ليأنس بتلاوته فى السجن ، فقال له « ألا تزالون تهتمون بهذا القرآن ونحن نريد أن نلقيه عن ط ......! .) – وكبرت كلمة تخرج من ذلك القسم القذر !! –

أجل .. إن الكلام عن العمل الإسلامى فى مناطق المرشدية لم يعد ذا

موضوع ، مادامت البلاد كلها تحسست كابوس الإلحاد ، الذى أعلن الحرب على الإسلام كله دون مواربة ولا تستر ... ولكن الذى قصدنا إليه من ذلك هو التذكير بالمبدأ الذى يمكن استخلاصه من هاتين التجربتين فى شمال الجبل وجنوبه . وهو أن سبيل الانتصار على تلك الحماقات محصورة فى حشد النماذج الطيبة من الرجال الذين يحسنون عرض حقائق الإسلام .. وأن هذا الانتصار يكون أتم وأسرع إذا أنيط أمر الدعوة فى تلك المناطق بمهتدين من تَبعة القوم نفسها ، لأنهم أعلم بظواهرها وبواطنها وبخصائص أبنائها .

ثم أمر آخر أيضا ، وهو أن الفكر النافذ إلى ماوراء الأحداث لا يستبعد أن يكون نجاح الحركة الإسلامية فى الوسط المرشدى أحد الدوافع الأساسية التى تكمن خلف اغتصاب الباطنية للسلطة فى سورية .. فقد راع القوم سرعة الاستجابة التى قوبلت بها الدعوة الإسلامية فى شين ، ثم هالهم ما لمسه مفتشوهم فى القسم الشمالى من استعداد لانتشارها هناك أيضا .. وخلال ذلك كانوا يدركون آثار التطور فى العقلية الرافضية ، ونزعة التمرد فى شبابهم ضد الواقع الأسود الذى يراد حبسهم فى مطابقه .. الأمر الذى يعنى إمكان تغلغل الإسلام بقوة فى سائر أنحاء الجبل ، وفى هذا تهديد مخيف لمصالح الكهانة المسيطرة ، ثم قضاء نهائى على تلك المؤامرات التاريخية التى حيكت ولا تزال تحاك فى الظلام لتدمير الإسلام .

نصوص سرّية
من الديانة النصيرية

إن الذين يتصلون عن قرب بمنابع العقيدة النصيرية لا يفاجئهم كل ما أسلفناه من عرض لهذه العقيدة ، وإن كان جديدا وطريفا بالنسبة إلى سواد القراء الذين قصرت أعينهم عن الإحاطة بهذه الحقائق ، التى مازالت الجهود الجبارة تبذل لإقصائها عن إدراك الناس .

ولقد اطلع على الجزء المذكور - مخطوطا - أصدقاء من كبار المفكرين ، فرأوا من تمام البحث ، بل من عناصره الرئيسية ، أن يؤيَّد ما أمكن بصور من الوثائق السرية .. من شأنها أن تقدم للباحثين ما هم فى حاجة إليه من الأصول التى لا غنى عنها لأمثالهم .

ولقد كان من ظواهر توفيق الله أن أعثرنا على طائفة من المخطوطات النصيرية ما أحسب أحدا يملك أفضل منها فى هذا المجال .. وكان فى نيتنا أن نفردها بتأليف خاص قد يبلغ خمسمئة صفحة معظمها رواسم أصلية ولكن ضخامة التكاليف التى يتطلبها هذا المشروع ، والوقت الطويل الذى يقتضيه ، كانا يدفعاننا لارجائه إلى فرصة مواتية ، فلما وقفنا على اقتراح هؤلاء الأصدقاء رأينا أن نستغنى ولو مؤقتا عن ذلك المؤلف الضخم بمصغَّر له نودعه عددا من الرواسم ، كافيا لتوكيد النقاط الأساسية التى اشتمل عليها .. ويكون فى الوقت نفسه أنموذجا صالحا للمؤلف الذى نراقب لاخراجه الوقت المناسب .

وفى الصفحات التالية يجد القارئ ما تيسر حصره ونشره من هذه الوثائق .

على أنه لابد قبل عرض الرواسم من تمهيد يوجز وصف الأصول الكاملة التى أخذت عنها .. وسنكتفى بالكلام على ثلاثة من هذه الأصول =

آ=المخطوط الكبير = لا يحمل هذا المخطوط اسما معينا ، وإنما هو مجموعة من الفصول التى تنتظم أصول العقيدة النصيرية ، بعضها منثور وبعضها منظوم ، ولذلك سنشير إليها باسم (المجموعة الكبرى) وقد صُدِّرت هذه المجموعة بالكلمات التالية =

(باسم الله الرحمن الرحيم . كتاب فيه أشعار وأخبار ودعاوى – دعوات – من قول موالينا أهل البيت عليهم السلام والرحمة ، وهو هذا . رب يسر وعين – أعن – ياكريم .)

ولكن على الرغم من هذا التعريف ، فهو لا يقتصر على الأقوال المنسوبة لبعض أهل البيت ، بل إن هذه الأقوال لا تحتل سوى جزء يسير منها ، أما سائرها فلعدد من الشيوخ ذوي القدم الراسخة فى العقيدة ، لعل أشهرهم من الأقدمين الحسين بن حمدان الخصيبى صاحب المحل الأعلى فى الديانة النصيرية ، ثم من المتأخرين الشيخ محمد الكلازى الأنطاكى ، من شيوخ القرن الحادى عشر الهجرى ، وله فى المجموعة فصلان طويلان يعتبران من أهم منطوياتها ، إذ يبدو فيهما الشيخ مجددا لهذه الديانة بردها إلى أصولها التى أوشك معاصروه أن يشتطوا عنها . وقد ختمت المجموعة هذه بتعريف كاتبها وغرضه من كتابتها إذ يقول (ص ٤٧٢) :

« قد كتبها العبد الفقير الحقير الخائف المستجير ، الراجى عفو مولاه العلى الكبير ، عبد الإخوان الفقير أحمد حيدر حمدان ، الساكن يومئذ فى جورة الحصان[١] خادم الشيخ جمال – أو حماد – رحمه الله تعالى آمين . ونقل الفقير أحمد حيدر من خط الشيخ حسن الخطيب رحمه الله تعالى آمين . كتبها طمعا فى دعاكم وحسن رضاكم . »

ولكن .. مَن أحمد حيدر هذا ؟ . ومتى ولد ؟ . ومتى توفى ؟ . ومن الشيخ الآخر حسن الخطيب ؟ . وما زمن ميلاده ووفاته ؟ ! . ذلك مالا سبيل إلى معرفته من قبلنا . على أن هناك إشارة فى نهاية رسالة (الوصية لمن يروم التقية)[٢] تصرح بما يلى (ص ١٢٩) (تمَّت الوصية .. على يد مسطرها وكاتبها وراقمها العبد الفقير المفتقر الحقير الأدنا ، المقر بما أجنى ، العبد يوسف ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ على ابن الشيخ إبراهيم شهرت المكزون ،، وقد كان فراغنا من نساختها نهار الأحد فى أول كانون الأول فى يومين مضت منه فى سنة ألف ومايتين وثمان وسبعين من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وهو برسم أخينا الشيخ سليمان ابن الشيخ سلمان ابن الشيخ جابر ابن الشيخ ... »

---

(١) الحصان من القرى المعروفة فى قضاء جبلة – محافظة اللاذقية – ....

(٢) إحدى رسالتى الكلازى .

ثم نقع على إشارة أخرى (ص ٣١٨) فى ذيل الرسالة الخاصة بإعطاء الدين ، تحمل تاريخ ١٢٧٩ وذلك ضمن سلسلة طويلة من نسب مالك المجموعة نفسه مع تغيير كلمة « جابر » إلى « جبور »

والذى نفيده من هذا وذاك هو أن تلك الرسالة قد كتبت بين هذين التاريخين ..

والمجموعة مكتوبة بخطوط مختلفة تؤكد أنها ملك لرجل واحد ، اسمه الشيخ سلمان عيد جابر أو جبور ، ولعل هذا المالك كان يستكتب من يلقاه من الشيوخ ماعندهم من المعلومات الدينية ، فاختلفت بذلك الخطوط ، وتعدد الكُتّاب وأزمنة الكتابة .

وتقع المجموعة فى ثلاث وسبعين وأربعمئة صفحة بقياس ١٩ × ١٢ وورقها من نوع (أثر جديد) الذى يكثر استعماله فى كتابة وثائق البيوع العقارية القديمة . وهى محفوظة ضمن غلاف من المقوى المظهّر بالجلد المدبوغ .

أما خطها فمتعدد الأشكال كما أسلفنا ، ولكن معظمه من نوع النسخ ، وهو كثير الانتشار فى جبال النصيرية حتى الآن ، حيث يغلب على الذين يتعلمون الخط على أيدى الشيوخ الذين توارثوا هذه الطريقة . ويظهر أن المجموعة لم تحظ بالصيانة الكافية ، فعلى الكثير من حواشيها ، وصفحاتها البيض فى نهايات الرسالات والفصول ، كتابات فضولية رسمت فيها البسملة أو الفاتحة ، أو بعض عبارات الكتاب نفسه بحروف بدائية .

بعض محتويات المخطوط الكبير = أول مايطالعك من هذه المجموعة - بعد التصدير المشار إليه - فصل يستغرق ست صفحات مصدر بما يلى = (بسم الله الرحمن الرحيم - دعا الشيخ الثقة أبوالحسين محمد بن على الحلى رضى الله عنه[1]

ثم يبدأ الدعاء هكذا = (اللهم أسألك يامولاى وأدعوك وأشكو إليك ولا أشكوك ، وأفر إليك ولا أفر منك ، وأتضرع إليك ولا أعدل عنك إليك ، من ذنوبى مَفَرى ، وأنت القادر على كشف ضرى ، وصونى وسترى ، بحولك وطولك ومنّك وفضلك ، ياحاضرا موجود ، وباطنا غير مفقود ، ياحاضرا

(١) المخطوط مشحون باللحن ، ونحن ننقل عبارته كما وردت ...

بالعيان ، يامن لا يحويه مكان ولا يحصره زمان ، يامن دعت نفسه إلى معرفة ذاته ، وأثبت العيان صورته وصفاته بإرادته من غير زوال ولا انتقال من حال إلى حال ، يامن دعا خلقه بذاته إلى ذاته وإثباته ، إذ صرح بمعنويته وأزليته على المنابر بقوله على المأثر ، فقال بصوت جاهر ونوراً – كذا – باهر =

أنا كجسم ظاهر ، أنا العلى القادر ، الراحم الغافر ، الباطن الظاهر ، الأول الآخر ، كشف وتصريح ، لا تعريض ولا تلويح ، عبرة لمن تفكر ، وحكمة لمن تدبر ، وحجة على من أنكر وضل واستكبر ... الخ »

ويستمر هذا الدعاء إلى نهاية الصفحة السادسة حيث يختم بالعبارات التالية = « إنك عليا عظيم – جيرنا – يامولانا ياأمير النحل ياعليا ياعظيم . وتسجد بعقب الدعا .. الله أكبر . »

ومن هذا التوجيه التعليمى الأخير تفهم أن قراءة هذا الدعاء بمثابة صلاة . ويأتى عقيبها فصل آخر صغير ومصدر باسم (دعا شهر رمضان ... ص ٧) ويبدأ بعد البسملة هكذا = اللهم إنى أسألك ياعلى ياأحد ، ياأمير المؤمنين ياحمد ، يامالك الملك والأبد ، يامن لا له والد ولا ولد ، ولا له كفوا أحد ... »

ثم يختم بطلب الهداية والكفاية للداعى وجميع إخوانه العارفين (إنك على كل شئ قدير ياعلى ياعظيم . وتسجد بعقب الدعا »

ويلى هذا (دعا عيد الفطر) ويبدأ كذلك بعد البسملة بما يلى (ص ٨) =

« اللهم يامولاى أنت العلى العظيم ، لابقاء لغيرك ، ولا معبود سواك . إنى أشهدك أن السيد محمد اسمك المحمود ، ومكانك المقصود ، وحجابك الموجود وأنه شخص هذا اليوم[1] الذى أعلنت ظاهره وعظمت باطنه ، واجتبيت من مننت عليه بمعرفته ، والقيام بظاهره وباطنه ، وهو اليوم الذى أظهرت فيه نفسك ... »

ويختم بمثل النهاية السابقة من (دعا شهر رمضان) ، وهو كذلك لا يتجاوز

(١) فى هذا التعبير بعض أسرار العقيدة الهامة ، وهو اعتباره العبادات رموزا لأشخاص مقدسين ، ومن هذا يقينهم أن يوم عيد الفطر إنما هو رمز لمعرفة محمدا ، أو أن محمد هو شخص هذا اليوم ، لأن لكل عيد ويوم شخصا لابد من معرفته بالنسبة إلى المقبولين فى ذلك الدين ، وهو عندهم الحقيقة الباطنية لتلك الرموز الظاهرية كما سترى .

الصفحتين إلا قليلا .

ثم تتالى الفصول .. ونشير إليها فيما يلى وفق تتابعها فى هذه المجموعة = (دعا عيد المباهلة) ثم (دعاءان للمباهلة) ثم (دعا عيد الفراش) ثم (دعا ليلة النصف من شعبان لسيدنا أبى خالد عبد الله بن غالب الكابلى) ثم (دعا المهرجان) ثم (دعا ثانى للمهرجان على حروف المعجم) ولا نتبين وجها لذكر حروف المعجم فى تسميته ، ثم (دعا ليلة النصف من شعبان) ويختلف عن السابق فى صيغه ، وهو غير منسوب لأحد . ثم (دعا يوم السابع عشر من آذار) فى أربع صحفات .

ثم تعقب أولئك (رسالة أبى الخير سلامة ابن أحمد الحدا ...) فى ست وأربعين صفحة ، وهى من الرسائل الهامة جدا ، إذ تعتبر مرجعا لأصول العقيدة وتاريخ رجالها ، وفيها يسرد المؤلف مستندات العقيدة من القرآن والحديث والإنجيل والزبور وأقوال الأئمة ، ومن لقيهم وأخذ عنهم من كبار النصيرية .. ويسمى منهم أبا الحسن محمد بن حامد السراج ، ثم أبا محمد المهلهلى البغدادى ، وأبا الحسن على التغلبى ، وأبا محمد عبد الله قتاتة الفرا من الدمشقيين ... ومن الطرابلسيين أبا القاسم الشيبى أحد أولاد الخصيبى .. وعشرات غيرهم وقد يكون فى ذكره لهؤلاءومواطنهمايقدم لدارس تاريخ هذه العقيدة فائدة لا يقع على مثلها إلا فى الندرة .

وقد ذكر صاحب الرسالة أنه التقى شيخه السراج أول سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة ... وبذلك يتحدد تاريخ الرجل فى القرن الرابع الهجرى ، ويتحدد لذلك تاريخ نشاط هذه الحركة الباطنية التى – كما يبدو من ذكر هؤلاء الشيوخ الذين لقيهم أبو الخير سلامة فى مختلف أنحاء البلاد العربية – بلغت قمتها حوالى هذا القرن ..

ويذكر بين الذين لقيهم (ابن دهبية)[1] قارناً اسمه باللعنة ويقول (ص ٨٦) « جرى بينى وبينه محاورة ونصرنى الله عليه ، والذى جرى بينى وبينه مسطر فى أيدى المؤمنين معروف مشهور . »

---

(١) الواضح أن أبا دهبية هو ابن دهبية ، ومرجع الاختلاف خطأ من الناسخ .....

أما ابن دهبية هذا فنجد تفصيلا بشأنه أكثر فى موضعين من رسالة (تنزيه الذات ...) المؤلفة من قبل الشيخ الكلازى ، والتى هى أكبر رسائل هذه المجموعة ، ففى ص ٣٣٥ يقول الشيخ الكلازى = (.. أما قولك ياأخي أن ظاهر المعنى باطن الميم ، وظاهر الميم باطن السين ، وظاهر السين باطن اليتيم الأكبر ، فاعلم أن هذا الجواب وأمثاله هو الذى **غرق أبو دهبية إسماعيل ابن خلاد** وغيره ممن حرف القول واعتقد الباطل ... وقيل جرت المجادلة بينه وبين أبو سعيد وأظهر أبو سعيد تكذيب أبو دهبية فى كتاب (الرد على المرتد) فاعتقد أهل التوحيد بقول أبو سعيد ، ونفوا مقال أبو دهبية ، لأن أبو سعيد أثبت ظهور البارى فى سمائه وأرضه ، وأنه ظهر لكل جنس بجنسه وخاطب كل لغة بلغته ، وأورى – أرى–كل ذى صفة بصفته من غير زوال ولا انتقال من حال إلى حال ..) وفى ص ٤٠٨ يعمد لعقيدة أبى دهبية بتفصيل أوضح إذ يقول = (... فلا يتوهم من وقف على شرحنا هذا .. أن باطن الله غير ظاهره ، لأن أبو دهبية ما فرق وانفصل عن كلمة التوحيد إلا فى هذا القول : إن ظاهر البارى غير باطنه . وإن علىّ الظاهرُ مكوّن مخلوق من علىٍّ الباطن ، والباطن هو الظاهر ، ولكن لما علم من خلقه أنهم عاجزون عن إدراك نهاية اللاهوت تزيا لخلقه بصفة الجمال ، بصفة نورانية شاكل بها الملائكة ... ولما ظهر للآدميين فى الأرض ظهر لهم بصفة بشرية ، شاكل بها البشر ، وأظهر منها المعاجز والقدر فعُرِف بظهوره عند المؤمنين ، وأنكره الجاحدين – كذا – فلو لم يظهر بصوره لم يثبت عيانه ولا صح وجوده ، وكان المنكر له أصدق من المقرّ ..[1]

ويظهر أن ثمة خلافا قد نشب فى أوساط النصيرية أيام كاتب الرسالة ، حول قضية المعنى والاسم ومنزلة كل منهما ، وأن إشاعة نقلت عنه تتهمه بأنه يساوى الاسم بالمعنى ، فهو يردّ فى هذه الرسالة على ذلك ، مبرئا نفسه إذ يقول (ص ٧٦) (.. وإن طائفة من المؤ منين اعتقدوا بى ونقلوا عنى أننى جعلت الاسم مساويا للمعنى ، وأنى أخفى ذلك وأستره ، ولا أظهره خيفة أن يقال بى هذا القول ...)

---

(١) لا ينسى القارئ صلة ذلك بعقيدة النصارى فى المسيح ، إذ يجعلونه ناسوتا – فى الظاهر – ولاهوتا – فى الباطن – وصلتهما معا بعقائد البراهمة التى تقوم على الإيمان بتزاوج الناسوت واللاهوت فى معبودهم إذ يقولون (إن برهمة الإله تقمص فى كرشنا الإنسان ..) انظر العقائد الوثنية .. ص ٦٢ و٦٣ ....

ثم يقول فى (ص ٨٧) « ... وقد والله العظيم لقيت فى مدة هذه الثلاثة وخمسين سنة منذ سمعت التوحيد إلى الآن مالا أحصيهم عدة .... قدس الله أرواح ماضيهم ، وحرس الله باقيهم ، ومافى هذه الجماعة أومَن شافهته محاضرا وفاوضتهم فى كثير من العلم والتوحيد ، فما وجدت أحد منهم يخرج عن حد سيدنا أبى عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبى غير من قدمت ذكره – أبو دهيبة – ... » وفى هذا توكيد على استقرار هذه النحلة حتى عهد كاتب الرسالة وفق الأسس التى وضعها الخصيبى الحسين بن حمدان .

وبانتهاء رسالة أبى الخير سلامة هذا تبدأ أولى رسالتى الشيخ الكلازى . وقد قدم لها الناسخ بالعبارات التالية ص ٩٠ (ويتلو وصيةٌ لمن يروم التقيةْ) وهى تأليف الشيخ الفاضل العالم والندب الكامل ، والغيث الباطل ، والحسام الصقيل ، والفرع الذكى الأصيل الشيخ محمد ابن الشيخ يونس الشهير بابن كلازى الأنطاكى ، أرسلها إلى أخيه الشيخ عبدالله الدالى رحمهما الله . وهى تسمى (المحمدية لمن يروم التفقه والتقيَّة) ... شريعة الخصيبية .. » وتستغرق ثمانيا وثلاثين صفحة ، وهى مكتوبة بقلم يوسف ابن الشيخ إبراهيم كما أسلفنا من قبل .

تبدأ الرسالة بالبسملة ، ثم تمجيد الله بعبارات مقبولة ، حتى يأخذ فى وصف مضمونها وغايتها فيقول (ص ٩٢) « أما بعد فهذه وصية وطريقة يقتدى بها العارفون العابدون ويجحدها المفترون الجاحدون ، ويتبين بها الرشد من الغى ، والعقل من الجهل ، والحق من الباطل ، ويعمل بها الذكى العامل ، وتقمع بها المعاند والجاهل ... » ثم يشرع فى عرض النصائح والارشادات المتعلقة بالاجتماعات الدينية إذ يقول : (ص ٩٤) (قال سيدنا أبو سعيد فى كتاب (الحاوى) لا يجوز لعالم أن يتقدم على الجماعة وهو يعلم أن فى الجماعة من هو أعلم منه ، فإذا حصل الإمام بين الجماعة ورضوا بعلمه وحكمه فيكون المخالف له كمن خالف الله ورسوله ، فيجب من الجماعة المقتدين بإمامهم أن يكونوا محللين لما حلل ومحرمين لما حرم ، وإذا أبرم أمرا وقال قولا فلا يجوز لأحد أن يخالفه ولا يرد عليه قوله ولا يرفع صوته على صوت الإمام ، لقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ..) فدل بهذا أن مخالفة الإمام والارتفاع عليه تحبط الأعمال الصالحة ، لأن إمام الجماعة هو نبيهم الذى نبأهم علم الإجابة والإقرار ، وبين لهم التوحيد من الأفكار ، فيكون المخالف له زنديقا

كافرا ومنافقا فاجرا ، ويأتى فى القميص الآتى[1] محجوبا عن الإيمان، ويحشر فى حزب الشيطان ، وقد أخبر فى كتاب (الطالقان) فى صفة أعمال المؤمنين وسير اجتماعهم أن صفة المؤمنين إذا اجتمعوا وحضر عبد النور - الخمر - يمزجوه بالماء لئلا يخل العقل ، لأن الصرف سلطان جاير مذموم ، والممزوج سلطان عادل محمود (ص ١٠٠) ولا يجوز لمؤمن شرب الشراب حتى يسكر ويرى كغيره سكران من العامة ، ومن فعل ذلك فقد برئ من ذمة جعفر (ص ١٠١) .. وحرام كل الحرام فشاء السر الخاص والعام ، وحرام كل الحرام تقديم الشراب والمدام قبل الصلاة وراء الإمام (ص ١٠٨) ويلح فى التوكيد على التقية التى تصون أسرار العقيدة فى أعين المخالفين حيث يقول : (ص ١٢٦ ، ١٢٧) « ويجوز إقامة الأوامر الظاهرة مع أهلها ، ولاتجوز فى الخلوة والوحدة ومجلس المؤمنين . لئلا يستولى سلطان الشك على القلب ، فيكون من المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وإن أقمتم الظاهرة غير مشكين - شاكّين - فى اعتقاد الباطن أثابكم الله أجره مرتين ، لقول مولانا الصادق = (زينوا أنفسكم بإظهار التقية والأعمال الظاهرة ، وصحوا (كذا) قراءة القرآن ، وأسرعوا إلى المساجد لئلا يقولوا : فرقة الجعفرية كفار ... يحبون أن يمشون فى الأسواق عرايا) فالشيخ يعلم (المؤمنين) أن عليهم مشاركة أهل الظاهر فى عباداتهم . حتى إذا خلوا إلى مجالسهم الخاصة كان عليهم ترك هذه العبادة والعدول عنها إلى الطقوس الباطنية . ويعلل ذلك بأنه ضرورى لدفع سلطان الشك وصفة التذبذب ... ثم إن فى العبادة الأخيرة تصريحا بما يعتقدون من أن الصورة الدينية الظاهرة لابد منها لأحدهم ، لأنها بمثابة الثوب يستر عورته ، كما لايجوز للإنسان أن يمشى بين الناس عاريا هكذا ولا يصح أن يتجرد من مشاركة الآخرين فى ظواهر عباداتهم ! ...

ومما يلفت النظر بوجه أخص فى هذا النص تسمية النصيرية باسم الجعفرية . وكان معلوما أنهم ملة منفصلة تماما عن الجعفرية وسواها من مذاهب التشيع . ولكن ربما أراد بالعبارة التشبيه دون التعيين ..

وبانتهاء هذه الرسالة صفحة ١٣٠ يبدأ قسم المنظوم مستمرا إلى صفحة ٢٢٢ وينطوى على خمسَ عشرة منظومة ، اثنتان منها طويلتان باسم الشيخ محمود بعمرة ، وأخريان باسم الشيخ إبراهيم = مرهج ، ثم ثمان متتابعات باسم الشيخ

(١) يريد بالقميص الصورة التى ينقل إليها فى مراحل التناسخ ....

إبراهيم الخزيبة ، ثم منظومة لكل من الشيخ سلمان (؟) والشيخ حمدان جوفين أبو أيمن ، والشيخ منصور الغوابيل ...

أما من حيث القيمة الفنية فالمنظومات جميعا من الطراز التافه الذى يمثل أسوأ ما وصل إليه الشعر الذى يحاول أن يكون فصيحا فلا يستطيع ، وهى من هذه الناحية تمثل طابع العزلة التى هيمنت على جبال النصيرية طوال قرون كانت كافية لفصلها عن تيار الفكر والعلم فصلا تاما أو شبه تام ...

على أنها من الناحية الدينية تحمل مقادير هامة من التعاليم المفصلة ، التى من شأنها أن تضع النقاط على الكثير من الحروف التى تعتبر فى حيز الرموز .. فهى ، والحالة هذه ، أشبه بتلك المتون التى نظمها الفقهاء فى أواخر العصر العباسى ومطلع عصر الانحطاط ، محاولين بها حفظ مختلف العلوم وتيسيرها للطالبين .

يقول الشيخ محمود بعمرة فى قصيدته الثانية مستغيثا من الذنوب ، مستجيرا بمن يكشف الكروب ص ١٤٠ ...

وقعت بأشراك الذنوب فلم أجد	صديق يجرنى لا حميما ومنجدا
سوى حسن ظنى فى ولاية أنزع[1]	تعالى عن التشبيه أو أن يحددا
محيط بأعمال العباد جميعها	ومحصى عديد المزن والطل والندى
وجمع نبات الأرض والترب والحصى	وماتحتوى السبع السموات سرمدا
ومؤتيهم الأعمال كل بقدر ما	جناه من الإصلاح والخبث والردى
دعوتك ياذو الطول والحول والقوى	ويامالك الملكوت ياسامع الندا
بسر قديم الميم مع بدء حدثه	وباب الهدى للطالبين ومقصدى
وفى الخمسة الأيتام يابارى الورى	أتم صلاح النفس للرشد والهدى
بمن نقبوا من بدء تكوين كونهم	علوم خفت عن كل ضال وملحدا
بنجبائك الغر الكرام وسيلتى	إليك بهم ياخالقى أتهجدا

فالشيخ هنا صريح فى إيضاح عقيدته .. إنه واقع بأشراك الذنوب ، وقد تخلى عنه كل صديق ولم يبق له ملجأ سوى حسن ظنه بولاية على الأنزع الذى جل عن التشبيه والتحديد ، المحيط بأعمال العباد ، الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، فهو ذو الطول والحول والقوى ، مالك الملكوت ! .

(١) يريد بالأنزع « عليا رضى الله عنه » ....

أما السر القديم فى الميم والباب والخمسة الأيتام والنقبا والنجبا فهى الرموز الرئيسية التى تقوم عليها أصول العقيدة النصيرية ، وقد أشرنا إليها فى مكانها من الكتاب ... ولم يفت القارئ اعتراف الشيخ الأخير بأن عليا هو خالقه الذى إليه يتهجد ! .

ونتقل الآن إلى أولى منظومتى الشيخ إبراهيم مرهج ، لنقف منها على حديث مفصل فى أصول العقيدة النصيرية . فبعد مقدمة من الغزل الروحى ، وحديث عن أشواقه القلبية والدينية ، يأخذ فى إيراد هذه التعاليم بأسلوب يوحى إليك أنه يخاطب التلاميذ ليركز فى نفوسهم أدق المفاهيم الدينية وأعمقها =

اعلم بأن إلّه العرش بارينا ... قد شا بقدرته أن يظهر الحجب
ابدع لنور عظيم غير منفرد ... عنه ولا ملتصق ومحتجب
فحين أبدعه المعنى وأتقنه ... دعاه= كن لى صحابا فى مدى الحقب
وفوض الأمر إليه فى إرادته ... بكن يكون ما يختار أو يحب
وقام صحب له أنوار ساطعة ... تسبح الله تسبيحا له يجب
وفوض الأمر منه فى مشيئته ... إليه فى كن تكون هذا كما يجب
وقام من بعدها أنوار مشرقة ... من نور أشعتها أبواب للحجب
وقال لهم اعرفوا الأزلى خالقكم ... واعرفوا حجبه السامون بالرتب

وهكذا يمضى الشيخ فى منظومته مقررا (الحقائق الكبرى) التى تتمثل فيها مبادئ الخلق والتكوين الأولى .. فإن إلّه العرش قد شاء أن يظهر الحجب ، فأبدع نورا عظيما لا متصلا به ، ولا منفصلا عنه ، وكان هذا هو الحجاب الأول ، ثم فوض البارئ إليه أن يخلق ما يشاء ، فأبدع هذا حجبا أخرى ذات أنوار ساطعة تسبح الله كما يجب ، ثم تتابع الخلق فجاءت أبواب الحجب ، وجاء الأمر الأعلى الذى يفرض على هذه المخلوقات أن تعرف خالقها وحجبه على مراتبهم .. إلى آخر السلسلة !..[1]

وتمتاز هذه الحجب بما فيها – سوى العقائد – من حديث الناظم عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، والروابط الروحية التى تجمع بينه وبينهم ، فشيخه الأول هو

(١) وهنا أيضا يلمح القارئ أثر النصرانية جليا ، إذ لا تعدو هذه (الفيوضات) أصول الأفلاطونية الحديثة التى أشرنا إليها فى ذيل ص ٣٦ ج ١ ..

محمود - لا نعرف أى محمود - وهذا أرشده إلى شيخ آخر فى البهلولية اسمه سعيد ، ثم الشيخ حسن الخاسكى ، ولا يذكر الناظم موطنه ، ثم الشيخ على .. من قرية السفكون[1] ، ومن ثم يذكر الشيخ معلا من قرية قسمين[2] ، ومن هناك إلى أنطاكية ليخص بالذكر قرية (عسكرة) وفيها الشيخ أحمد طويله ، ويعتبره الناظم شيخ البلاد وقدوة كل منتخب ، حتى ينتهى إلى تعريف نفسه فهو (سليل المرهج الذى لا مطلب له من مديحه لهؤلاء المشايخ سوى رجاء دعائهم وتوفية حقهم .)

وفى المنظومة الثانية للشيخ إبراهيم مرهج (ص ١٦٣) يعرض طائفة من الأحكام الفقهية المتعلقة بموضوع العبادات فيقول =

اعلم بأن لها أسباب باطنة — ليس المراد بها الطاعات والصدقا
بل إنما ذاك أشخاص لمعرفة — بمثلها قد أقام الفرض للفرقا[3]
كذا الصلاة لها نوعين ياتقتى — فرض ونفل فلاتك عنه منمرقا
فشخصها الميم نوعين فاعرفه — قدم وحدث تعالى من له فتقا
فالقديم من ذات باريه القديم بدا — وهو الذى قام بين أيديه ما صعقا
عند التجلى ولا اندكت قوايمه — وإنما فى ضيا بازيه التصقا
والحديث من نوره المشتق كونه — به بذا ظاهراً للناس مرتفقا
هذا الصلاة وهذا كل معرفة — وهو الذى ينجو عارفه من الغرقا

فالشيخ هنا معلم يقرر أصول العبادة ، مبينا أهم خصائصها فى هذه الملة ، وذلك أن العبادات نوعان ظاهر وباطن ، وحقيقتها معرفة أشخاص بأعيانهم ، فالصلاة فرض ونفل ، أما حقيقتها فمعرفة الميم - الاسم محمد - .. ومجرد معرفة هذا هو الحقيقة المقصودة من الصلاة ، وبها ينجو العارف من كل ضلالة وإثم !..

ويظهر أن الشيخ قد سجل هذه التعاليم كجواب على استفتاء ورد إليه من رجل اسمه محمد بن عمران البشراغى لذلك يختم منظومته بإطرائه والسلام عليه ، وعلى رجلين آخرين من المقيمين فى قريته ...

(١ ، ٢) قرى معروفة بهذه الأسماء حتى اليوم فى جبال اللاذقية

(٣) انظر (دعا عيد الفطر) ص ٦٤ وأشخاص الصلاة ص ٦٥

ومنذ الصفحة السبعين بعد المئة تبدأ منظومات الشيخ إبراهيم الخريبة الثانى ، وهى لا تخرج عن الغزل الروحى ومدح المؤمنين وعرض المبادئ الدينية ، ففى المنظومة الثانية يقول الشيخ (ص ١٧٥) :

اعلم بأن إلّه الخلق كلهم — منزه عن صفات الخلق والبشر
كذاالصفات وجمع الوصف واقعة — على الحجاب الذى من ذاته خطر
واظهر العدل بالتأنيس منه إلى — ماكان يخبر منه بالذى أمر
أبدى الظهورات فى ذات الكمال لنا — فى سالف الدهر والأحقاب والعصر
وليس تنظر منه غير ظاهره — والباطن الفرد هو اللاهوت المستتر
وفى البواطن هو اللاهوت محتجبا — وفى النواسيت موجود ومشتهر
هذا يقينى ودينى لا أغيره — بالثبت والنفى والعلم الذى ذكروا
ومن يشك ولا يعرف دلايله — يكر فى الهر والبرذون والبقر
والله يظهر فى خمس مخيلة — فى الخلق جل عن التشبيه فى الصور

فالناظم هنا يتحدث عن صفات ربه كما يفهمها ، ويتحدث عن الظهورالإلّهى الذى أثبت وجوده تعالى ، وهو ظهوره بواسطة التأنس ، ويزيد ظهور الله فى إنسان ما ، ويؤيد فكرة الظاهر والباطن ، بأن العين لا تنظر منه غير ظاهره الإنسانى ، وأما حقيقته اللاهوتية فمحتجبة فى الباطن ..

والشيخ ثابت على هذا اليقين الذى لا يشك به إلا الكافر – بزعمه – ويزيد على ذلك فكرة خطيرة وهى أن من لا يعرف دلائل هذه (الحقيقة) فمصيره التقلب فى أجسام الهررة والبراذين والبقر ..... والجديد هنا هو تقرير الشيخ أن معرفة هذه المعادلات الرياضية الدينية ، فى موضوع المعنى والحجاب والباب ، وما إلى ذلك من الرموز الباطنية ، هى الوسيلة الوحيدة للتخلص من التناسخ المنحط ...

على أن البيت الأخير لغزا جديدا إذ يجعل ظهور الله فى (خمس مخيلة) فى الخلق والذى نعرفه أنهم متفقون على اعتبار الظهورات الماضية سبعة تتم ثمانية بالظهور القادم كما أوضحناه فى مكانه من الجزء الأول .. ويستمر الشيخ فى عرض هذه المفاهيم الخاصة فى بقية منظوماته ، فهو يبدأ المنظومة الثالثة بقوله : (ص ١٧٩)

وحب العين فيه علو شأنى — وهو الموجود فى معنى المعانى

وهو المعبود ليس له شريكا ... وهو بارى البرايا والمثانى
وأبدا ذاته اسما عظيما ... ومنه كل بابا شعشعانى
وهو قطب تسير الشمس فيه ... على الأفلاك فى أعلى مكان
ومد حجابه فيضا عميماً ... من سر الحواميم السوانى

ولا جديد فى هذا ، فالناظم يتحدث عن على رامزاً له بحرف العين ، مقرا كغيره بألوهيته ، إلا أن تعبيره (قطب تسير الشمس فيه) مخالف لما نعرفه من رأيهم بأن الشمس هى مظهره وأنه هو قطبها .. إلا أن يكون التعبير قد خان الشيخ فزل به اللسان إلى هذا الضرب من الغموض .. وكذلك يستبهم علينا تعبيره الآخر (من سر الحواميم السوانى فالحواميم هى السور القرآنية المبدوءة بحرفى ح . م ، وكثيرا ما يكرر ذكرها شعراء الشيعة فى معرض الكلام عن حق أهل البيت فى الخلافة ، كقول الكميت بن زيد الأسدى =

وجدنا لكم فى آل حاميم آية ... تأولها منا تقى ومعرب

والإبهام إنما جاء من السوانى ولعله يريد الثوانى بمعنى المثناة مرة بعد مرة . ولا نجد حاجة للكلام على بقية منظومات هذا الشيخ التى يكثر فيها من تصنع الرموز الساذجة ، كتفسيره الغريب لمجموعات الحروف الهجائية (أبجد ، هوز ، حطى ...) وكتأليفه ألفاظاً مكررة الحروف لا تمت إلى العربية بصلة ، وإنما يريد منها كما يبدو إيهام الغامة بأن لديه من الرموز العلمية والأسرار المستغلقة على أفهامهم ما يجعله موضوع المهابة والتقديس ! ...

أما منظومة الشيخ سلمان (ص ٢٠٦) فغرضها الرئيسى مديح يرفعه إلى الشيخ حمدان جوفين ، يحشد فيه كل المعانى التى تليق بشيخ من رجال الدين يمدحه آخر مثله ...

وتأتى بعد ذلك منظومة الشيخ حمدان جوفين فى مدح الشيخ مسلم البيضا ، ويعرض فى جزء منها لمقتل ثالث الخلفاء الراشدين معلنا شماتته به ، مكرمًا ذكرى قتلته (ص ٢٠٨) =

كمصلب نعثل إذ ترقى منبرا ... ورمى لأهل البيت بالآصار
فأتاه جندب فى حصاه راشق ... وأيده ابن جنادة العفار
وتولى مصرعه رجال أخلصوا ... بولاهم للآمر القهار ...؟

فالشيخ يتهم عثمان (رض) بأنه أعلن إساءته لأهل البيت من على المنبر ، لذلك رشقه ابن جندب بالحصى وأيده ابن جنادة[1] وانتهى ذلك بمصرعه على يد رجال مخلصين بولائهم لله ! .. وهو يرمز لعثمان بكلمة نعثل وهى اللقب الذى كان ينبزه به أعداؤه . ولا ندرى مَن جندب هذا ومؤيده ابن جنادة ، ولا ندرى من أين استقى الناظم هذا الخبر الذى يرمى عثمان بمساءة أهل البيت ، إلا أن يكون من طراز تلك الروايات التى يتوارثها القوم فيما بينهم ، وليس لها سند تاريخى صحيح[2].

وفى هذه المنظومة إشارات تاريخية إلى بعض أحداث عصر الشيخ وموقف قومه من الحكام ، وتعرضهم لفتنةٍ خطيرة ، أنقذهم منها الشيخ الممدوح ، ولذلك يصفه بالعلم والحزم والفهم ، وينسب إليه الانتصار فى معركة جدلية على أحد الطغاة الذى كان يريد الايقاع بقومه فنجاهم الله على يده ، وقد قدر له قومه هذه اليد ، فتوافد عليه علماؤهم من كل مكان ، وتعاهدوا الحج إليه فى مطلع أيار من كل عام ! . ويستطرد الناظم من ذلك إلى موضوع العقيدة قائلا (ص ٢١٥)

فى سبعة علوية أحديـــة   أزليـة صمـديـــة الإظهـــار

(١) فى أسماء (الخمسة وعشرون يتيم) يفسر ابن جنادة بأنه أبو الذر – ص ٢١ – وأبو ذر هو جندب بن جنادة (رض) وقد فرق صاحب الأبيات بين جندب وابن جنادة فجعلهما اثنين ، ولا ندرى مراده من ذلك .

(٢) فى المجلد السادس من (فهرس المكتبة المركزية لجامعة طهران) لمؤلفه (محمد تقى دانش برزوه) وهو من مطبوعات الجامعة نفسها ، يعرض المؤلف تعريفا لأبى لؤلؤة فيروز فيقول « هو فيروز الأعجمى الفارسى المعروف بين الشيعة ببابا شجاع الدين وإليه ينسب عيد بابا شجاع ، أعنى – وهذا كلام المؤلف الشيعى – يوم قتل عمر بن الخطاب .. غلام المغيرة بن شعبة .. وهو قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عن القاتل ولعن المقتول .. » ص ٢٥٨٢/ ثم يقول هذا المؤلف « وقد ألف أمير شاهى القزوينى رسالة فارسية منفردة فى رداءة نسبه وأنه كان ولد الزنا ، وهى رسالة جيدة حسنة الإنشاء .. » ص ٢٥٨٣/

ومثل هذا الافتراء من الأمور الطبيعية فى أحاديث القوم عندما ينطلقون مع أهوائهم ، وقد سمعت قبل أيام واحدا من كبار مشايخهم يقول عن المرحوم محب الدين الخطيب إنه ابن زنا ، وحجته فى ذلك كرهه لآل البيت .. وذلك لأن القوم يعتبرون كل من لا يأخذ بكلامهم كارها لآل البيت ! . وهى الطريقة نفسها التى عرف بها الشيوعيون إذ يصفون كل من يخالفهم فى ترهاتهم عميلا أمريكيا ! . وهكذا ترى أن اختراع الأخبار هو القدر المشترك بين معظم الشيعة . فإذا كانت جامعة طهران ذات الطابع العالمى لا تتورع أن تثبت فى فهرس مكتبتها الضخمة مثل هذه المفتريات التى لا تنال من غبار نعل مفخرة البشرية وثانى الراشدين ، ولا تدمغ إلا وجه صاحبها بخلوه من ماء الحياء .. فأهون بما يقوله فى ذى النورين هذا الصعلوك المفلوك ! ..

هابيل شيث يوسف ويوشع ... آصف وشمعون الصفا حيداري
والحجبة السبع الثواني آدم ... نوح ويعقوب ذوي الأبصاري
موسى سليمان وعيسى بعده ... اسم العلى محمد المختاري

وواضح أن الشيخ يقرر أصول العقيدة كما عرفناها لدى جميع المشايخ ، ولكنه يزيد هنا إيضاح الظهورات السبعة بذكر أسماء الأشخاص الذين ظهر فيهم المعنى - الله تنزه وتعالى - ومع كل منهم حجابه على الترتيب والتوالى فالظهور الأول فى هابيل وحجابه آدم ، والثانى فى شيث وحجابه نوح ، والثالث فى يوسف وحجابه يعقوب ، والرابع فى يوشع وحجابه موسى ، والخامس فى آصف وحجابه سليمان ، والسادس فى شمعون وحجابه عيسى ، والسابع فى حيدرة - على - وحجابه محمد ..

ثم يورد عقيب ذلك سبعة أسماء بينهم سلمان .... فنفهم أنه يعدد أشخاص الأبواب وإن لم يصرح بذلك (ص ٢١٧)

وفى القسم الأخير يفخر بمنظومته التى يقدمها إلى الممدوح (بكرة عربية نورية مقصورة الأخدار ..) ويذكر شخصه واسمه ونسب بيته فهو « من آل صاد - نصيرى - ..... عبيد آل محمد - من بيت جفن قبيلة الأنصار »

ويسجل للقارئين عقيدته (ص ٢١٨)

ثم اشهدوا ياإخواتى بعقيدتى ... عين وميم ثم سين قرارى
عقد الغدير هو امتساكى والتقى ... وندا أبو الخطاب بالأجهارى
والصورة العظمى وثبت وجودها ... والغاية الكلى بلا إحصارى
والرجعة البيضاء والكرة التى ... فيها المهيمن ظاهرا بفقارى

فالرجل يؤكد لإخوانه عقيدته التى يرمز إليها بعقد (عمس) - على - محمد - سلمان - وأنه يؤمن بوصية محمد لعلى يوم الغدير ، وبالرجعة البيضا والظهور الثامن الذى يأتى فيه المعنى - الله - من عين شمس شاهرا ذا الفقار .

أما الصورة العظمى والغاية الكلية فقد مرَّ ذكرهما فى أثناء الكتاب ...

وتأتى عقيب ذلك المنظومة الأخيرة للشيخ منصور الغرابيلى ، وأهم ما فيها مجموعة من الرموز تدور حول أصول التعاليم الباطنية ، يعرضها الشيخ بطريق

الإستفهام ، من ذلك قوله (ص ٢٢١)

ماهى بيوت الرب فى تعظيمها ... ماالرب ماالأرباب ماالرباتى ؟
ماأحرف أربعة مكتوبة ... ألف ولاعين وهاء الذاتى ؟
والأربع الكافات ماهو رمزها ... والأربع الدالات والواوتى ؟
والأربع الميمات أعلم فوزها ... قل لى وماهى الأربع الحاآت ؟
إن كنت تعلم مانظمت محقق ... خلصت من نارى وحرِّلظاتى
من نسخها وفسخها مع مسخها ... والرسخ ثم الفسخ فى الطبقات[1]
وتعود فى الملكوت تزهو كوكبا ... متخيرا فى أرضها وسمات

ولا حاجة إلى الوقوف على هذه الرموز ومحاولة حلها ، فمعظمها كما أسلفنا يستهدف إيهام القراء بسعة المعرفة وغرابتها ،غيرأن فى البيتين الأخيرين ، مايجذب الانتباه ، فقد ذكر الشيخ للتناسخ خمس مراحل إذ زاد فيها (الوسخ) ولا ندرى ما الوسخ هذا !.. ثم تقريره غاية هذه المراحل وهى الخلوص إلى عالم الكواكب ، حيث يتحول التقى المؤمن بهذه (الحقائق) واحدا من هذه الكواكب الزاهية ، وهو نص صريح فى إنكار البعث كما يفهمه المسلمون ، فلا جنة ولا نار ، وإنما هناك نسخ ومسخ وفسخ ورسخ ووسخ ، ثم أخيرا تحول نهائى إلى عالم الأفلاك .

وبانتهاء هذه المنظومات ننتقل إلى مجموعة من القصص والأخبار الوعظية ، ولا محصول منها سوى التهذيب الخلقى (ص ٢٢٣ - ٢٤١) ثم يأتى بعض الشعر منسوبا إلى الشيخ محمد شعبان فسلمان بيصين ، ولا جديد فيه بل تكرار لمعنى المنظومات الثمانى ، وتتابع بعد ذلك المنظومات منسوبة إلى عديد من حكماء الماضين وزهادهم .. وأحق هذه الأخبار بالاهتمام مانسب إلى عبد الواحد النابلسى ، الذى يقول مؤلف الكتاب إنه كان صاحب شرطة دون أن يعرف مكانه ولا زمانه = (ص ٢٨٠) وهو عبارة عن حوار بينه وبين أحد الناس ، حوار مشحون بالرموز والتفسيرات الباطنية ، وقد جاء بعض هذه التفسيرات شديد التركيز على تأليه على كما نرى فيما يلى = (ص ٢٩٤)

على رب كريم إليه أدعو ... ومعبودى على وهو معينى
وهو مولى الموالى وكل مولى ... وهو يعلم بأعداد السنين

(١) انظر ذيل ص ١٧ ج ١ ...

سلام الله من رب كريم على الإخوان من أهلى ودينى

ويتلو ذلك إرشادات بعنوان (خطاب التلميذ) تستغرق مابين (ص ٣٠٥ – ٣١٧) وهى لا تخرج فى مضمونها عما فصلناه فى (مسرحية التكريس) .

أفكار الشيخ الكلازى

ومن هنا يختم المخطوط بالرسالة الكبرى المعنونة باسم (تنزيه الذات عن الأسماء والصفات) بقلم (الشيخ الماجد العالم المحقق المدقق ، قدوة زمانه الشيخ محمد الكلازى الأنطاكى قدس الله روحه آمين) وفى هذا التصدير نفسه يقول الناسخ = (وكان بدء تصنيفها فى محروسة حلب) وقد عنى الناسخ بهذه الرسالة فافتن بتسطيرها ، وتأنق فى حروفها ، وفصل بين كل فقرة وأخرى بالمداد الأحمر .. وقد استغرقت هذه الرسالة مابين الصفحات ٣٢٢ – ٤٧٣ ومن مطالع الرسالة يتضح أن الشيخ قد ألفها جوابا على كتاب ورد إليه من أحد الشيوخ ، يستفتيه فى أمور تتعلق بصميم العقيدة النصيرية ، فلم يسع الشيخ إلا الإجابة عليها ، إذ رأى هناك ظواهر تطور تتجاذب أهل هذه العقيدة ، ويخشى معها أن تنحرف بهم إلى طريق يبعد بأتباعها عن الأصول الموروثة ، فكانت رسالته ، بما عالجته من النقاط ، وما تناولته من التركيز ، محاولة هامة لتجديد الدين وتثبيت أركانه ، أمام عواصف البدع التى بدأت تهب فى مراكز هذه النحلة كما أسلفنا ! ..

يبدأ المؤلف الكلازى رسالته بالبسملة ثم بتمجيد الله على طريقتهم بقوله = « الحمد لله العلى المعبود ، الذى اخترع الاسم العظيم وأمر الملائكة فى السجود ، وخلق الباب المقيم وجعله بابه المقصود ، ورتب المراتب وأظهرهم من العدم إلى الوجود ، وأظهر ذاته لخلقه على هيئاتهم والحدود ، وهو تنزه عن الأشكال والمثال والأضداد والندود ، فهو تعالى الرب القديم والإله المعبود ، فالمؤمن من آمن بوجوده من غير إنكار ولا ردود ، والكافر من أنكر ظهوره ووجوده وصار من أهل الجحود ، لقوله تعالى = إن الإنسان لربه لكنود . أحمد الله سبحانه حمد من أقر بوجوده وأقام على حقيقة العهود وأشكره شكرا مزيدا على إسباغ نعمة الوجود ، وأسأله أن يصلى على اسمه السيد الميم وعلى بابه المقيم ، وعلى أهل مراتب قدسه أجمعين ، وأن يجعلنا فى جملتهم داخلين ، ولدعوتهم ملبين ،

ويلحقنا بهم فى درجات الفائزين ، إنه جواد كريم ، وعلى ما يشاء قدير عليا عظيم . »

ثم ينتهى إلى مدخل البحث موجها الخطاب إلى المستفتى (ص ٣٢٤) =

« .. أما بعد وصل كتابك أيها السيد الجليل والندب الفضيل ... أرسلت تذكر اختلاف الناس فى مذاهبهم ورأيهم وأرسلت به بعض أجوبة من العلم تريد منا بيانها وشرحها ، لترى ماعندنا من الاعتقاد ، وتكون بذلك على بصيرة ، ولما وصل كتابك إلى يدى كنت حينئذ بحلب ، بعد أن قرأها الإخوان الحلبيين ، وطلبوا منى أن أكتب لك ما اشتكل من ألفاظها فعزمت بتوفيق مولاى وتسديده أن أسطر ما أمكن مما بلغه علمى ووصل إليه فهمى .

وإننى ماسطرت هذه الرسالة افتخارا ولا تكذيبا ، لأننى عالم باعتقادك وحقيقة ماأنت عليه من دين الحق وقول الصدق ، وإنما أرسلت إلينا هذه المسائل لأن فيها واقع الاختلاف فى جانب بلادكم بين الفرقة الخصيبية ، وأردت تعلم مايقولوا فى هذه الأجوبة الجماعة الحلبيين والإخوان من أهل بغداد وديار بكر وغانة وماردين ... فالذى أسطره فى رسالتى هذه هو اعتقادى واعتقاد الجماعة المذكورين ، فإذا حصلت بين يديك فاعتقد بحقايقها .. لأنها خارجة عن قول أهل الحلول الذين يحلون البارى فى الأجساد ، وعن قول أهل التعطيل ، وعن قول من كذب بالوجود ، وأشار بالتوهم للغايب المفقود ، وخارجة عن قول من يقول = إن المعنى إذا أظهر الغيبة يكون قد اختلط بالاسم ، وإذا غلب الاسم يكون ظاهرا بالباب ، ويصير المعنى والاسم والباب ذات واحدة .. ويشيرون إلى الباب بالمعنوية ، ويقولون الصورة التى صرحت على المنابر فى البشرية هى الألف المقداد (؟) فهذا القول لم يرْ له إثبات فى كتب الحسين بن حمدان وشيخه الجنان ، ولا فى قول الحلبى وأبو سعيد ، بل رأينا فى كتب ورسائل من تصانيف أولاد شعبة وابن مقاتل القطيعى من أهل العلم أنهم أخبروا عن أناس قالوا هذه الأقوال ، مثل ابن كشكة زيد الحاسب ، وعلى بن قرمط ، فأظهروا تكذيبهم ، وأخروهم عن دعوة الصدق والحق ، فالحذر كل الحذر من كل هذه الأقوال ، ولو وجدت فى كتب وأخبار ، لأن كثيرا من الكتب تحرفت ، وكثيرا من الأخبار تذغرفت (تزخرفت) ، فيجب على المؤمن أن لا

يعتقد شيئا من هذه الأقوال الباطلة المنحرفة عن ميزان التوحيد ، لأننا لو اعتقدنا أن الاسم والباب والمعنى ذات واحدة .. متصلين اتصال الاختلاط على أنهم واحد ، لخرجنا عن حد التوحيد ، وصار هذا القول مطابقا ومشاكلا إلى قول النصارى فى اعتقادهم وتأويلهم فى الأب والابن وروح القدس (٣٢٨)

فمن زعم أنه من جملة المؤمنين ، واعتقد أن المعنى والاسم والباب شئ واحد فيكون قد طابق النصارى ويسمى مشرك ، ويخرج عن التوحيد ... (ص ٣٢٩) .

من هذه الأسطر التى ننقلها على علاتها يتحقق للقارئ أهمية الاختلاف الطارئ على أوساط النصيرية أيام الشيخ فى مفاهيم العقيدة ، وهو اختلاف أدى فى النهاية إلى انشقاق جديد فى صفوف هذه الملة ، نرى اليوم بعض مظاهره فى انقسام القوم إلى شمالية وكلازية ، وانقسام الشمالية إلى قسمين أحدهما المرشدية ، ويقول الشيخ (ص ٣٣١) أن الاسم فى القبة المحمدية كان ظاهرا فى أربع أشخاص[1] ، وهم محمد وفاطر[2] والحسين والحسن ومحسن الشخص الخفى ، فكان الاسم الأعظم لما ظهر فى البشرية من القبة المحمدية فى الأشخاص المتفرقة ، فهى متشخصة من نور نور الاسم ، ولما كانت الأربعة الأشخاص ظاهرة ، كان قديم الاسم النورانى ينطق من صورة محمد عند إظهار المعجزة ، وفاطر والحسن والحسين صامت ، فلما أظهر السيد محمد الغيبة انتقل قديم الاسم إلى فاطر أربعين يوم ، فلما غابت فاطمة وهى فاطر[2] انتقل قديم الاسم إلى الحسن ، والشخص المحمدى لم يكن بشريا ولكنه نورا ظاهرا شفافا من نور نور الاسم .. وقديم الاسم لما انتقل عنه القديم امتزج ذلك الاسم المحدث بسلمان ، لأن الجسم المحمدى المحدث إمداده من نور نور الاسم ، والسيد سلمان خلقته من نور نور الاسم ، فامتزج قديم الباب ومحدث الاسم ، وقاما شخص واحد ، لأنهم من معدن واحد ، فيكون ذلك الشخص الممزوج بظاهر الميم بابا كليا واسم محدث لا قديم ، وإن قام مقام الحجاب ، لأن شرف الباب بظاهر الحجاب لا بباطنه .. هذا مارواه أبو سعيد ميمون فى كتاب (البحث والدلالة فى مشكل الرسالة) فقد ثبت

---

(١) يظهر أن هناك خطأ من الناسخ فالأشخاص الذين يعدهم خمسة لا أربعة .

(٢) يلاحظ أنهم يطلقون « فاطر » على السيدة فاطمة .. لأنهم يعتبرون أنوثتها ظاهرية لا حقيقية .

لهذا القول تنزيه المعنى عن الحجاب، وتنزيه الحجاب عن الباب، ومن الكفر الصريح أن يقال إن المعنى يظهر بالباب، لقول السيد الحسين بن حمدان الخصيبي في ديوانه (ص ٣٣٤)

والاسم يظهر بالباب المقيم له   والباب ليس يظهر به الأحدى[1]

فالموضوع كما ترى نقاش خاص فى رموز الباطنية لا يضيف جديدا إلى ماقدمناه خلال البحوث السابقة ، سوى اعتقادهم أن فاطمة هى فاطر ، ونفى البشرية عن محمد (ص) .. ولعل هذا هو مصدر تلك « الشطحات » الصوفية التى تقول قريبا من ذلك فى شخص الرسول (ص) ! .

ومن غرائب هذه الرسالة ماتطالعك به فى مثل هذه القصة (٣٤٦) = (لما أراد الله امتحان العالم العلوى ظهر لهم فى صورة طفل محتاج إلى التربية ، وأراهم كيف يربى وكيف يغذى ، ثم أراهم قدرته فى صورة شاب موثق راكب على أسد مفتول السبال ، ثم أراهم قدرته فى صورة الشيخ الفانى ... وتغيرت عليهم الصور ، ولم تتغير عليهم القدر ، فقالوا : اظهر بما شيت كما شيت فأنت أنت ربنا القديم ...[2] ...

ويتحدث الشيخ بإسهاب عن موضوع التشكلات الباطنية التى يشيرون إليها باسم (الأيتام والنجبا والنقبا ..) فيأتينا بالعجائب والغرائب ، مسندا كل خبر إلى مصدره مما يسميه (كتب أهل التوحيد) . فمن ذلك قوله (ص ٣٧٢) =

« وكذلك كتب أهل التوحيد نبأت عنهم بلا خلاف أن الأبواب أربعمئة ، والأيتام خمسمئة ، والنقبا ستمئة ، والنجبا سبعمئة ، والمختصين ثمانمئة ، والمخلصين تسعمئة ، والممتحنين ألف ومئة .. الجملة خمس آلاف لا تزيد ولا تنقص ، وهم الذين يظهرون بظهور المعنى ويغيبون لغيبته » .

ثم يأخذ الشيخ بتعريف وظائف هؤلاء المقدسين أو كبارهم على الأصح كقوله (ص ٣٨٣) = « إن الخطاب الذى وقع بالظاهر على آدم يوقع على زيد بن حارثة ، وينزه زيد بن حارثة عن العصيان والنسيان والأكل من الشجرة

(١) تركنا خلل البيت على حاله .....

(٢) هذه القصة مكررة بمعناها فى ص ٤٠٩ وبأكثر لفظها فى ص ٤٢٨ من المخطوط نفسه .

والهبوط من الجنة ، ويقع الخطاب على جملة من المؤمنين المهبوطين ، والطبيعة التى انطبعت فيها الأبدان البشرية عمت جميع المهبوطين ، فسموا بنى آدم ، يعنى بنو الأدم ، والأدم الجلد فى اللغة من الطين ، ومثل هذا شرح صاحب (جدول النورانى) وقوله به : كل آدم فى القرآن هو زيد بن حارثة ، وكل نوح فى القرآن هو سعد بن معاذ ، وكل إبراهيم فى القرآن هو ابن آزر ، وكل موسى فى القرآن هو ابن أشيم ، وكل عيسى فى القرآن هو ابن مريم ، وكل محمد فى القرآن محمد بن أبى بكر ! ...

ويعرض الشيخ لكلمة (أنزع بطين) التى يوصف بها على فيقول (ص ٤٠١) = « وأما قولك إنه الأنزع البطين ، فهو فى الظهورات البشرية أنزع من الناسوت ، بطين باللاهوت ، وأنزع من الولادة والولد ... وفى النورانية أنزع من الصفات وبطين فى الذات ، لأن أسماءه وصفاته فى النورانية لا تقع إلا على اسمه ...) .

ثم يأخذ فى بيان الفرق بين الفرق بالنسبة إلى مفهوم الألوهية ، فيقول (ص ٤١٩) « ... النصارى واليهود وظاهرية الإسلام والشيعة جميعا متفقين على أن لهم ربا خالقا رازقا محييا ومميتا يعلم الغيب ، وتأثير حكمته وقدرته فى سماواته وأرضه ، وأنه فوق الفوق ، وتحت التحت ، وغرب وشرق ، وقبلة وشمال ، ولا يكون اثنين إلا وهو ثالثهم ، ولا ثلاثة إلا وهو رابعهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم .. وهذا وصف بطون البارى ، يقر بهذا الوصف جميع المخلوقين من المؤمنين والكافرين ، ولكن ماوقع الاختلاف والإيمان والكفر والإقرار والإنكار إلا على الظهور ، والصورة التى ظهر بها البارى ، وأظهر منها قدرة الربوبية فى سماواته وأرضه ، فأقربه وآمن من هو من الموحدين وأنكره وجحد ظهوره وربوبيته الكافرين ، ونسبوا أفعاله إلى السحر ، وأظهروا تكذيبه ومعاداته ومعادة أوليائه ، حتى استحلوا دماءهم ، واستحقوا بذلك العذاب فى تراكيب المسوخية[1] . فمن أقر بالظهور النورانى ولم يقر بالظهور البشرى لم تكمل له المعرفة ، ولم يكمل إيمانه ، ومن أقر بالظهور البشرى ولم يقر بالظهور النورانى لم تكمل له المعرفة والإيمان ، حتى يقر بظهور البارى فى النورانية والبشرية .. »

(١) دورات التناسخ ...

ولتوكيد فكرة الظهور هذه يحشد الشيخ الكلازى مختلف النقول من كتب كبار النصيرية ومن ذلك ما ينسبه إلى (العالم) « ؟ » صاحب كتاب الأسوس (ص ٤٢٨) = « إن الله ظهر للملائكة حتى ظنت الملائكة أنه منها . فقالوا تعالوا نطلب ربنا فنعبده ونميل إليه بطاعتنا ، وهو بينهم متجليا لهم كلهم ، فقال لهم = ياهو إنى أنا ربكم. فلم تقل لا لا ، ولا نعم نعم حتى أظهر لهم القدرة الباهرة ، والعلامات المميزة ، فسلموا إليه وشهدوا له بالألوهية ... »

ولا ينسى الشيخ أن يؤكد للقارئين خطر هذه الأسرار ، فهو يكشف لهم منها مايراه ضروريا ، ويحجب ما لا يجوز إظهاره . ولذلك يقول (ص ٤٣٠) = « انظر أيها الواقف على هذا الشرح بعين البصرة ، ولا تكن عنه من الغافلين ، فلو كان يوجب كشفه لكشفته و(لكن) أمرنا الكتمان عن الكشف ، والتلويح يغنى عن التصريح .. »

ويهب فى الحديث عن ظهورات بقية (الأقباس) فيقول (ص ٤٣١) .. « قال الرزاق قدسه الله = « والباب يظهر صفقتين مغاينا ... ومعاينا ينظره كل البشر » وقد كانت أشخاص الباب متعاصرة فى ثلاث مقامات ففى عصر رسول الله كان سلمان ، وصفقته سفينة ، والموهل رشيد الهجرى ، وفى عصر الصادق كان الباب جابر بن زيد الجعفى (والصفقة) محمد بن أبى زينب ، والموهل المفضل ابن عمى[1] .. وفى عهد الحسن العسكرى كان الباب محمد المفضل ، والصفقة عمر بن الفرات ، والموهل أبو شعيب .. وهذا مضروب مثلا فى وصف الباب سلمان ، وظهوره باب وصفقة وموهل ، ويرى نفسه ثلاث أشخاص متجزئات مختلفات الصُّور .. وقد أورد أبو سعيد فى (كتاب البحث والدلالة فى مشكل الرسالة) ... حيث حمد الله وأثنى بالصلاة على رسوله ، وعلى بابه الروح الأمين ، الهابط فى الصحف المشروحة والكتب الموضوحة ، مورى البروق الخاطفة ، والرعود القاصفة ، وكذا قال الحسين بن حمدان =

يارب بالحجب والأسامى وبابك المشرق المنير

فالحجب والأسامى أراد بهم أشخاص الميم ، والباب المشرق المنير هو الملكوت الفسيح الذى منه تشرق الأنوار ، لقوله تعالى = (وأشرقت الأرض بنور ربها)

(١) لعله عيسى ....

فيكون إشراق السما بالأنوار ، والإشراق الثانى هو إشراق لوامع البروق الخاطفة من عمود الشبح الذى باطن الباب .. كذا قال فى الرسالة المصرية = إن البرق كلام الباب ، والرعد صوت المقداد ، وماكتبنا إلا ما وجدنا فى كتب الموحدين ، وإننا متبعين غير مبتدعين . » ولعل من الجديد فى هذه المقالة إعطاء الباب – سلمان – صفة جبريل الروح الأمين .. وماعدا ذلك فترديد لأقوال الباطنيين القدامى الذين يعنيهم الشاعر بقوله =

ومن قوم إذا ذكروا عليا ... يردون السلام على السحاب

وينتقل الشيخ ليجيب السائل عن موضوع الأفلاك السبعة (فإنهم زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد والشمس والقمر ، وهم الأيتام الخمسة والوليين ، والبروج الاثنا عشر وهم النقبا ، والمنازل الثانية والعشرون وهم النجبا ، والكواكب الأحد عشر الذين رآهم يوسف فى المنام وهم سعد بن مالك الأنصارى يعرف بالقطب ، وخليفة بن أويس الحنظلى يعرف بالقرن ، وعمران بن كعب الكندى يعرف بالجدى ، ومالك بن جنان الجهنى ، يعرف بالنسر الطيار ، وربيعة بن وهب الحرى ، يعرف بالنسر الواقع ، وممض بن عمر الأحمدى يعرف بالفرقد الأخضر ، والصلت بن نباته يعرف بالفرقد الأصفر ، وطلحة بن عويلم الحراميزى يعرف بالسماك العيوق ، ومرداس بن قيس الكعب يعرف بالسماك الأعزل ، وقضية بن عامر الأنصارى يعرف بسهيل .. وهم فى القبة الهاشمية[1] ، وكانوا ظاهرين بالأشخاص البشرية ، وهم فى السما كواكب درية ، والشمس أبو عبيدة بن الحارث ، والقمر مصعب بن عمير[2] ، وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يوسف » .. إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إنى رأيت أحد

(١) يريد الظهور الإلهى المحمدى بحسب اعتقادهم ..

(٢) فى هذا التعريف عن شخصى الشمس والقمر شذوذ عن المعروف لكونهما مظهر المعنى فى عالم الكواكب – على رأيهم – وقد أشرنا إلى ذلك فى مواضع أخرى .. والطريف فى هذا العرض (الفلكى) إلحاحهم على اعتبار هذه الكواكب أشخاصا بأعيانهم من مقدسيهم .. وليس هذا المذهب ببعيد عن مفهوم الصابئة وقدامى الأغريق من حيث اعتبارهم الفلك مجموعة قوى حية هى مصدر التأثيرات الفعالة فى حوادث الأرض ! ....

وليراجع القارئ فى هذا الموضوع بحث ابن تيمية عن نظرية العقول والنفوس عند الفلاسفة والباطنية – الفتاوى ج ١٤ ص ٣٦١

وليراجع كذلك بحث الظهورات البرهمية عند الهنود ص ٦٣ و ٦٤ من كتاب (العقائد الوثنية ....) لمحمد طاهر التنير ....

عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » وهذا فى طريق التحجب والاستتار .. فإذا كان يوسف من جملة السبع ظهورات الذاتية ، وهو الأزل القديم فكيف يجتبيه رب غيره ويعلمه ! . وإنما هذا القول على طريق التحجب والاستتار على ربوبيته بعد الكشف ، حيث أخبر أن الشمس والقمر والكواكب يسجدون له ، ولا يكون السجود فى العبادة إلا للرب المعبود ... » (ص ٤٣٧)

والإقرار بألوهية يوسف على اعتباره المعنى فى أحد الظهورات السبع لا جديد فيه بعد أن قدمنا من الكلام عنهما مافيه الكفاية .

وإليك الآن ماينقله الشيخ الكلازى من النصوص على لسان على (ص ٤٣٨) :

« فى خطبة الأقاليم = أنا بارى النسم ، أنا مجرى القلم ، أنا رفعت السماء ، أنا أنبعت الماء ، أنا سطحت الأرض ، أنا مجرى الفرض ، أنا الكتاب ، أنا جدول الحساب ، أنا عالم الخفاء ، أنا مستقر الأنباء .... »

وخطبة « الأقاليم » هذه التى يشير إليها الشيخ مصدر هام لمثل هذه التعاليم الباطنية العجيبة ، وقد استعان مؤلف الرسالة بمضمونها فى عدة مناسبات ، كما نرى فى صفحة (٤٥٠) حيث يقول = « فكان مما قال فى (خطبة الأقاليم) بعد أن أخبر بعلامات آخر الزمان ، حتى أثبت ظهور المهدى مخبرا ... إنه يقيم الرايات ، ويظهر بالمعجزات ، ويسير إلى الكوفة ، وينزل على سرير سليمان بن داود ، ويعلق الطير على رأسه ، ويختم بخاتمه الأعظم ، وبيمينه عصا موسى وجليسه الروح الأمين عيسى ، وهو متشح ببردة النبى محمد ... ويقول للشئ كن فيكون ، ويبرئ الأكمة والأبرص بإذن الله ، وتسفر له الأرض عن كنوزها ... ويكون جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والغمامة فوق رأسه ، والنصر بين يديه ، والعدو تحت قدميه ، ويظهر للناس كتابا جديدا ، وهو على العرب صعبا شديدا ... »

إلى أن يقول « صفحة ٤٥٤ » .. فيحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون .... وينتقم من أصحاب الفتاوى .. تبًا لهم ولتُباعهم[1] .. » ...

---

(١) يريد بأصحاب الفتاوى علماء الإسلام الذين أفتوا بقتال الفئات الخارجة على القانون المستبيحة لحرمات وأموال المسلمين ...

ثم يقول .. والكلام على لسان على فى الخطبة المنحولة ص (٤٥٦ - ٤٥٧) = « طولبت بدم عثمان ، وحاربتنى عايشة ومعاوية .. وهم يقولون .. القاتل والمقتول فى الجنة . ونسوا ماقاله الله فى كتابه = « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .. » وكأنى بعد قليل يتقولون عنى أنى بايعت أبا بكر فى خلافته .. لقد قالوا بهتان عظيما .. » ؟

ثم يسترسل الشيخ فى الحديث عن أنباء من الغيب ينقلها عن لسان الباقر وسيف بن عميرة (؟) والمنصور أبى جعفر وأحمد بن عامد (؟) وغيرهم وكلها تدور حول المهدى ، ومايشيع فى أيامه من العجائب والنوائب تحل بالمخالفين . ويذكر الشيخ توقيتا محددا لهذا الظهور فيروى (صفحة ٤٦٥) « عن صالح بن متيم قال = سمعت أبا جعفر - المنصور - يقول عليه السلام = ليس بين ظهور القايم وبين قتل النفس الزكية أكثر من خمسة عشر يوما » ؟ وفى (ص ٤٦٧) = وعن أبى بصير عن العالم أنه قال = يذهب ملك هؤلاء القوم حتى يتعرضوا[1] الناس بالكوفة يوم الجمعة . لكأنى أنظر إلى الرؤوس كالبيدر مابين باب القيل وأصحاب الصابون .. »

ويختم الشيخ رسالته بتتمة أنباء المهدى حتى يقول = (ص ٤٧٠) عن جابر الجعفى قال = سمعت أبا جعفر يقول = إن عمر بن الحمق سأل أمير المؤمنين عن المهدى ومايكون اسمه قال = اسمه محمد بن الحسن الحجة ... »

ذلك مجمل ماانطوت عليه هذه المجموعة ، لخصناه بشكل يبرز خطوطها الكبرى دون الوقوف على التفصيلات التى لا سبيل إلى استيفائها إلا بنقل المخطوط جميعا ..

وقد بقى أن نذكر أننا حافظنا ماوسعنا على أسلوب النصوص التى عرضناها منه ، وهذا مرد اللحن الكثير الذى عثر به القارئ فى أثنائها ، على أننا اضطررنا فى كثير من الحالات إلى تصحيح صيغ الألفاظ بردها إلى حقيقتها اللغوية دون التدخل فى مدلولها .. ذلك لأن اللحن قد ملأ المجموعة بشكل يصور مدى الانحطاط اللغوى فى أيام الناسخين على الأقل .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله يستعرض - مجهولا - ويعنى أنهم يقتلون .....

٢ ـ المخطوطة الثانية

تحمل هذه المخطوطة اسم (خبر نده النذر) وقد كتب هذا العنوان فى وسط صفحة خاصة . وتقع المخطوطة هذه فى (١٨٦ صفحة) من قياس ٨/١١ وتتألف من قسمين منفصلين بصفحة بيضاء ، والراجح أن عنوانها قد وضع للقسم الأول ، أما الثانى فألحق به بدون عنوان .

ويختلف الاثنان من حيث الخط والمداد ، فالقسم الأول ويستغرق /١٦٧/ صفحة قد كتب فى أناة وأناقة ، وباللون الأسود، وأما الثانى فباللون البنفسجى ، ولكن تركيب المداد غير مركز ، لذلك حدث فى بعض الكلمات ترشح شوهها وطمس بعض حروفها ، وقد انتشر هذا الترشيح فى عدد من الصفحات بشكل غلب على معظم السطور فترك بعضها مشوها والآخر غامضا ...

وقد ترك فى أول المخطوطة عدد من الأوراق البيض ، كأنما أعدت فى الأصل لكتابة مقدمة أو شيء ما ثم أهملت ، وقد كتب على هذه الأوراق بالرصاص أسماء رجال بجانب كل اسم رقم وفوق هذه الأرقام كلمة (عنزات) ... فيستدل من ذلك أن مالك هذه المخطوطة قروى يعمل – هو أو بعض أهله – فى الرعى ... ولا سبيل لمعرفة هوية هذا المالك إذ ليست هنالك إشارة إليه حيث ينتظر وجود الإشارة ، وكذلك خلت من كل إشارة إلى هوية الناسخ .

وقد غلفت هذه المخطوطة بمثل غلاف المجموعة الكبرى ، ورقا مقويا مظهَّرا بغلاف من الجلد المدبوغ ، إلا أن على الجلد ضربا من الزخرف الذى يرى على ظاهر المصاحف القديمة فى العادة ، إطار صُوِّر فيه بطريقة الضغط مربعات ومثلثات ، وفى الوسط زهرة ضمن محيط بيضى على كلا الوجهين ، وينتهى أحد الجانبين – بضامَّة – لسان – يطوى على الجانب الثانى ، ويستعمل لتعيين الصفحة المطلوبة ، كالمألوف فى المصاحف ... وكما هو الشأن فى المجموعة الكبرى . ونبدأ بمحتويات القسم الأول فهو يتألف من الفصول التالية =

(قيام الصلاة) وهو أطول الفصول ، ويدور حول آداب الاجتماعات الدينية وتوقير الإمام – الشيخ – ويبدأ برواية عن جعفر الصادق .. ثم تتابع بقية الأقسام تحت هذه الأسماء = الشاهد . المذاكرة . أسماء المراقب . أسماء السبعة عشر المنبين . أسماء الخمسة والعشرين يتيما . أسماء أشخاص الباب . أسماء

أشخاص الباب وأيتامه . أسماء سياقة الباب . أسماء الاسم الأظله . أسماء الذاتية . أسماء أشخاص الصلاة . أسماء إزالات المثلية . أسماء الصفاتية . الفصل الخامس من الرسالة العصرية فى أسماء أمير المؤمنين .. التوجيه .. والقدر المشترك بين الفصول جميعا هو الدعاء والتسبيح والتهليل وتوجيه ذلك كله إلى شخص على الذى يختم كل فصل بمناجاته بهذه العبارة التقليدية =

يأمير النحل .. ياعليا ياعظيم ...

أما تسميتها (نده النذر) فلا نعرف لها وجها إلا أن كلمة (نده) وردت فى المجموعة التالية مفيدة معنى النداء ، إذ يقول = ندهنا كم أول مرة وثانى مرة . فربما كان المراد بها هو الإشارة إلى الصفة التعليمية التى تنطوى عليها فصول المجموعة ، حيث يأتى معظمها مصبوغا بلون الإرشاد ، موجها إلى المجتمعين فى حفل العبادة . وكلمة (النده) فى أصلها عامية لا تزال تستعمل بمعنى النداء .

وأما (النذر) فيلوح لى أنه إشارة إلى الوليمة التى ترافق حفل العبادة ، بدلالة الدعاء الذى ينتهى به كل فصل تقريبا لصاحب الدعوة ، حيث يدعى له بالرزق والبركة كفاء ما قدمه من طعام وشراب ......

وهكذا يبدو أن هذه (الدعوة) من صاحب الدار تشبه أن تكون نذرا موجها لله بمناسبة ما ... ولعل المقصود بالنَذْر النُذُر بضم النون والذال جمع نذير فتكون بمعنى الإنذار .

على أن المهم فى هذه المخطوطة هو تركيزها على تفسير الكثير من المصطلحات الباطنية ، كالباب والحجاب ، والقباب والأيتام وعدد ركعات الصلاة وعبد النور ... وماإلى ذلك مما عرضنا بعضه فى أثناء وصفنا للمجموعة السالفة .. ولننظر الآن فى بعض مضامين هذه الفصول =

يبدأ الفصل الأول – كما أسلفنا – بعرض طائفة من المواعظ تلقن المريدين كيف يجب أن يحتفظوا بآدابهم فى مجالس العبادة ، حتى يستغرق ذلك خمس عشرة صفحة ونيفا ، ثم يشرع فى دخول الصلاة قائلا (ص ١٦) = حى على الصلاة .. الله أكبر . نويت أصلى صلاة الوقت الحاضر لشخص سيدنا[١] ﷺ

(١) هنا فراغ فى الأصل

بشهادة لا إله إلا مولاى[1] ولا حجاب إلا السيد محمد ، ولا باب إلا السيد سليمان فى كل عصر وكل زمان ... ياسيدى المقداد فيك اقتديت عقدى أبو الهيثم إلى السيد سلمان ، وهو فى الباطن جبرايل سبيلى ، قبلتى السيد محمد وهو فى الباطن الله ! .. إشارتى وعنايتى وعبادتى وتوحيدى وتجريدى وتنزيهى إلى معنى المعانى ، رب المثانى ، غايتى القصوى ، ونهاية الكبرى ، لم يتجسد فى جسد ، ولم يتبعض فى عدد وحيث ماشاء بطن وحيث ماشاء ظهر . الظاهر فى يوم عيد الغدير مولاى أنا وإخوانى المؤمنين مقتدين فيك ياعليا ياعظيم (ص ١٩) وتنتهى هذه الصلاة بقوله (ص ٢٠) = أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أعوذ بالله من الشك والشرك بعد اليقين ... إلى انتهاء التبرى[2]

ويتلو ذلك فصل (هذا الشاهد) ويستغرق اثنتين وعشرين صفحة ، وهو مجموعة من التمجيدات الموجهة إلى (العلى العظيم .) .. وفى هذا الفصل ترى كلمات عن لسان على منسوبة إلى ما يسمى (خطبة البيان) (وخطبة اللؤلؤة) (وخطبة الكاشفة) .. من ذلك قوله (ص ٢٦) = قال مولاى أمير المؤمنين فى خطبة البيان = أنا غاية المنتهى ، أنا الآية الكبرى أنا الحجة العظمى أنا أضحكت وأبكيت .. وأمت وأحييت ، وأغنيت وأقنيت ، وعلى العرش استويت ، وعلى الملك احتويت ، وإلى موسى ناجيت ، أنا أهلكت عادا الأولى ، وثمود فما أبقيت ، لادافعا لما أردت ، ولا راد لما قضيت ....)

ويختم ذلك بالدعاء لأهل الدار التى عقد فيها ذلك المجلس (ص ٤٢) = (الله يحل فى دياركم البركة والرحمة والنعمة ياأصحاب هذا الخير وهذا الإحسان ، والله يسلم لكم الولدان ، ويقبل منكم هذا القربان .) ثم يأتى فصل المذاكرة) (٤٣ - ٥١) ولعله سمى بذلك لما فيه من الحض على الذكر .. ويبدأ برواية عن وصاية الله لموسى بضرورة ذكر الله وأهميته ، ثم عن جعفر الصادق الذى يقول (ص ٤٥) = كثروا من ذكر الله عز وجل ، واذكروا اسمه وبابه وأهل مراتب قدسه ، يستخلصكم من قبوركم وقمصانكم اللحمية الدموية ..[3] ثم يختم فصل

---

(١) وهنا ثقب ناتج عن حك أزيلت به كلمة

(٢) يقول مؤلف (الباكورة السليمانية) التبرى هى إحدى سورهم .... وفيها إعلان التبرؤ من أشخاص معينين وشتم لهم .

(٣) يريد تقلبهم فى دورات التناسخ .....

المذاكرة بالدعاء لأصحاب الدار كالعادة مصرحاً بذكر المائدة المقدمة من قبلهم (ص ٥٠) = (ياأصحاب هذا الخير والإحسان وهذه المائدة الحاضرة ....)

وفى فصل (أسماء المراتب) استغاثات وتوسلات بالأبواب والأيتام وغيرهم من بقية السلسلة ، حتى ينتهى بالدعاء لأصحاب الدار ، زائداً على ماتقدم ذكر الشراب المقدم ، وهو فصل صغير لا يتجاوز أربع صفحات (ص ٥١ – ص ٥٥) ومثل ذلك فصل (المنبئون السبعة عشر (ص ٥٥ – ٥٩) وهو توسل بهذا العدد من المقدسين عندهم ، أولهم زيد بن حارثة ، وآخرهم عمرو بن الجموح أو ابن الحمق ، مضموما إليهم عدد آخر أولهم آصف وآخرهم سعيد بن ميمون .

ثم يأتى (أسماء الخمسة وعشرون يتيم) وبعد البسملة ومقدمة التوسل يشرع فى ذكر هؤلاء على النحو التالى (ص ٥٩ – ٦٣) . « أولهم المقداد بن عمرو بن الأسود الكندى ، وأبو الدر – الذر – جندب بن جناد الغفارى ، وعبد الله بن رواحة الأنصارى ، وعثمان بن مظعون النجاشى الهلالى اليمانى ، وقنبربن كادان الدوسى ، أيتام السيد محمد جعفر بن الحارث ، وأبو سفيان بن الحارث ، ويحيى بن أمامة ، وصالح بن أمامة . أيتام السيد[1] فاطر فضة وريحانة وأسماء بنت عيسى الخيثمية، وزينب الحولا العطارة ، وفاختاه أم هانه (هانى) . أيتام السيدة أم سلمة ميمونة بنت الحارث ، وأمة الله ابنة مالك ، وأم إسحاق ، وآمنة ابنة الشريد ، وأم مالك . أيتام السيد سفينة = صعصعة بن صوجان ، وزيد صوحان ، وعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، على جمعهم من العلى العلام أفضل .. والسلام . اللهم إنى أسألك يامولاى بحق هؤلاء الخمسة والعشرين يتيم ، وبحق أهل الكهف والرقيم ، وبحق الباب الكريم ، وبحق الاسم العظيم وبحقك على خلقك ياعليا ياعظيم ، ياباري ياقديم ، يامحيى العظام وهى رميم . أن تدفع عنا وعن إخواننا المؤمنين ، وعن المتفضلين ، شر كل ضد أليم ، وعتل زنيم ، ومعتد أثيم ، وتخلف وتبارك لأصحاب هذا الخير وهذا النعيم ...)

(١) مر بنا أنهم يقصدون « بفاطر » فاطمة (رض)

وبعد هذا نقرأ (أسماء أشخاص الباب) مصدرة بالتوسل – بعد البسملة كما يلى (ص ٦١)

« أبتدى وأتوسل إليك يامولاى فى أسماء أشخاص الباب من كتب أهل التوحيد ، فهم= الكرسى ، الماء ، السماء ، الباب ، الروح الأمين ، روح القدس ، رب الناس ، الجبل طورسين ، الغراب ، الفلك ، الناقة ، العصا ، الخاتم ، النملة ، الهدد ، المهدى ، العرش ، مسلسل ، سلسبيل ، ذات القدوم ، الصور ، الخلق ، التراب ، الرشا ، الشاة ، الدلو ، البب ، الكوثر ، الميزان ، العدل ، القسط ، البرهان ، البيان ، الداعى ، المنادى ، أخو يوسف ، السبيل ، البشير ، النذير ، النور ، القمر ، النبيه ، النصر ، المسجد ، الحى ، الرسول ، النبى ، الحفيظ السفينة ، سبحان ، عليم ، اللوح والقلم ، سارق الصاع ، صفراء البقر ، جبراييل .... اللهم إنى أسألك يامولاى بحق هؤلاء أسماء أشخاص الباب من كتيب أهل التوحيد ، وبحق موسى وعيسى والتلاميذ ، وبحق الحلى وأبو سعيد وجميع ماجرى بينهم من العلم والتوحيد ... »

وطبيعى أن الباب المقصود بهذا التوسل إنما هو هذا الأقنوم الثالث الذى يؤمنون ألَّابدَّ منه فى كل قبة – ظهور إلّهى – وإذا كان فى (القبة المحمدية) ظاهرا فى سلمان من الناحية البشرية ، فهو متمثل من الناحية الأخرى فى كل من هؤلاء الناس والأشياء الذين تقرأ أسماءهم فى هذا الفصل ..

فالباب هو عرش الله ، وهو الروح الأمين – جبرائيل – وهو رب الناس – تعالى الله – وهو جبل الطور ، وهو الغراب الذى بعثه الله لإرشاد ابن آدم إلى دفن أخيه القتيل ، وهو فلك نوح ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وخاتم سليمان ، والنملة التى فهم حديثها ، وهدهده ، بل هو نفسه سارق الصاع فى سورة يوسف ، وهو عينه البقرة الصفراء ذات اللون الفاقع فى سورة البقرة !! .. أما كيف حدث كل ذلك ومأأدلته من العقل والنقل ، فذلك من أسرار العقيدة التى يجب أن تظل وقفا على هؤلاء (الراسخين) فى فك الرموز .. وحل الأحاجى ! .

وعلى هذا النمط تسير الفصول الأربعة التاليات ، فهى تعداد لأسماء منها المعلوم ومنها المجهول ، ومجرد سردها يعتبر عند القوم غاية العبادة ! .

ونقفز الآن إلى فصل (أسماء أشخاص الصلاة) لتعلم حقيقة صلاة القوم التى لاتعدو أن تكون ذكرا وعدا لأسماء أشخاص بأعيانهم ، لكل وقت صلاة أشخاصها ، فإن أنت لم تعرفهم ولم تحسن عدهم فلن تنفعك صلاة لأنك لن تعرف حقيقة الصلاة ! ... إن عدد ركعات الصلاة عند النصيرية إحدى وخمسون ركعة ، وهى فى مفاهيم الظاهريين المحدودين أمثالنا أعمال ذات ركوع وسجود وقراءة وخشوع ، أما فى مفهومهم فهى واحد وخمسون شخصا لا تتاح معرفتهم إلا للمحظوظين الذين أعطوا أمانة الدّين ، حتى معرفتهم ليست ضرورية ، إنما الضرورى هو معرفة أسمائهم ثم القدرة على سردها فى الخلوات الدينية فقط ! .

والآن اقرأ معى هذه السطور من الفصل (ص ٨٢) بعد البسملة =

« أبتدى وأتوسل إليك يامولاى فى أسماء أشخاص الصلاة وفروضها ونوافلها ، وهى واحد وخمسين شخصا لها واحد وخمسون ركعة ، الوقت الأول صلاة الزوال وهى الظهر ، النافلة ثمانية ركعات وهم = القاسم والطاهر ، وعبدالله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وهى آمنة وفاطمة الزهراء ، الزهراء .. وإبراهيم ... وبعد الفرض أربعة = محمد وفاطر والحسن والحسين . الوقت الثانى العصر ، النافلة ثمانية وهم = عبد الله ومحمد وعون بنو جعفر الطيار وأبوه ، وأبو سفيان وجعفر ومحمد .. وأبو الهيلج بنو الحارث بن عبد المطلب ، ومحمد بن أبى حذيفة[1] وبعدهم الفرض أربعة = محمد وفاطر والحسن والحسين . الوقت الثالث المغرب ، الفرض ثلاثة = محمد وفاطر والحسن .. وبعدهم النافلة أربعة = وهم ثوبان مولى رسول الله وخزيمة بن ثابت ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان الأشهلى ، وأبو سعيد الخدرى . الوقت الرابع العشاء = الفرض فيه أربعة = محمد ، وفاطر والحسن والحسين ، وبعدهم النافلة ركعتين من جلوس يحسبان بواحدة ، وهما زينب الحولا العطارة ، وأمة الله بنت خالد بن سنان العبسى . صلاة الليل ثمانية[2] وهم عبد الله وعبد مناف وحمزة والحارث والزبير وحجل ومقوم والغيداق أولاد عبد المطلب .. وبعدهم الشفع والوتر ثلاثة = أسد وعمران ابنا حصين ، والوتر عبادة بن بشير بن الصامت النوفلى الأنصارى

(١) إذا كان أبو أبناء جعفر الطيار ضمن المعدودين بلغ الجميع عشرة لا ثمانية ..

(٢) كذا ذكرت دون تسمية الوقت فكأنها اعتبرت تابعة لما قبلها أو لما بعدها ....

الخزرجى . الوقت الخامس = الفجز ، النافلة ركعتين وهم سعد بن مالك الأنصارى ، ونعيمان الأنصارى ، والفرض ركعتين وهم محمد وفاطر ، منهما السلام فهذه الواحد والخمسون شخص الذين لهم واحد وخمسون ركعة . قال فى خقهم شيخنا وإمامنا أبى عبد الله الخصيبى قدس الله روحه =

كما الصلاة رجـــال أشخاصهـــا تأويل
خمسون شخصا وشخص مقـــدس بهلـــول
محمـــد ثم فاطـــر والـــثبران أصول(١)
والكـل منهم ومعهـم هم الهدى والسبيـــل
كما الزكاة هى الباب اسمه جبريل
سلمـــان ليس سواه إلى الـــرسول دليـــل

وفى هذه الأبيات ما يزيل كل تردد ، كالشأن فى دلالة التفصيل السابق مضافا إليه اعتبار الزكاة نفسها شخصا معينا هو الباب ، ثم اعتبار الباب سلمان هو جبريل نفسه ... وهى المفاهيم نفسها التى علمناها من المجموعة الكبرى ..

فإذا انتقلنا إلى الفصل الموسوم بأسماء (إزالات المثلية) وجدنا سردا لأربعة وخمسين اسما ، أولهم آدم وآخرهم الحسين ، ويسمى هؤلاء (إزالات المثلية) ثم يضم إليهم تسعة أولهم على زين العابدين وآخرهم محمد بن الحسين الحجة ، الذى يسميه (القائم المهدى البشير النذير المؤمل المنتظر صاحب العصر والزمان ...) . يعرف القسم الأول بأنهم (الذين أزالهم المعنى وظهر كمثل صورهم ٩٠) ويصف التسعة الآخرين بأنهم (ماأزالهم المعنى ولا ظهر كمثل صورهم ، وخصهم الله فى النبوة والرسالة المثلية للمعنى والذاتية للاسم (ص ٩٠ – ٩١) ويلى هذا فصل صغير عنوانه (أسماء الصفاتية ص ٩٥ – ٩٦) هو عبارة عن سرد متتابع لبعض أسماء الله الحسنى يختم بدعاء (أمير النحل العلى العظيم) للمصلين وإخوانهم المؤمنين .

ثم يأتى فصل بعنوان (الفصل الخامس من الرسالة المصرية) ويستغرق تسع صفحات تبدأ هكذا (ص ٩٧) فى أسماء مولانا أمير المؤمنين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه فى سائر اللغات ...)

(١) صورنا الكلمة دون أن نفهم مرادها ، ولعل أصلها النيران : الشمس والقمر ....

وطبيعى أنك ستقرأ فى هذا الجدول العجيب أسماء لا علم لك بها إلا من مثل هذه المخطوطات المضنون بها على غير أهلها ! . اقرأ هذا (ص ٩٧) « سمته العرب عليا وسمى الأنزع البطين ، وبيضة الوادى ، وأصلع قريش ، وسمته أمه حيدرة ، وسماه أبوه زيد والصميدع وظهيرا ، وسماه النبى رجلا[1] وسماه عمه المقوم بن عبد المطلب الصلصال ، وسمته دايته ظهيرا وميمونا ومجمع ميمون ، وسمته جدته خبيرا ، وسماه أخوه جعفر رضيا ، وسماه الراهب الناموس الأعظم وشمعون الصفا ، وسمى نفسه على المنبر أرستطاليس ، واسمه فى التوارة بريا ، وفى الإنجيل أليّا تفسيره عليا ، واسمه عند الكهنة بويا ، واسمه فى الزبور أريا ، واسمه عند الروم بطرسيا ، واسمه عند الإفرنج جرجس ، واسمه عند الزنج حربيا ، واسمه عند الحبشة تبريك ، وسمته العامة والخاصة الدرياق والفاروق ، وقال فى بعض خطبه = أنا الصديق الأكبر ، والفاروق الأعظم ، وسمته الديلم هو ، وكان سلمان يقول فى دعاه ياهو يامن لا يعلم ماهو إلا هو ... ومن أسمائه سبحانه وتعالى التى كان يدعو بها الأمم السالفة قبل البشر ، وهم الحن والبن والطم والرم والجان والجن : البر الرحيم وقوله تعالى إخبارا عنهم = إنا كنا من قبل ندعوه ... إنه هو البر الرحيم ... ولله أسماء كثيرة لاتحصر وله فى القرآن تسعة وتسعون اسما منها = المسيح ، المقدس ، والثانى الذاكر الحامد ، المصلى وماشابه ذلك كما قال عز وجل = ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ... وتسمى فى قوم بدر = السنخنح[2] والشعمع ، وسماه السيد محمد = الإيمان والهادى والوكيل والقاضى ، والمفتى والسلام والمؤمن والمهيمن ، والغنى والحميد ، لا إله إلا هو الحق المبين ، والولى والهيولى والساعة وأرحم الراحمين) ! .

وبديهى أن ينتهى ذلك بالخاتمة المعهودة ، وهى الدعاء لأصحاب المكان الباذلين الطعام والشراب والإحسان .. على أن أخصب فصول القسم الأول جميعا ، وأحقها بالدرس والاهتمام هو آخرها ، وهو أحق الفصول باسمه (التوجيه) ذلك لأنه مجموعة من التعاليم الدقيقة ، كتبت لتكون توجيها لقائد المجلس – إمام الصلاة – ترشده كيف يبدأ وكيف يمضى وكيف ينتهى . فأنت تقرأ صفحاتها الإحدى والستين (١٠٦ – ١٦٧) فتشعر بالأوامر تصدر إليك بين الحين والحين كأنك خاضع للتدريب فى (نظام منضم) ، فحينا تقرأ كلمة

(١) فى المجموعة الثالثة (رحيلا) بالحاء المهملة فالياء المثناة ....

(٢) رسمنا الكلمة كما هى ...

(أرض) بالقلم الأحمر ، فتفهم أن على الإمام أن يخر ساجدا ومعه مَن حوله ، وحينا تقرأ كلمة (قوس) فتتخيل أن على القوم أن يؤلفوا وراء إمامهم خطا منحنيا كالقنطرة المقوسة ، وتقرأ مرة كلمة (قيام) فتتصور القوم واثبين من سجودهم ... الخ ، وتقع هذه الكلمات بين كل قداس أو مرحلة وأخرى من العمل الجماعى ، كمعالم المساحة تحدد الفاصل بين جانب وآخر .

يبدأ (التوجيه) بالبسملة ثم جمل من التحميد والتمجيد لذات الله ، ثم يلى ذلك صيغة التوجيه وبها تطالعك التعابير الخاصة (ص ١٠٧) = « وجهت وجهى للقدرة الباهرة ، والصورة الظاهرة ، والكلمة الناشرة ، والمشيئة القاهرة ، واليد الآمرة ، والعين الناظرة ... إلى فاطر الفطر ، ومظهر الصور ، الظاهر فى ظهوره ، الباطن فى ستوره ... إلى الستر الجميل ، ومحل التفضيل ، ومقام التهليل ، وعين السلسبيل ... » ولا يلبث أن يواجهك بخلاصة ذلك كله إذ يقول (ص ١١٠) « ... وصلاتى معرفة المثانى ، وتوحيدى لمعنى المعانى ، وغاية الغايات ، مسبب الأسباب ، باطن البواطن ، بديع الصفة ، فاتح الأبواب ، إله الآلهة رب الأرباب ، أبو الأبا ، أبو تراب ... »

وأنت تعلم أن (أبو تراب) هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رض) ...

ثم يتابع الكشف ، إذ ينتقل الفصل إلى رواية الأخبار ، وأول مايفجؤك منها قوله (ص ١١١) « يروى الخبر عن الثقات الميامين عن يحيى بن معين السامرى أنه قال = دخلت إلى حضرة مولانا الحسن الآخر العسكرى ، منه السلام وإليه التسليم ، فوجدته جالسا على كرسى من النور ، والنور من جبينه قد ملأ المشرقين والمغربين ، وحوله الملائكة الكرام يسبحوه ويهللوه ويكبروه ، فلما رأيت ذلك سبحت وقدست وهللت وكبرت وخريت وجهى له ساجدا ، وأنا له حامدا شاكرا عابدا ، ورفعت رأسى وقلت = يامولاى سبُوح قدُوس ربى ورب الملائكة والروح .. رب الأولين والآخرين ورب الخلائق أجمعين ..

وينتهى هذا الجزء بتوجيه الإمام حيث يقول (ص ١١٨) = « ثم تقوم تقرأ الترابية وينهلوا من الصرف - الخمر - وتقرأ الآية = وإذ جعلنا البيت مثابة للناس .... والركع السجود . » وهنا تجد كلمة (أرض) باللون المميز ويليها

قوله (١١٩) « ثم تقرأ قداس الثانى وينفقوا[1] وتقول = قوله تعالى = وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون . واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخشية .... » .

وينتهى هذا الجزء أيضا بهذا التوجيه (ص ١٢٠ - ١٢١) = (أرض) . ويقوم قائما ويقرأ قداس الثالث ، ويقف ويتلو الآية .. « ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ... » ويلى ذلك أيضا التوجيه نفسه ثم قراءة القداس الرابع ويسميه النسب[2] ويفرض هنا أن تكون الرؤوس مكشوفة ، وعند الفراغ من هذا القداس يتصافح المصلون ويجددون العهد بينهم ، ثم يقرأ الإمام قوله تعالى « وأقم الصلاة لدلوك الشمس .. إلى .. مقاما محمودا .. » ويأتى هذا التوجيه = (أرض) ويقوم قائما .. ويدعو للمؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها حتى يقول (ص ١٢٤) = اللهم اجعلهم مستورين وعلى أعدائهم منصورين ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، ياعليا ياعظيم)

ويقوم الإمام هنا إلى المصافحة وتجديد العهد .. (ثم يقوم ويأمر فى قداس الخامس وهو الفتح ، وإذا فرغت تقول سر الفتح ومن فتح الفتح ، وسر محسن الخفى .. ويقفوا جميعا ، ويقرأ الإمام =والنجم إذا هوى..»(ص١٢٦)ويلى ذلك باللون المميز لكلمة (قوس) ثم يستأنف الدعاء بصيغة جديدة ، أو يتلو بعض آيات القرآن » ثم يدعو أحد اليمين (؟) بدعاء السجود ويسلموا ويدعوا بدعاء المراتب الآخرة ... يصافح ويقول = السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ويرد عليه عليكم السلام وأحسن التسليم إلى آخرهم . ويأخذ الجام ويقرأ هذا القداس المبارك =

وهنا يسرد ألفاظ القداس كما يلى (ص ١٢٨) « الحمد لله العلى العلام ، على بدر التمام ، على رب الأنام ، على رب العزة ، على فالق الحبة ، على مجرى الماء ، على رافع السماء ، على غافر الذنب ، على كاشف الريب ، على موفى النذر ، على مطلع على السر ، على أم الكتاب ، على قالع الباب .. »

إلى أن يقول (ص ١٣١) = « على هابيل ، على شيث ، على يوسف ، على

---

(١) هذه الكلمة تتكرر فى الفصل ويقابلها فى بعض النسخ (وينهلوا)

(٢) النسب هو اعتراف النصيرى بعقيدته مع ذكر من أخذ عنه ومن ورائه سلسلة المشايخ الثقات

يوشع ، علي آصف ، علي شمعون ، علي حيدرة ، الأنزع البطين ... »

وينتهي هذا الجزء بالتوجيه الذي يقول (ص ١٣٥) « .. ثم تقرأ الإشارة إلى آخرها وتقول « يروي الخبر شيخنا وسيدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيب ، صاحب الرأي المصيب ، عليه رضوان الله في كل مشرق ومغيب ، قال = إنه كان إذا حضر بين أياديه عبد النور – الخمر – يأخذ الجام في يمينه ، وينهل منه ويترنم في هذا القداس المبارك وهو « الحمد لله العلي الأعلى وحده ، الذي أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وأهلك ضده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا إله قبله ولا إله بعده ، له الدين الخالص ، وإنما تدعون من دونه هو الباطل ، وإن الله العلي الكبير .

اللهم صلى على سيدنا محمد وآل محمد ، وعلى سلسل وآل سلسيل ، مصابيح الظلم ، مفاتيح الكلم ، شهادة الإخلاص إلى ولات حين مناص .. اللهم هذا عبدك عبد النور ، شخص حللته وكرمته وفضلته لأوليائك العارفين بك حلالا طلقا ، وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حراما نصا . اللهم كما حللته لنا ارزقنا به الأمن والأمان والصحة من السقام .. »

ثم يأتي (قداس الممازجة) وهو طائفة من الآيات الكريمة أخذت من هنا وهناك ، يتخللها دعاء وتوجيهات (أرض . قوس . قيام ...) وينتهي هذا الجزء بتقديم الطيب والبخور ... ومن ثم يقرأ الإمام (النوروز) وهو الأبيات التالية (ص ١٤٦)

شهدت بأن إله الورى ... عليا مقلب مافي القلوب
وماالحتجب الله عن خلقه ... ولكنهم حجبوا بالذنوب
فلو أنهم آمنوا واتقوا ... لصاروا ملايكة في الغيوب
يسبحون في ملكوت القديم ... وقدطهروا من جميع العيوب

وفي الأبيات كما ترى قوة تحمل طابع العصر العباسي ، وتنم عن أنها من صنع شاعر أسلست له اللغة ، وغلبت عليه نزعة صوفية . ولو حذفنا (عليا) من عجز البيت الأول لاستقام المعنى بغير شذوذ .. ومن يدري فقد تكون هذه اللفظة مقحمة وضعت مكان لفظة أخرى من غير هذا الاتجاه الباطني ، كلمة = رحيم – أو عزيز أو نحوها = وكدأب مؤلف الفصل يختم هذا الجزء بالابتهال

والدعاء للمؤمنين ، ويوجه الإمام إلى قراءة (الشهادة) ثم تجديد العهد بين المصلين ، ملقنا إياهم مايجب أن يقولوه ، وتتكرر أثناء ذلك كلمة (أرض) و(قوس) و(قعود) ثم يشير بقراءة (الإمامية) وبعض آى القرآن الحكيم ثم (ص ١٥١) « ... يقوموا قائمين ويشرب سر الإمام ، وهو أن يأخذ الإمام الجام ... التبرك للأرض ، ويضع كل واحد من الجماعة يده على القدح ، ويد الإمام فوق الجميع ، ويقول الإمام = يد الله فوق أيديهم ، ويقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم .. سر إمام الأئمة وكاشف الغمة ، طود الأطواد ، والبحر المزبد أزج الحاجبين ، البعيد مابين المنكبين ، الطاعن بالرمحين ، الضارب بالسيفين ، إمام الثقلين ، أعنى به الطالب الغالب ، مفرق الكتائب ، ومظهر العجائب ، ليث بنو غالب ، الضارب الهامات بحد القواضب ، عليا بن أبى طالب .. سر إمام كل إمام ، سر عليا صاحب كل عصر وكل زمان .. سر حجابه السيد محمد ، سر بابه سليمان ، سر الخمسة الأيتام ، والمراتب السبعة الكرام ، سر شيخنا وسيدنا أبى عبد الله الحسين بن حمدان ، الذى شرع لنا الأديان فى سائر البلدان ... »

وعلى هذا الغرار يمضى الإمام فى تعداد المقدّسين ، الذين يجب أن يشرب الجميع هذه الدفعة على سرهم وأسمائهم ، ثم (ص ١٧٥) « يلتفت يمينا وشمالا ويقول = مع تقبيل العقد شربنا سر الإمام ، وسرك ، وسر الله ، قلبك فى معرفة ربك ... ثم يفعلوا ذلك (جماعة) اليمين والشمال ويقول الإمام = سافروا وتغنموا ويقرؤون (المسافرة) ويتلى الإمام قوله تعالى = وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . (قوس) ويقوم قائما ويشرب سر أولاد الشيخ أبى عبد الله الأحد والخمسون العراقية والشامية والمخفية .. ثم يقرؤوا (الطورية) ويتلو الإمام قوله تعالى = وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ...) إلى (من القانتين) (أرض) ويقوموا ويشرب سر أهل البيت ويقول = سر المنزل وماحوى المنزل ، سر السيد محمد صاحب كل منزل ، سركم ياأصحاب هذا المنزل ، الله لا يقطع لكم سر ، بحق المقداد وأبو الدر ... ويكشفوا رؤوسهم ، ويطوفوا البيت يمينا وشمالا ويقولوا = شربنا سر أهل البيت وسركم وهذه لله ولكم .. ويقبل كل واحد الأرض سبع أمرار ، ويأمر الإمام بـ (الحجابية) وينهلوا ...) وهكذا يستمر (المحفل) مبدئا ومعيدا ، كل مرحلة تنتهى بشرب السر ، وبنوع من القيام والقعود أو التقوس ، مع تلاوة

بعض الآيات ، وقراءة بعض (المأثورات) مثل (النقيبة) و(دعا السجود) و(دعا المراتب) وهو خاتمة المطاف ...

وآخر سر يشربونه فى هذا الفصل (ص ١٦٤) « ... سر النقيب ، وهو نقيب النقبا محمد بن سنان الزاهرى ، سر نجيب النجبا عبد الله بن سبأ ، سر الاثنى عشر نقيب ، سر الثمانية وعشرين نجيب ، وهم (الأربعون قطب ...) ويختم ذلك كله بقوله تعالى (ص ١٦٧) = « وقل ربى أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

وبذلك نأتى على آخر الفصل ، ونشرف على ختام الحفل ، وفى وسعنا القول بأننا قد شهدنا خلوة كاملة ، طالعنا فيها المصلون يقودهم إمامهم فى حركات درامية ، حاول مؤلفها أن تكون متسلسلة منظمة ، فيها الشعر وفيها النثر ، وفيها القرآن وفيها الأخبار ، فيها الهبوط والصعود ، واللف والدوران ، وفيها الشراب ــ عبد النور ــ وألوان الطعام .. وعدد غير يسير من كنوز ما وراء الستار ! . وقد لاحظ القارئ فى هذا المحفل ملامح الحلقات الصوفية بقيادة شيوخ الذكر ، حيث تميل الرؤوس وتهيم النفوس ، وتترنح المناكب ، وتضطرب الجوانب ، وتتلى الرموز والأحاجى ، فيغيب الوعى فى غمرة الشطح والتناجى .. والحكم فى المحفلين لسلطان الشيخ يوجه مريديه كيف يشاء ، وهم فى يديه أموات غير أحياء ! .

بقى أن نطل على بقية المجموعة ، مما سميناه الثانى ، وليس لهذا القسم عنوان جامع ، وإنما هو فصول ثمانية تقوم عندهم مقام السور ، لا نعرف واضعها وإن كان المرجح أنه الحسين بن حمدان .. وقد جعل لكل واحدة اسم خاص ، فأولها **الترابية** ثم قداس أو **تقديس الولى** ثم **قداس أبو سعيد** الميمون ثم **سورة العضد** ثم **السلام** ثم **الإمامية** ثم **الإشارة العلوية** وأخيرا **الشهادة** .

ولننظر الآن فى بعض محتويات هذه الفصول . تبدأ (الترابية) بالبسملة ثم تقرأ فى مطلعها (ص ١٦٨ « ... قد أفلح من أضبح بولاية الأجلح ، أستفتح بأننى عبدا استفتحت بأول إجابتى بعضدى وعنايتى ، فى حب قدس معنوية مولاى حيدرة أبى تراب ، فيه استفتحت ، وفيه استنجحت ، وفى ذكره أفوز ، وفيه أنجا .. وعليه توكلت .. أشهد أنه ربى ورب آبائى الأولين ، وأشهد أنه ربى

ورب آبائى الآخرين ، وأشهد أنه ربى ورب الخلائق أجمعين ..)

ثم يلى ذلك ابتهال وتضرع ممزوجان بالرموز الباطنية التى أصبحت مألوفة لدى القارئ ، كالباب والحجاب وسلسل وسلسبيل ، وبعض الرموز مما تعذر علينا قراءته . ثم يأتى (قداس الولى) وفيه تقرأ (ص ١٧٣) « اللهم إنى أسألك يامولاى ، ياأمير النحل ، ياعليا ياعظيم ، ياقديم ، ياياقوت ، يامعدن الملكوت ، أنت إلـهنا باطنا وظاهرا ، أظهرت فيما أبطنت ، وأبطنت فيما أظهرت .. وأظهرت بالذاتية ، وتعاليت فى العلوية ، وأبطنت فى الأنزعية ، واحتجبت فى المحمدية ... وتكاملت بالنورانية ... أنت الله يامولاى ياأمير النحل ، ياعليا ياعظيم .. فلا إله غيرك ، ولا معبود سواك .. ياسيدى آمنى من جميع المسوخيات .. وجميع إخوانى المؤمنين من شر المسخ والفسخ والوسخ والنسخ والقش والقشاش ، إنك على كل شئ قدير ...)

أما الوسخ فقد مر بك وهو كما يبدو أحد الدورات الدنيا التى تمر بها علمية التناسخ ، ولكن (القش والقشاش) شئ جديد نعثر به لأول مرة ! ..

والآن إلى (تقديسة أبى سعيد الميمون) ... إنها مجموعة من التضرعات المسجوعة ، يتوجه بها مؤمنهم إلى على (ص ١٧٦) « أسألك اللهم يامولاى ياأمير النحل ياعليا ياعظيم ، فى قدرتك الهمية (؟) الأحدية ، وفى الاثنين المصطفية ، وفى الست الحلية ، وفى السبعة الكواكب الدرية ، وفى الثمانى حمالة العرش القوية ، وفى التسعة المحمدية ، وفى العشرة الذكية ، وفى الحادى عشر مطلع اللبية ، وفى الاثنى عشر سطر الإمامية ، وبحق جاهك على خلقك يامولاى ، ياأمير النحل ، ياعلى يابارى البرية ، وفى سبع ظهوراتك الذاتية .. أن تجعل قلوبنا وجوارحنا فى معرفتك الزكية .. وخلصنا من هذه الهياكل الناسوتية ، ولبسنا أفخر القمصان النورانية .. بنصر عزك ياصاحب اليد والمشية ... الثنا أبو سعيد الميمون ابن القاسم الطبرانى ، المجاهد فى سبيل الله والمذب عن حرم الله ، الذى أخذ حقه بيده من قفا أبو دهبية ... اللهم ارض عنه ونزه شخصه واكرم مثواه ...)

ويلى ذلك الفصل الموسوم بالعضد فى صفحتين ، ولا جديد فيه ، إذ أنه سرد لاعترافات دينية تتعلق بالله وملائكته وعرشه وماوراء الطبيعة من الموجودات

الغيبية ، وينتهى بر عقد (عين ميم سين) ....

أما (سورة السلام) فتبدأ بتمجيد الله ، ثم تنتقل إلى التعابير الباطنية المألوفة (ص ١٧٨) = « فإن السلام والتسليم من المعنى القديم ، على حجابه العظيم ، وسلام حجابه العظيم على بابه الكريم ، وسلام بابه الكريم على الخمسة الأيتام الكرام العظام ، السلام على الأسماء ، السلام على الحجبا ، السلام على النقبا ، السلام على النجبا ، السلام على المخلصين ، السلام على المختصين ، السلام على الممتحنين ، السلام على المقربين ، السلام على المستمعين ، السلام على اللاحقين ، السلام على أهل مراتب قدس الله وعالم الصفا أجمعين ....

.. أشهد وأقر فى ربوبية مولاى العلى المرتضى ... السلام على مئة ألف نبى ، وأربعة وعشرين ألف نبى ، أولهم باب وآخرهم لاحق ، وغايتهم مولانا جعفر الصادق ...) إلى أن يختم الفصل بالدعاء للمؤمنين وجمع شملهم ...

ثم تطالعك (الإمامية) بهذه الاعترافات الأخرى (ص ١٨٠) . « اشهدوا على ياإخوانى ، ياهؤلاء السادة الحاضرة بأن مولاكم أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب الأنزع البطين ، العالى الأجزا ، الأصم الذى لايجزا ... ولا يحول ولا يزول عن كيانه ، وإن ظهر لعيانه ، سبحانه سبحانه ، فهو إلاهى ، وإلاهكم ، وإلاهكم وإلاهى ، وهو ربى وربكم ، وربكم وربى ، وهو إمامى وإمامكم ، وإمامكم وإمامى ، وهو إمام الأيمة ، وفالق الحبة ، وبارى النسمة ، وسراج الظلمة وإله الآلهة ، وجبار الجبابرة ، وتاج الأكاسرة ، وقيوم الدنيا والآخرة ، حيدر أبى تراب ، الظاهر فى الأجلح ، الباطن فى الأنزع ، الظاهر من عين الشمس ، القابض على كل نفس .. أشهد وأقر وأسبت (أثبت) بأن حجابه السيد محمد ، وبابه الأشرف الأكرم السيد سليمان ، باب الهدى والعلم والمعرفة والفقه والدراية والإيمان ، علينا من ذكرهم الرضا والسلام ، سرهم صلوات الله عليهم أجمعين ....) »

ومن هنا نصل إلى (الإشارة العلوية) وتبدأ بتعظيم الله لتتخلص إلى تمجيد يوم الغدير .. وهنا تقرأ(ص١٨٢) (والإشارة من سيدنا محمد فى يوم عيد غدير خم حيث قال = من كنت مولاه وغايته ومعناه ، اللهم والى من والاه ، وعادى من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله . كانت إشارته إلى على مولاه ،

أفطره من نور ذاته ، وأنشأه وقلده مقاليد ملك أرضه وسماه ، كشفا وإعلانا لخاصة خلقه العلماء ..)

ويستمر فى مثل ذلك حتى يأتينا بهذه الأقصوصة العجيبة (ص ١٨٣) = (... اجعلنا فى دنياك كاسبين ، وفى الآخرة خاسرين ولانادمين ، بحق الدعوة الذى (كذا) ادعاك بها السيد محمد ﷺ وهو خارج من أبواب مكة ، وهو راكب على ظهر مطيته البيضا ، وهو ينادى ، وأنت ياعلى أمامه وهو يرمى إليك ويشير ويقول = الجهاد الجهاد .. الحراب الحراب .. النور النور .. يامنوّر كل نور ، ياعالم لخافية الأعين وماتخفى الصدور . يامنشئ الطفل الصغير ، وراحم الكبير ..)

ولكى يؤكد أهمية هذا الكلام ، ويعمق الإيمان به فى نفوس المريدين ، يطرفهم بهذا الخبر = وهو أن النداء القدسى قد جاء من قبل العلى الأعلى من جانب الطور الأيمن قائلا (ص ١٨٤) = (ياحبيبى يامحمد .. مامن عبد دعانى بهذا الدعاء ، من صفا قلبه وخالص يقينه فى نهار الخميس أو ليلة الجمعة ، أو فى ليلة النصف من شعبان ، أو فى خمس ليالى من ليالى شهر رمضان إلا وكتبت حسناته ، ومحوت سيئاته ، وعليت درجاته ، أو قضيت حاجاته ، وسكنته جنتى ، وجعلته فى أرياض قدسى ، ومحل أنسى ، مع المؤمنين الفايزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .)

ولعل القارئ قد اطلع ذات يوم على (المنشور) الذى يتبرك بقراءته كل يوم كثير من المسلمين ، يسمونه (ورد ابن أبى سلطان) وفى مقدمته ماخلاصته = إن ابن سلطان هذا كان رجلا من المُصرِّين على الكبائر فى حياة رسول الله ﷺ ، فلما توفى خرج مع صحابته فى جنازته ، وكانوا يرون إليه يبتسم ، فسألوه عن السبب فأخبرهم أنه يبتسم لما يراه من زحام الملائكة فى تلك الجنازة ! .. ثم بعث أحدهم يسأل أرملة ابن سلطان عن أعمال الرجل ليعرف سر إكرام الملائكة له ، فأكدت للرسول أن صاحبها كان من أسوأ الناس سيرة وأجرئهم على معصية الله ، إلا أنه كان له ورد محفوظ يستخرجه ليقرأ فى بعض أيام السنة . وبعثت بذلك الورد إلى رسول الله (ص) .. وهكذا يعثر رسول الله (ص) فى ورد ذلك الخاسر على ما لايعرفه ولا تنطوى عليه رسالته من الوسائل المحققة للفوز برضوان الله .. عياذا بالله ! ..

وطبيعى أن تلمح فى كلا الوردين (الإشارة العلوية) و(ورد ابن سلطان) ماينبئ أن اليد التى صنعت الأول هى نفسها التى اخترعت الثانى .. إنها يد المجوسية التى عجزت عن مواجهة الإسلام بالسلاح ، فعمدت إلى إفساد عقائد المسلمين بمثل هذا الكلام غير المباح ! ..

ونتهى بذلك إلى خاتمة هذا القسم الثانى من المجموعة الثانية ، وهى مايسمونها (سورة الشهادة) .

ووما يلفت النظر أن أول مايطالعك من هذه (السورة) بعد البسملة هذه الكلمة = (قوله تعالى) ثم تأخذ بسرد مضمونها فى هذه العبارات (ص ١٨٦) « شهد الله تعالى بأن لا إله إلا هو قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وإن الدين عند الله الإسلام .. ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول واكتبنا مع الشاهدين ..)

وهى كما ترى – فى أصلها – آيات من كتاب الله لم تسلم من التشويه .. ولكن أى شهادة هذه التى يسجلها هؤلاء على أنفسهم ؟ ... اسمع إلى اعترافهم عقيب ذلك (ص ١٨٦) .. (شهدت عقد عين ميم سين ، وفى شهادة أن لا إله إلا مولاى أمير النحل العلى الأنزع المعبود ، ولا حجاب إلا السيد محمد الحمد الأصل الأعظم المحمود ، ولاباب إلا السيد سلمان الفارسى الأكرم المقصود ، ولا ملائكة إلا الخمس الأيتام الكرام العظام ، ولاراى إلا راية شيخنا وتاج رؤوسنا وإمام عصرنا وقدوة ديننا أبى عبدالله الحسين بن حمدان ، الذى شرع الأديان فى سائر البلدان ، عليه رضوان الملك العلى الأنزع الديان .)

ولئن كان فى هذه (الشهادة) جديد إنما الجديد فيها كونها تلخيصا مركزا لكل مامر بك من تلك التعاليم الباطنية ، التى لاغرض لها فى الواقع البعيد سوى إحياء المجوسية فى غلاف من الظواهر الأساسية ، فيه التثليث ، وفيه التجسيم ، وفيه كل شئ إلا الإسلام !.. وقد ذكرت فى مقدمة الحديث عن هذه المجموعة خلوها من هوية الناسخ والمالك .. وفاتنى أن أشير إلى أن فى خطها ومدادها وورقها العبودى غير الصقيل مايؤكد أنها كتبت قبل عشرات السنين ، وربما عاد تاريخها إلى قرن أو أكثر ..

كذلك فاتنى الإشارة إلى أن الوجه الثانى من آخر صفحة مكتوبة فى هذه

المجموعة تحمل صورة اسم معلق (توقيع) كتب عددا من المرات على صور متقاربة ، كأن كاتبه أراد التمرن على إيجاد توقيع ثابت له ، فجعل يكرر كتابته ليختار الشكل الأفضل ، وقد بدا لى أن التوقيع هذا مؤلف من هاتين الكلمتين (أسعد إبراهيم) ، على أن هذا لا يخرجنا من الجهل إلى العلم ، وسنظل عاجزين عن معرفة الكاتب والمالك والمكان الذى كان حرزها الأول .

(المجموعة الثالثة)

هذه المجموعة تختلف عن سابقتيها بميزات =

ا – أنها حديثة العهد .. ففى النهاية من قسمها الأول – وهى قسمان – تثبت بالحرف = (إن الفراغ من نساختها فى شهر تشرين أول سنة ألف وثلاثماية وأربعين) – هجرية طبعا – فلم ينقض على كتابتها إذن سوى أقل من نصف قرن ..

ب – أنها نسخت (بخط الفقير لله تعالى سلمان أحمد على ....)

ج – وهذا يقول فى آخر كلماته هناك = (قد كتبنا إلى الشيخ محمد الحامد على إبراهيم أعانه الله على قراءتها آمين)

ولكن من يدرى من سلمان أحمد على ، ومن محمد على إبراهيم الآخر ؟ . ومثل هذين الاسمين كثير فى كل مكان ... ومع ذلك فسواء علمنا بالرجلين وجهلنا ، لأن أيا من القوم لن يعترف بأن له علاقة بالرسالة ، وهو مستعد لأن ينفى كل إيمان بها ... لذلك سنكتفى بدراسة هذه بطريقتنا الموضوعية التى جرينا عليها حتى الآن ، فيتاح لنا بهذا أن نرصد تغلغل هذه التعاليم وحركة سيرها خلال الزمن .

أما صفحات هذه المجموعة فسبع وخمسون ، وقياسها ١٩ ½ × ١٤ ½ ، وورقها من النوع الصقيل الكثير الاستعمال فى هذه الأيام .. أما خطها فبالنسخ ، متناسق الحروف فيه أناقة وانسجام لا نشهدهما اليوم إلا فى خطوط الشيوخ المحافظين أو تلاميذهم ، وقد كتبت بمداد أزرق خفيف ، وليس للمجموعة عنوان ولا غلاف خاص ، وإنما تواجهك بمضمونها مباشرة ، إذ تقرأ فى الصفحة الأولى منها فصلها الأول مصدرا بالبسملة ، ثم تتابع الفصول ...

والمجموعة بأسرها مقصورة على موضوع العبادات ، فأنت تنتقل فيها من فصل إلى فصل ، فتشعر أنك تدور فى حلقة مفرغة ، لايكاد جزء منها يختلف عن جزء من حيث المضمون ، بل إنك لتقرأ تكرارا لأقسام منها بأعيانها بين فصل وآخره وليس هذا إلا نتيجة لضيق المجال الذى تضطرب فيه أفكار القوم ، مما يجعلك تلقاء تكرار ممل لأشياء لامكان فيها للتقدير التفكير ... ولكنك مع ذلك واجد فى مجموعتنا الأخيرة هذه تفسيرات ضرورية لبعض المصطلحات التى مرت بك ، كالذى قرأته من ذكر أولاد الشيخ الأحد والخمسين ، فلا تعرف من هم ، وبخاصة عندما تقرأ أقسامهم الثلاثة ، وسترى فيما سنعرض من أجزاء المجموعة فصلا خاصا بتعريف هذه السلالة الممتازة ..

أما الفصل الأول فهو كمقدمة يطالعك بحمد الله الذى هدى القوم لهذا ... ومن ثم يلتفت إلى مخاطبة القوم (... الله يصبحكم بالخير ياإخوان من ذات اليمين وذات الشمال .....) وطبيعى أن المتكلم هنا هو الإمام ، لأننا أمام حفل صلاة باطنية ، لا يشهدها سوى الموثوقين من الذين ائتمنوا على الدين ، فلها إذن طقوسها وحركاتها ومراسيمها التي لا تعرف لها مثيلا فى صلاة الظاهر ... وفى مقدمة ذلك كله تلك الوصايا المأثورة ، التى أول مايبدأ الإمام عمله بها فى قيادة الصلاة ، فيذكّر رعيته بما يجب ومايجوز وما يليق ... لأنه (ص ١) = (قال فى الخبر عن صاحب المعاجز والآيات والقُدَر ... من دخل مقامى هذا وتكلم فى شئ غير ذكرى فأنا برىء منه ثم لا تلبث أن تقرأ فى مسرد الوصايا مثل هذا الكلام (ص ٢) = (.... وإياكم الاستنقاص بقدر أولاد الجافات (؟) ويحرم لبس الأحذية – وشقع العبا ، وحمل السلاح ، والتهزى على الفقراء والمساكين ، والنقص بالدين ، ويحرم أكل الربا والزنا ، وتغيير الأشخاص عن مواضعها ، والكذب ، ولبس المتشابهات مثل شملة السوداء ، وعصبة الزرقا ، وكشتوان العظم ، والسكين بحدان ، وضرب التبان ...

ويحرم الوشوشة ولعب القمار ، والكثر والإسراف ، فى النفقة ، ويحرم شعر الباط – الإبط – وطول الصافى ، وقميص العثمانى ، وطول الشارب ، وعقد الوزار ، وفقع الأصابع ، وكثر الالتفات ، وتحرم الصلاة على من به علامة من شرح السبعين ، وعلى المخالف والمأبون ....) وأنت ترى أن هنا مسميات لا

نفهم مدلولها لأنها من مصطلحات العامة السريعة التبدل ، مثل (كشتوان العظم) و (ضرب التبان) .... وبخاصة (شرح السبعين) ! .

ولا ينسى الإمام أن يذكر رعيته هنا بما يترتب على مخالفة هذه الوصايا من النقمات الإلهية (ص ٢) (.... واعلموا أيها الإخوان مامن علة ظاهرة ولا باطنة تحل فى أجسام البشر ، مثل برص وجذام وجنون وبرسام وخرس وطرش وفقر ومرض وبلا وساير الخطا والأوجاع ... إنهم جميعهم أحلهم البارى من النقص والتقصير فى حقوق الإخوان ومخالفة الرحمن .....)

وهكذا يمضى الفصل إلى خاتمته إرشادا وتأديبا ، على النحو الذى أسلفناه فى مكان آخر ... وبعد هذا نطالع عنوان (النذره ...) وهنا مجموعة من الصفحات ، تجرى فى المخطط نفسه الذى عرضناه لك فى (نده النذر) من حيث كونه مجموعة من (القداديس) خاصَّة بالصلاة .. على أنه لا يخلو من بعض المميزات القليلة ، من ذلك أنه يختلف بمطلعه عن مدخل (نده النذر) إذ يوجه الخطاب مباشرة إلى من حوله بقوله (ص ٣) (ياإخوان .. ندهناكم أول مرة وثانى مرة على لسان النقيب وهذه الثالث مرة . مابقا بعد النذر من حذر ..) ثم يأخذ فى تذكير الأفراد بالتزاماتهم أثناء العبادة ، وضرورة ارتباطهم بالإمام ارتباط طاعة مطلقة (ص ٣) . أن يكونوا محللين لما حلل ، ومحرمين لما حرم ، وإذا أبرم الإمام أمرا ، وقال قولا ، فلا يجوز لأحد أن يخالفه ، ولا يرد عليه قوله ، لأن مخالفة الإمام العال تحبط الأعمال ، وتغير الأحوال ، وتنقل الإنسان من حال إلى حال ، لأن إمام الجماعة هو نبيهم .....)

وقد مر بنا هذا نفسه فى كلام الشيخ الكلازى فى المجموعة الكبرى ..

ثم يتلوه (شاهد من الخطب والقرآن) (ص ٦) وهو يقابل موضوع (هذا الشاهد) الذى قدمنا الإشارة إليه عقب افتتاحية (نده النذر) ولكنه يختلف عنه كذلك فى أكثر الصيغ ، ويزيد عليه بعض الإيضاحات التى تكاد تكون من مميزات هذه المجموعة ، من ذلك ماتقرؤه بعد سرد طويل للصفات الألوهية منسوبة لعلى (ص ٨) « ... ولهذا خاطبته الشمس فى بقيع الغرقد لما قال لها = السلام عليك ياأول خلق الله الجديد ، فقالت له = وعليك السلام ياأول ياآخر ياباطن ياظاهر يامن هو بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، الميم يلوح إلى معناه ،

والمعنى يلوح إلى ذاته ، وإن كان لا يمكن أن يكون الظاهر غير الباطن ... أفهم ذلك وأعمل به ... »

وننتقل من هنا إلى الجزء الثالث وهو بعنوان (فصل من كتاب المعارف تحفة لكل عارف) ويلتقى مع (فصل المذاكرة)فى مطلعه، إلا أنه أقل منه استيعابا ، ففى المذاكرة من الزيادة ماليس لهذا .. ثم فصل صغير بغير عنوان ، وهو مجموعة من التضرعات والدعوات والاستشفاعات بأصحاب المراتب من الحجب والأبواب و .. إلى آخر السلسلة .

ثم يلى ذلك فصل غفل كذلك ، ولكنه يقابل من (نده النذر) مايسمى هناك (أسماء المنبئون) يستفتح بما يقارب مدخل الأول من صيغ التوسل ، ثم يمضى على غراره بسرد الأسماء السبعة عشر ، وينتهى بالدعاء لأهل الدار ...

وهنا نجد فصلا خاصا بأسماء النقباء ، الذين كانوا فى عهد السيد محمد – كذا – وهم (ص ١٣) « أبو الهيثم مالك بن التيهان ، والبرابن مغرور – كذا بالغين – والمنذر بن عمران بن كناس بن لوزان الساعدى ، ورافع بن مالك ابن العجلان الزرقى .. وأسد بن حصين الأشهلى ، والعباس بن عبادة ابن نضلة ، وعبادة بن الصامت النوفلى ، وعبد الله بن حزام من بنى سلمة ، وسالم بن عمر الخزرجى ، وأبى ابن كعب ، ورافع ابن ورقا ، وبلال ابن رباح الشنوى .. وقيل إنهم بروج الشمس .. أولهم الحمل عبد الله بن جحش الخزرجى ، والثور ابن خالد النوفلى ، والجوز لماح بن قيس الثورى ، والصرطان مالك ابن ربيعة النارى ... الخ »

وطبيعى أن يستمر هذا الرد حتى يستوفى العدد نفسه ، جامعا بين كل شخص وما اختاروا له من البروج الفلكية ، ليكون هناك مظهران لهؤلاء النقباء ، أحدهما فى البشرية ، وثانيهما فى النورية ! .

ويعقب هذا فصل أشرنا إليه فى (نده النذر) بعنوان (أسماء الخمسة وعشرون يتيما) ويكاد يكون نسخة تامة عنه .. ثم يلى ذلك (أسماء أشخاص الباب) وقد عرضنا نماذج منه ، ولاخلاف بين الأسماء فيهما إلا قليلا ، من ذلك أن (نده النذر) يذكر بين أسماء الباب المهدى ، وهذا يجعله العهد ، ويذكر (الشراب) وهذا يجعله الثواب ، ويذكر (الحى) وهذا يجعله الحية ، وينتهى

الأول باسم جبرائيل ، ويزيد فى هذا اسم (الملأ الأعلى) بعده ..

على أن هنا زيادة أخرى وهى سرد أسماء الباب (فى القباب البهمية) على الوجه التالى = (ص ١٦) سيراوس ، واردوان كنانة ، جمقيا ، وفيروزا ، أنوشروان ، كيكاوس ، يزدان ، شاهيور ، بهرام جور ، أفريدون ، دوذشه ، شهمدان ، بزرجمهر ، شهريار ، جيل ، جيال ، خداداان ، روزبه ، تركان ، وأسماؤه النفس الكلية ، روح القدس ، جبرائيل ، الملأ الأعلى ، سلمان ، وأسماؤه فى المقامات الستة الروحانية ، فكان الباب فى المقام الأول جبرائيل ، وأيتامه ميكايل وإسرافيل وعزرايل ومالك ورضوان ، وكان الباب فى المقام الثانى يائيل بن فاتن ، وأيتامه أنقيل وأفراقون وقيمان وأفريق وأفريقا ، وكان الباب فى المقام الثالث حام ابن كوش ، وأيتامه يهودا وهيثور ومالك وهملك وأنقيل .. وكان الباب فى المقام الرابع دان بان طاووت ، وأيتامه يهودان وهاروت وعبدالله وإسرائيل وعمران . وكان الباب فى المقام الخامس عبدالله بن سمعان ، وأيتامه شعيرة وشتلة وهرشة ومثقول وأثيرة .. وكان الباب فى المقام السادس روزبة ابن المرزبان ، وأيتامه يوحنا فم الذهب ويوحنا الديلى ، وبولس وبطمس ومتى .. على جميعهم من الله العلى العلام أفضل الصلاة والسلام ....

ولايسعنى إلا أن ألفت نظر القارئ إلى هذه الأسماء الأعجمية ، وأكثرها من الفارسية وبعضها من العبرية ، وقد مر بنا الكثير من مثلها .. فأنا لا أشك أنها من أثر الشعوبية الفارسية واليهودية ، التى إليها يرجع معظم ماعاناه الإسلام من المؤامرات ، وماستهدف له من المشوهات ، وقد تكلمت عن ذلك بما فيه الكفاية .

ثم يواجهنا فصل سياقة الباب (ص ١٧) وقد رأيناه من قبل فى (نبذه النذر) ومع التطابق التام فى الأسماء الواردة فى كلتا المجموعتين ، لم تخل الصِّيَغ من اختلاف مردُّه إلى أسلوب التعبير ، ثم إلى زيادات يسيرة فى عبارات الدعاء التى يختم بها الفصل .

ونطالع بعد ذلك فصلا عن (ظهورات الباب) (ص ١٧) « .... وأتوسل إليك يامولاى فى أسامى ظهورات الباب باب الله العظيم ، باب الهابلية ، باب الشيشية ، باب اليوسفية ، باب اليوشعية ، باب الآصفية ، باب الشمعونية ،

باب الحيدرية ، باب السرمدانية ، باب السريانية ، باب النورانية ، باب الأزلية ، باب الفطرة ، باب القدرة ، باب الصمت ، باب النطق ، باب الكسوف ، باب الخسوف ، باب الأزلى ، باب الفاضلى ، باب البهمية ، باب الرجمة وسراج الظلمة ونزول النقمة ، باب الهدى ومهلك العدى ، باب الإيمان | ومنزل القرآن ، باب الشفاعة ، باب الطاعة وعنده علم الساعة ، باب الأفلاك ، باب الأملاك ، باب السكون ، باب الحركة ، باب النجاة ، باب الحياة ، باب الهداية ، باب النهاية ، باب العجايب والغياهب ومسير الكواكب ، باب الفتق ، باب الرتق ، باب الخلق وهو خالق الخلق ، وهو صاحب الرعد والبرق وهو أبو شعيب[1] الذى تشعبت منه جميع الأنوار ، وهو يائيل ابن فاتن الذى فتن العالم ، وهو صلبوت الذى ركب عليه المسيح ابن مريم ، وهو ديك العرش ، وهو سفينة نوح ، وهو روح الأرواح ، منجنيق إبراهيم ، وهو عصا موسى ، وهو حبل يوسف ، وهو دلويوسف ، وهو جب يوسف ، وهو صاع يوسف ، وهو جبل قاف ، وهو جبل طور سيناء ، وهو البحر المحيط ، وهو الكنز وهو الجدار ، وهو خاتم سليمان ، وهو عرش بلقيس ، ست المعانى ، وهو الكوكب الطلس الفاس ، وهو الكسوف ، وهو الخسوف ، وهو الرجوف ، وهو راكب على أسد من نور ، وبيده ذو الفقار مشهور ... وهو رافع الخضرة ، وداحى الغبرة ، وبيده الموت والحياة ، وهو ظاهر بالسليلة والربوبية ، وهو سلسل وهو سلسبيل ، وهو جابر وهو جبرائيل ، وهو الدليل وهو الطريق ، وهو المخصوص بالخمسة الأيتام الكرام ، وهو باب الهدى والإيمان ، هؤلاء الأسامى وفضائلها ونظائرها واقعة على الحجاب ، وفوض أمرها إلى الباب ... »

هذه قائمة الأبواب لا هدف لها إلا أن تقرع سمع الأتباع المحدودين بسيل من الطرقات الغريبة ، من شأنها أن توحى برهبة المجهول ، وهذا وحده كاف للاستئثار بقلوبهم وأذهانهم ! . وفى بقية (المعروضات) مالا يقل غرابة عن أبوابها ، على أن أغرب مافى هذه القائمة جميعا هو ذلك الخلط فى اختصاصات الأقانيم .. فأنت تتوقع أن يكون الفصل حديثا عن ظهورات الباب فى أدوار الزمان ، ولكنك لا تلبث أن تفاجأ بهذا الإغراب فى تحديد اختصاصه إذ تجده (راكبا على أسد من نور وبيده ذو الفقار المشهور) وكان معروفا أن هذا من

(١) انظر الكلام على (الرقوة المجربة) وهناك تعطى هذه الصفة لعلى وحده وكذلك (قداس الإمامية) ...

خصائص المعنى دون حجابه وبابه - عند القوم - وقد رأينا جزءا كبيرا من رسالة الشيخ الكلازى المسماة (تنزيه الذات) ... منصبا على نفى أمثال هذه التداخلات فى وظائف الثلاثة وصفاتهم ... ولا أستبعد أن يكون ذلك من رواسب الانحرافات ، أو التطورات ، التى بدأت منذ القديم على يد ذلك الذى يسميه الشيخ الكلازى وغيره بأبى دهبية ! ..

وننتقل الآن إلى الفصل التالى ، وهو هنا كأكثر صور المجموعة الثالثة بغير عنوان ، ولكن فى مدخله مايفيد أنه تقرير فى (أسامى الاسم) وهو يقابل فصل (أسماء الاسم الأعظم) من (نده النذر) ... إلا أنه يخالفه فى طريقة العرض ، فبينما هو فى (ندة النذر) يبدأ هكذا .. (أتبدىوأتوسل إليك يامولاى فى أسماء الاسم الأظله وهم .....) تراه هنا مبدوءا بما يلى (ص ١٨) = «اللهم أتبدى إليك وأسألك وأتوسل إليك يامولاى فى أسامى الاسم فى ...)

ويستمر هكذا فى التعداد على غرار (نده النذر) دون اختلاف فى الإخراج .. ثم يعقب هذا ثلاثة فصول صغيرة أولها (توسل فى الاسم فى اصطلاح اللغة) والثانى فى (أسامى الأزلات المثلية) ثم ثالث فى (أسامى مولانا المهدى وكناه ولقبه) وقد مر بنا بعض النماذج لهذه الجداول عند الحديث عن المجموعة الثانية ، فلا حاجة للوقوف عليها هنا ... ويلى هؤلاء الفصل الخاص بأشخاص الصلاة ، وهو يحمل التفسير نفسه الذى عرضناه للصلاة فى المجموعة الثانية تحت العنوان نفسه .. على أنه فى المجموعة الثالثة يحمل طرائف أخرى لم تقرأ هناك ، وبخاصة فى تعليله لبعض المصطلحات كقوله فى وصف صلاة المغرب (ص ٢٣) « ... وشخص صلاة المغرب وهو مولانا الحسن إليه التسليم ، وهو العشاء الأخير ماتركها النبى فى سفر ولا فى حضر..وهىالوسطىالتىأمر الله بالمحافظة عليها ... كل ذلك إعظاما وإجلالا للسيد الحسن ، لأن أول ظهوره فى سطر الإمامة كان به ، وقد سئل مولانا الصادق ... أيهما أفضل الحسن أم الحسين ؟؟؟ فقال = كلاهما بالفضل شيئا ، إن الحسين إمام الحسين ، وهما حسن بدء الظهور به ، وهو الرحمن الرحيم الحسين » ولهذا قيل إنهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من صاحبه ، ولهذا سمى المغرب ، لأن الاسم غرب فيه وغيبه المولى ، وظهر كمثل صورته الحسية لما شاء أن يظهر للعالم بغير الصورة الأنزعية ، والعتمة بشخص السيد الحسين علينا سلامه ، فسمى العتمة لما عتم

الخلق التكوس من الظلمة ، وقولهم إن مولانا الحسين قتله عمر بن سعد .. جل ربنا وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ... » .

ثم يقول فى توكيد الأهمية بمجرد معرفة هذا المصطلحات (ص ٢٤) « ... وهذه هى الأشخاص الخمسة التى هى الصلوات ، وهى التى فرضها الله تعالى عليك معرفتها ، فإن عرفت تمام الأشخاص الأحد والخمسون التى ذكرناها ، وعملت بها ظاهرا وباطنا فذلك خيرا تمهده لنفسك ، وإن قصرت فما لك فسحة فى التقصير فى معرفة هذه الأشخاص والقيام بمفترضاتها .... »

ويعقب ذلك بضعة أسطر تسرد بعض صفات الله المعروفة ، وتقابل مثلها فى المجموعة الثانية بعنوان (أسماء الصفاتية) .

وهنا نقع على فصل صغير آخر شديد الطرافة ، لأنه يحدثنا عن أسامى الأقاينة الثلاثة فى القباب - الظهورات الجانّية - بتشديد النون - استمع إلى هذا الكلام العجيب (ص ٢٥) « .. وأتوسل إليك فى أسامى المعنى والاسم والقباب فى القباب الجانية ، أول قبة قبة الجن ، فكان المعنى فقط والاسم شيب ، والباب جداع ، والضد رويا لعنه الله تعالى ، وثانى قبة قبة البن ، فكان المعنى هو مس الهرامسة ، والاسم مشهور ، والباب أرزيا ، والضد مكسور لعنه الله .... وثالث قبة قبة العلم ، فكان المعنى أخنوخ ، والاسم ذو قنا ، والباب ذو أفقها ، والضد مشكا لعنه الله ... ورابع قبة قبة الروم ، فكان المعنى أزدشير ، والاسم شردمة ، وقباب هندمة ، والضد عطوفان لعنه الله ، وخامس قبة قبة الجن ، فكان المعنى درة الدرر ومعدن الصور ، والاسم ذات النور ، والباب مشاذيا ، واليتيم صاديا ، وكانت خالية من الضد ، وسادس قبة قبة الجان ، فكان المعنى البر الرحيم ، والاسم يوسف ابن ماكان ، والباب أبو جاد ، والأيتام = هوز حطى كلمن شعفص قرشت ثخذ ضظغ ، والوليان ، والضد عزرايل لعنه الله ... وسابع قبة قبة اليونان ، فكان المعنى أرسطاليس ، والاسم أفلاطون ، والباب سقراط ، والأيتام = بقراطيس وجالينوس ، والضد سفسطا والدرنيل لعنه الله .

ولعلك لاحظت التناقض الذى جمعه هذا التعداد الفريد من نوعه ، فقد أعلن فى مطلع الفصل أنه خاص بأسماء الأقاينة الثلاثة فى القباب الجانّية ، ولكنه لم يلبث أن خلط الجن بالبن بالطم باليونان ... إلا أنه على كل حال تناقض ظاهرى لا

يعجزهم تسويفه فى الخلوات ، إذا وجد هناك من يجرؤ على الاستفهام ! . .

ويلى هذا فصل صغير من أشباه المناجيات التى تعتمد على سرد الصفات والأسماء ، إلا أنه خاص بالمعنى ولا يخلو من الطريف الظريف ، فعلى هو (ص ٢٦) الفرد الصمد العلى الهيولى مغيث ... عين اليقين ، غاية الغايات ، نهاية النهايات ، مؤبد الأبد ، مؤزل الأزل ، حيا ذرى ، حيا درا (؟) الحى القيوم ... هابيل شيث يوسف ، يوشع ، آصف ، شمعون الصفا ، حيدرة الأنزع البطين ، أمير المؤمنين ....) .

والطريف فى الفصل التالى حديث التجليات التى أشرقت فيها أنوار أمير المؤمنين على مدى الدهور والعصور .. اقرأ من ذلك قوله (ص ٢٦) = (الست تجليات الذى تجلى بها مولانا أمير المؤمنين عز عزه وجل جلاله ، أول تجلى كان على جبل قاف ، وثانى تجلى كان على جبل فاران ، وثالث تجلى كان على جبل طور سينا ، ورابع تجلى كان فى الشجرة ، وخامس تجلى كان فى نار موسى الهائلة مقبلة القرابين، وسادس تجلى كان فى النور ذات الكمال ...)

أما الثلاثة التجليات الأولى فهى من التعابير المقدسة فى أسفار أهل الكتاب ، وفيها إشارة إلى رسالة النبيين الثلاثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، وتبقى بعد ذلك الثلاثة الأخر التى ماأنزل بها من سلطان ، ولكنها من (الوحى) الخاص بالحسين بن حمدان ! ..

وتتابع بعد ذلك فصول متشابهة ، عرفنا بعضا من مضامينها فى المجموعة الثانية ، وهى جميعا تسبيح وتحميد وتمجيد لأمير المؤمنين ، وفيها كثير من الألقاب الجديدة بالنسبة إلى مارأيناه حتى الآن ، وسأكتفى بنقل نتف من هذه الزوائد ..

فى أحد هذه الفصول ينقل عن ما يسميه (كتاب الهداية الكبرى)[1] من رواية الحسين بن حمدان مجموعة من ألقاب على منسوبة إلى مختلف لغات البشر حتى ينتهى إلى قوله (ص ٢٧) = (.. أمير المؤمنين وهو اللقب الأعظم الذى خصه الله به وحده ، ولم يتسمى به أحد قبله ولا بعده ، إلا كان مأفونا فى عقله ، ومأبونا فى ذاته ، وسمى أمير النحل والنحل هم المؤمنين .. وأما أسماء

(١) أحد مؤلفات الخصيبى الحسين بن حمدان = انظر (الأعلام) و(لسان الميزان) و(أعيان الشيعة) ..

مولانا ..... التى هى له خاصة ولا يجوز أن يتسمى بها أحد غيره ولا يتهل بها بالدعاء إلا إليه فى = المعنى والأول والفرد القديم والأحد الصمد والعلى ، معنى المعانى رب المثانى ، نهاية النهايات ، غاية الغايات ، معلل العلل ، إله الآلهة ، مؤزل الأزل ، مؤبد الأبد ، حليدرى ، حيلدرا ، الحى القيوم ، أمير المؤمنين ، العلى العظيم ...).

وفى فصل تال تقرأ فى تأليه على هذا الإقرار الذى أسلفنا الكلام على مثله (ص٢٩) = (... مخترع السيد محمد من نور ذات وحدانيته ، وأنزعية صمدانيته ، وجعله نورا منبجسا من جوهر معنويته ، فسماه محمد حين ناجاه ، ١
وحركه من سكونه واصطفاه ..... وقال له كن مسبب الأسباب ، ومبوب الأبواب ، فعندها الحجاب خلق الباب ، ..... وأمره أن يخلق العوالم العلوية والعوالم السفلية .....)[1]

ومن هنا ننتقل إلى (خطبة الطالقانية) التى طالما أشار إليها شيوخهم كأحد المصادر الهامة لتعاليمهم ولكنك لست واجدا فيها سوى ماألفته فى سواها من التحميد والتمجيد والتوسل.. إلا أن فى عباراتها من الرصانة والفصاحة مايقل عادة فى مخطوطاتهم....

وبعد هذه الخطبة يطالعنا (توجيه الصلاة) وقد مر بنا أشياء منه فى الحديث عن محتويات المجموعة الثانية ، فلا حاجة إلى إعادة الكلام بشأنه ، وسنكتفى بذكر أجزائه هنا ، ثم نقف قليلا عند بعض زوائده التى لم نقع على مثلها من قبل ...

يتألف موضوع (توجيه الصلاة) من الأجزاء التالية بالتتابع = توجيه الصلاة ٣٢ – ٣٤ ثم قداس الإشارة ٣٤ – ٣٦ ثم قداس عبد النور ٣٦ – ٣٨ ثم سر الإمام ٣٨ – ٣٩ ثم سر أولاد الشيخ الأحد والخمسين ٣٩ – ٤١ ثم قداس البخور ٤٢ – ثم المبايعة ٤٢ – ٤٣ ثم قداس الأذان ٤٤ – ٤٥ وبذلك تنتهى أجزاء التوجيه .

والجديد فى هذه العنوانات أن بينها ما لا وجود له فى المجموعة الثانية ، فلقد نبه الإمام هنالك إلى ضرورة قراءة الإشارة ، دون أن يثبت نصها ، بينما نقرأ هنا نص

---

(١) اقرأ تذييلنا ص ٧٠ ....

الإشارة كاملا ، وكذلك اكتفى التوجيه الأول بالإشارة إلى أولاد الشيخ دون تحديد أسمائهم وأقسامهم ، وهنا نقرأ أسماءهم وهوياتهم فى قداس خاص ، ثم نجد نصوصا تامة لقداديس أخر لا نجد لها نظائر من قبل ، مثل البخور والمبايعة والأذان ، هذا فضلا عن قداس الإشارة المار ذكره ، وقد أفرد عبد النور – الخمر – بعنوان قداس خاص فى هذه المجموعة ، بينما أدرج ضمن غيره فى المجموعة الثانية .

وإذاً فقد بات علينا النظر فى بعض مااختصت به هذه النسخة من موضوع التوجيه ، ونبدأ بالإشارة لنقول = إن فيها مايستحق النقل ، لأنها سرد محض لصفات إلٓهية منسوبة إلى على ، ثم اعترافات مألوفة بمبادئ العقيدة ، معتمدة على شهادات الأولين السابقين من كبار المؤمنين كالحسين بن حمدان ، وشيخه الجنبلانى ، ثم محمد بن جندب يتيم – بتعبيرهم – أبى شعيب (الذى شعب الأديان فى سائر البلدان) .....

فإذا نظرنا فى قداس البخور وجدناه يكبر من البخور ويعتبره عنصرا لابد منه للفوز = (ص ٤٢) الحمد لله على باطن البخور ، وريحه تدور ، فى حمل الفرح والسرور ، إن السيدة مريم القدسية كانت تطهر بكرة وعشية ، وفى يدها مجمرة صغيرة معلقة فى سلسلة من زمرد خضره تبخر بها عبد النور = الخمر – ... أيها المؤمنون بخروا أقداحكم ، وبخروا أعمالكم ، تنالوا فى ذلك الفوز والهنا والعز والسنا ، وقولوا بأجمعكم = الحمد لله الذى نوره تام علينا وعلى جميع إخواننا المؤمنين « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم ... » اللهم إنى أسألك يامولاى بحق هذا قداس البخور ، وبحق الغيبة والظهور ، وبحق البرابن مغرور (؟) وبحق أبو الطاهر سابور ، وبحق مشكاة النور ، وبحق عيد عاشور ، وبحقك على خلقك ياعزيز ياغفور ... الخ

ونحن عندما نذكر أهمية البخور فى العبادات الهندية وعند أهل الكتاب ، ثم نرى هذا الاهتمام به هاهنا بحيث يستحق أن يخصص له قداس معين ، نتذكر ما ذهبنا إليه من تقرير العلاقة الوثيقة بين هذه التعاليم الباطنة ومصادرها الهندية والكتابية بوجه خاص ، وكان الغرض منها فى المعابد الهندية غمر الحضور بجو من الخدر يساعد على الانخطاف .

وقد أصبحت من شعائر النصرانية أثناء أداء الطقوس فى الكنائس . وأرى فى إيرادهم للآية الكريمة (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم ...) مايفسر اهتمام القوم كذلك بالريحان فى محافل العبادة ، إذ كثيرا ماتلح نصوصهم المقدسة عليه ، وعلى الاحتفاظ بالوقار أمامه ، حتى لا يكاد يفارق هو وعبد النور - الخمر - اجتماعا دينيا لهم ! ...

أما (المبايعة) فهى كذلك مجموعة من الاعترافات والتقديسات والإقرارات ، بألوهية على بن أبى طالب (صاحب الأربع بيعات ، بيعة الدار ، وبيعة الخيزران ، وبيعة أم سلمة ، وبيعة باطن خم يوم عيد الغدير ...) « أخذت من يمينك ، الله يدبرك ويعينك ، على أمور دينك ، سر البيعة ومن باع بهذه البيعة لولاية مولانا أمير المؤمنين ... » .

وبختام المبايعة يأتى (قداس الأذان) . وهو لتعليم المؤمنين كيف يقفون من الأذان ، وماذا يجب أن يفيدوا منه ، وماذا يقولون عند سماعه (ص ٤٤) = إذا قام مؤذن فى القوم يؤذن إلى أن بلغ فى أذانه ، فيقول = أشهد أن لا إله إلا الله مولاى على ، ولاحجاب إلا السيد محمد ، ولاباب إلا السيد سلمان ، فى كل عصر وزمان ... حيا على الصلاة معاشر المؤمنين تتصلوا بالله مولاكم على أمير المؤمنين ، تتخلدوا فى جنة النعيم ، تصبحوا آمنين مطمئنين ... حى على الفلاح تفلحون وتخلصون من كثاف الأبدان وظلمة الأعمال ، وتسكنوا فى جوار الرحمن ، حى على خير العمل الذى تنالوا به الفوز والأمل ، وتعاينوا به الجليل فى مقام مولاكم العلى الأعلى الكبير . الله مولاكم أكبروا على من تجبر ، حمدا لا يرام وعزيزا لا يضام ، لا إله إلا هو العلى الكبير ... »

ولايهمل القداس أمر عبد النور فهو يؤصله ويعلله إذ يقول (ص ٤٥) « اشهدوا يامؤمنين أن هذا شخص عبد النور خلال لكم معكم ، حرام عليكم مع غيركم ، وأشهد أن النور محمد ، والعبد سلمان ، فلهذا سمى بعبد النور ..... » .

وهذه أول مرة تقرأ فيها هذا التخريج لنسب عبد النور ، فالنور فى رأيهم محمد ، وسلمان العبد ، وإذن فليس عبد النور فى زعمهم سوى سلمان ! .

وعندى أن لهذا التخريج علاقة وثقى بالموضوع (التقدمة الكنسية) التى

تجعل من مستلزمات العقيدة اعتبار الخمرة دم المسيح ، والخبز المقدس جسده ، فالمتناول الخمرة والخبز المقدسين إنما يتناول دم المسيح وجسده على الحقيقة التى لاتقبل جدلا ! ....

والآن نعود إلى أولاد الشيخ الأحد والخمسين ، هؤلاء الذين كثيرا ما تعثر بالإشارة إليهم فى مخطوطاتهم فتود لو يجمعك القدر بهم ، لتتعرف قصتهم ومهماتهم وجنسياتهم ! ..

لقد عرفت من (النده النذر) فى المجموعة الثانية أن هؤلاء ثلاثة أقسام عراقيين وشاميين وخفيين .... والآن اقرأ معى تفصيل أمرهم (ص ٣٩ – ٤٠) « ... ويشر الإمام سر أولاد السيد أبى عبد الله الحسين بن حمدان العراقية ، أولهم رستباش الديلى ، وأبو الفتح ابن يحيى النحوى ، وأبو إسحق إبراهيم الرفاعى ، وأبو عبد الله الجنبلاوى ، وعلى ابن الدكش ، وأبو الحسن على ابن عيسى الجسيرى ، وأبو الطيب المنشد ، وخضر بن مزيد ، وأحمد كان ، وزيد ضراب الذهب ، وزريق الخواص ، وأبو محمد يزيد بن شعبة الحرانى ، وأبو الحسن على ابن أبى الشريف ، وأبو القاسم ابن شعبة ، وأبو طالب النصيبى ، وأبو الحسن على ابن جعفر البزاز الموصلى ، وأبو محمد النهاوندى ، ورأس الكبير ، وأبو الحسن العسلى السكرى ، وأبو القاسم جعفر ابن النيسابورى ، وأبو الحسن محمد الكوفى ، وأبو الفتح محمد بن أبى طالب النعمانى ....

سر أولاد الشيخ أبى عبد الله بن الحسين بن حمدان الشامية الذى أوله أبو الحسن البشرى ، ويونس البديعى ، وهارون القطان ، وأبو الليث الكنانى ، وأبو محمد طلحة ابن مصلح الكرفتونى ، وأبو الحسن محمد ابن أبى على الجلى ، وأبو الحسين ابن بطة ، وهارون الصايغ ، وأبو حمزة الكنانى ، ودانيال مطيب ، وأبو الدر الكاتب ، وعمار الوحيدى ، وأبو طالب الطباطبى ، وأبو القاسم العباس ، وأبو سعيد ابن معدن ، وأبو القاسم الشيبانى ، وأبو محمد عبد الله ابن على الشريف وشارباريك العجمى ، وأبو الطاهر العلوى ، وأبو محمد الطوى ، وأبو الحسن الطوسى الصغير ، وأبو الفتح الموصل العجان ....

سر أولاد الشيخ أبى عبد الله ... الخفية . أولهم سيف الدولة ، وناصح الدولة ، وصفى الدولة ، ومعز الدولة ، وثابت الدولة ، وناصر الدولة ،

وهلال الدولة ، وفارس الدولة ، وركن الدولة ، وكريم الدولة ، وراشد الدولة ، وسعد الدولة ، وناهض الدولة ، وعصمت الدولة ، وأمين الدولة ، وزخر الدولة ، وكنز الدولة ... اللهم اني أسألك بحق هؤلاء تلاميذ شيخنا وسيدنا أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي ....

على أن (حساب القرايا لم يوافق حساب السرايا) كما يقول العامة ، فالأحد والخمسون قد بلغوا هنا واحداً وستين اثنين وعشرين عراقيا ، ومثلهم شاميين ، ثم سبعة عشر خفياً .... فمن أين جاء هذا ؟ ... هل القوم لا يحسنون الحساب ، أو أن فى الأمر سرا باطنيا يجعل الـ ٦١ = ٥١ . ؟ .... حقاً إن هذه عملية من الجبر الذى لا تدركه العقول الظاهرية الصغيرة ... كما سمعت من أحدهم مساء أمس وقد قلت له = أليس مهينا لإنسانيتك أن تؤله عليا وهو مثلك من لحم ودم ، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق .. فأجاب = هذا رأيكم فى على ، أما نحن فنؤمن من أنه لم يره أحد قط ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينكح قط ! ..

ومهما يكن ففى نسبة هؤلاء إلى الشيخ بصفة أولاد روحيين ، أو تلاميذ دينيين ، ما يبعث على التساؤل = ألهم وجود فى الوجود ، أم هم مجرد أوهام اخترعتها الأحلام ! ....

أما أنا فلا أستبعد أن يكونوا أعضاء جمعية سرية ألفها الشيخ الخصيبى لبث الدعوة النصيرية ، وتحضير الانقلابات السياسية ، فى مختلف أنحاء الدولة الإسلامية ، وبخاصة العراق والشام ..

كما أننى لا أستبعد أن تكون هذه الأسماء مجرد اصطلاحات لا يعرف أصحابها الحقيقيين سوى الشيخ والمقربين ، أو لعل هذا على الأقل بالنسبة إلى الألقاب المضافة إلى الدولة والمنسوبة إلى الخفاء ، فقد يكون هؤلاء السبعة عشر من التشكيلات الخفية فى الأوساط العسكرية الإسلامية ، أو الأوساط الإدارية العليا ، ممن وكل إليهم إعداد المؤامرات التى انتهت أخيرا بالقضاء على دولة الإسلام على يد الوزير العلقمى ونصير الدين الطوسى[1] ... فى حملة هولاكو ... أما بعض الأسماء المعروفة كسيف الدولة ونحوه ، فلعلها أقحمت

(١) اقرأ قصة هذين الباطنيين وأثرهما فى سقوط بغدا ومصرع مليونين من المسلمين هناك فى كتاب (حياة ابن تيمية) للأستاذ الشيخ بهجة البيطار وكتاب (روضات الجنات) للميرزا محمد باقر .

للتعمية ، أو للدعاية حتى يستيقن النصيرى أن طائفة من كبار الرجال تشاركه فى هذه النحلة وإن كانت لا تتظاهر بها ..

وهنا نشرع فى الحديث على بقية المجموعة الثالثة =

هذه البقية تمتد من وسط الصفحة (٤٥) حتى نهاية القسم الأول (ص ٥٠) وهى صورة تامة أو شبه تامة للمراسم التقليدية التى تعلم المسؤولين عن نشر الدعوة كيف (يكرسون) الداخلين فى عهد الدين .. ولقد عرضنا من هذه المراسم مافيه الكفاية فى فصل (مسرحية التكريس) من القسم الأول ، فلا ضرورة لإعادتها أيضا ، وحسبنا أن نذكر القارئ أن روح الموضوع واحدة فى كل ما يتداوله الشيوخ بالنسبة لهذا التقليد ، وإنما تتفاوت الصيغ والأشكال – أحيانا – مع المحافظة على لب الفكرة التى هى تطويع المريد ، وإعداده روحيا لقبول الأسرار ، بالوسائل التى تراها هيئة المشايخ – وبخاصة الإمام – كفيلة بتحقيق المراد ...

ومما يلفت النظر فى هذا القسم من المجموعة الثالثة ما يلاحظ من الترتيب الذى لم تعن بمثله المجموعتان السابقتان ، فقد قسم موضوع العهد الدينى قسمين سمى الأول (عقاد الأولاد) والثانى (الدخول) وفى الصيغة الأولى مايشير إلى معنى العقد الذى تفتتح به حياة الداخل ، الذى كان قبله فى حكم الطفل كائنا ماكانت سنه ... وكأن هذا الجزء مدخل تمهيدى للمرحلة الثانية التى هى (الدخول) ... ولنلق الآن نظرتنا الأخيرة على الصفحات الثمانى التى تؤلف القسم الثانى من هذه المجموعة ....

لا عنوان فى هذا القسم على الرغم من تجزئته إلى ستة عشر جزءا ، يبدأ كل منها بالبسملة ، وهى بأجمعها متشابهة من حيث كونها ترديدا لمفهوم واحد ، هو هذا الغلو فى تقديس أمير المؤمنين ، والتصريح بألوهيته دون أى غموض ! ..

والطابع البارز فى معظم هذه الأجزاء يدل على كونها أورادا شخصية يتلوها الفرد خاليا فى أوقات معينة ، أو مناسبات خاصة ، فهى والحالة هذه ، لاتقدم إلينا شيئا هاما يستحق التفصيل أو التسجيل .

على أن ثمة جزءا يلوح عليه طابع الجماعية إذ يبدأ بما يلى (ص ٥٧) = « ..

أشهد على هؤلاء السادة الحاضرين أن على ابن أبى طالب إلهى وإلهكم ... »

ثم جزء آخر كتب فى أعلاه (رقوة مجربة) ولا ميزة له على سواه ، من حيث القدر المشترك الذى هو الإقرار والإشهاد على كون القارئ قائما على عهد العقيدة الخصيبية ، لا يعتريه تحول ولا شذوذ قائلا (ص ٥٦) « .. أشهد أنى شيعى الدين ، خصيبى الرأى ، وأشهد وأقر بالرجعة البيضا ، والكرة الزهرا ، وكشف الغطا ، ظاهر مولاى من عين الشمس ، وقابض على كل نفس ، وذو الفقار بيده ، والأسد من تحته ، والسيد محمد بين أياديه ، والماء ينبع من بين قدميه ، والسيد سلمان قدامه يسبح وينادى ويقول = هذا إلهكم فاعبدوه ومجدوه ووحدوه .. » وقد مر بنا قبل يسير شئ من هذا الاعتراف ....

ولعل من أهم ما فى هذه الصفحات بعد ذلك ما انطوى عليه جزؤها الرابع من تاريخ لتلقى الناسخ سر الدين ، وتعيين الشيخ الذى أخذ عنه ، ومن وراءه من سلسلة المشايخ ، حيث يقول (ص ٥٢) = أول سمعى من شيخى وسيدى الذى أنعم على كما أنعم الله عليه بمعرفتى عن (عمس) شهادة أن لا إله إلا مولاى أمير النحل ، ولا حجاب إلا السيد محمد ، ولا باب إلا السيد سلمان ، ولا ملايكة إلا الخمسة الأيتام الكرام ، ولا رأى إلا رأى سيدنا وشيخنا أبى عبد الله الحسين بن حمدان ! .. أول سمعى من سيدى حيدر رحمة الله عليه وعلى والديه ، ألقى على هذا السر العظيم سنة ألف وثلاث مئة وأربعة وأربعون ، وسمع حيدر بن خليل ابن حسن ، من سلمان بن يوسف ، من عيسى فتوح ، من على بن عيسى الجسرى ، من شيخنا وسيدنا أبى عبد الله الحسين ابن حمدان الخصيبى ، من شيخه وسيده أبى عبد الله ابن محمد الجنان الجنبلانى العابد الزاهد المعروف بالفارسى ، من محمد ابن حيدر يتيم دين الأكبر من السيد أبى شعيب محمد ابن نصير العبدى البكرى النميرى ، الذى هو باب وحجاب لمولانا الحسن الأخير العسكرى ، منه السلام وإليه التسليم ، منه بدأ الحسب والنسب وقام الدين ... سر إخوانى الحلبيين والجسريين سرهم أسعدهم الله أجمعين ....

ففى هذه القائمة من أسماء الشيوخ صورة دقيقة من (التحقيق الوثيق) الذى تقوم عليه عقيدة القوم ، إذ يكفى لصحة الرواية مثلا أن تنسب إلى حيدر وخليل وحسن و .... أما من هؤلاء ، وما وزنهم من العلم والأمانة فهذه الأسئلة لا محل لها فى هذا النظام المغلق ! ...

وآخر ما يهمنا منها هو نهاية تلك القائمة ، إذ ترينا الأربعة المؤسسين ومنزلة كل منهم بالنسبة إلى الآخر ، فالحسين بن حمدان أخذ عن الجنان الحنبلانى ، وهذا أخذ عن محمد بن حيدر ، الذى أخذ بدوره عن محمد بن نصير الذى إليه تنسب ديانة القوم ... بيد أن ثالثهم ، وهو محمد بن حيدر يكاد يكون من المجاهيل ، لقلة مايذكر فى سلسلة رجالهم ، ومأذكر أنه مر بى فى أية من هذه المجموعات الثلاثة ولا سواها .... ثم لا ننسى أن هذا النصير النمرى الذى ترجع إليه الملة ، لا يكاد أثره يذكر بالقياس إلى ما تركته تعاليم الحسين بن حمدان الخصيبى فى نفوس القوم حتى اليوم . فأين نصير صاحب الإسم من ابن حمدان صاحب الدين (ومشعب الأديان فى سائر البلدان) .. ومنزلته فى النصيرية كمنزلة بولس فى النصرانية .

ولقد وعدت القارئ بإثبات (سورة المسافرة) فى نهاية هذا العرض فليقرأها الآن فيما يلى « سبح لله مافى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ، أصبحنا وسبحنا ، وأصبح الملك لله ، وسبح الملك لله .. باسم الله وبالله وسر السيد أبى عبد الله – الخصيبى – سر الشيخ وأولاده المختصين الشاربين من بحر (ع م س) فهم واحد وخمسون ، سبعة عشر عراقيا ، وسبعة عشر شاميا ، وسبعة عشر مخفيا .. وهم واقفون على باب مدينة حران يأخذون بالحق ، ويعطون بالحق ومن يدين بديانتهم ويعبد عبادتهم ، وفقه الله إلى معرفته ، ومن لا يدين بديانتهم ، ويعبد عبادتهم فعليه لعنة الله بسر الشيخ وأولاده المختصين ... أسعدهم الله أجمعين .... » .

وأنا لا يهمنى من كلمات هذه (السورة) سوى ذكر مدينة (حران) التى عرفت فى التاريخ ، وتاريخ الإسلام بوجه خاص أنها عاصمة الصابئة ، وتلك النحلة التى يقال أنها بقية من أتباع نبى الله إبراهيم (ع) انحرفت إلى التجسيم فالوثنية وامتازت وثنيتها بقيامها على أسس فلكية تثبت لبعض الكواكب أرواحا وإرادات وتأثيرات كونية ! ...

ونحن إذا ما لاحظنا هذا التلاقى بين كلتا النحلتين النصيرية والصابئة ، من حيث الإقرار بحياة الكواكب وتأثيرها لا نستغرب أن تكون الصابئة أحد مصادر العقيدة النصيرية .. ولإقامة هؤلاء المختصين الواحد والخمسين فى باب

مدينة حران مغزى لا يقل أهمية عن وجود هيكل سليمان فى رأس الرموز الماسونية ...

ومع ذلك فنحن لا نريد القطع بشئ ، ولكننا نجد فى هذا مجالا للتعمق عن جذور الشعوبية فى جميع النحل الطارئة على الإسلام .....

وقبل اختتام هذا العرض نذكر القارئ بما أسلفنا الإشارة إليه ، عند تقديم النصوص السرية ، من أن بعض الناسخين يسمى بعض هذه النصوص بالقداس ، وبعضهم يسميه بالسورة ، وقد سبق أن ذكرنا أن السور عندهم ست عشرة ، والآن نجمل أسماءها فيما يلى ليميز القارئ بين السورة وغيرها فيما يطالع من هذه النصوص =
١ - الترابية ٢ - تقديسة ابن الولى ٣ - تقديسة أبى سعيد ٤ - سورة النسبة ٥ - سورة الفتح ٦ - سورة السجود ٧ - سورة السلام ٨ - سورة الإشارة ٩ - سورة العين العلوية ١٠ - سورة العقد ١١ - سورة الشهادة ١٢ - سورة الإمامة ١٣ - سورة المسافرة ١٤ - سورة البيت المعمور أو الطورية ١٥ - سورة الحجابية ١٦ - سورة التقية ...

بعد هذا العرض السريع للمخطوطات الثلاث نذكر القارئ أن لدينا عددا آخر من المخطوطات الصغيرة ، ولكنها لا تخرج فى مضمونها عن بعض مافى هذه أو تلك ، والراجح أنها نقلت من مثل هذه المجموعات لتعلق كتمائم ، أو ليحفظها المبتدئون فى الدخول إلى حرم الأسرار ، ومهما يكن من شئ ففى هذه المخطوطات ، حسب اعتقادنا ، صورة كاملة لأصول العقيدة النصيرية ، لا ينقصها أى عنصر رئيسى منها ، اللهم إلا ما طرأ عليها من شروح الشيوخ المحدثين ، وهى لا تتجاوز حدود الأسس التى أبرزناها من خلال هذه الدراسات .

وقد لاحظنا أثناء عرضنا لأكثر مضامين الفصول المدروسة أن التطور الجوهرى هو أقل الأشياء قبولا فى أوساطها الباطنية ، ولا غرابة لأن هذا نتيجة لازمة لطبيعة العزلة التى تعيشها هذه العقيدة منذ كانت حتى اليوم ، ثم لشئ آخر هو طبيعة الاختصاص الذى فرض على تلك الأوساط طبقة من الشيوخ ، احتكرت أسرار الدين بطريقة التوارث ، فلا سبيل لأحد إلى شئ منها إلا عن

طريقها وبمقدار ما تسمح له ، وهى فى الغالب طبقة اكتفت من الحياة الفكرية بالدوران ضمن حلقة مغلقة لا تكاد تطل على ما خلفها .. فهى تلوك ماانتهى إليها من تلك الأقاويل ، وتجهد فى حفظها وتحفيظها ، دون أن تُعنى بعرضها على أى محك . وحسبنا أن نذكر دليلا واحدا على ذلك هو هذا التشويه العجيب فى آيات القرآن ، وفى عبارات الحديث الشريف . ومع أن القرآن والحديث يعتبران من المراجع الأساسية فى موضوع العقيدة لدى هذه النحلة ، فإن أحدا من نساخ هذه المخطوطات لم يكلف نفسه عناء الرجوع إلى القرآن والحديث للتثبت من صحة الآية أو الحديث ! ..

وناهيك بنصوص الأخبار ، فقد رأيت كيف يعمد أصحاب هذه المخطوطات إلى رواية النبأ التاريخى الذى لا يعرف له أصل فى مراجع التاريخ ، دون أن يفكروا بالتحقيق فى سنده أو مصدره ... وإذا كان لهذا من مفهوم فهو أن القوم قد استناموا إلى ماورثوه من الروايات الشفهية أو المخطوطة ، واكتفوا بما فيها من آيات مشوهة ، وأحاديث ملفقة ، أو مرقعة ، وأخبار مزيفة ، إيثارا للحفاظ على (الأمانة) وتسليما لأقوال مقدسيهم من الشيوخ المتلاحقين وبذلك استبقيت تلك الآثار التى عرضنا لبعضها كما اتخذوها عن أسلافهم لم يعملوا بها نظرا ولم يسمحوا لأنفسهم بالشك فى شئ منها ، اللهم إلا ما اعتراها من سوء الإملاء ، أو لحن القول ، مما لا يستطيع الجاهل له ضبطا .. ونزعة التقديس لأقوال الشيوخ هى الطابع الثابت فى كل منظمة باطنية أو صوفية ، حيث يفرض على شخصية الفرد أن تذوب فى إرادة الشيخ حتى الفناء ، فلا نقد ولا رد ولا سؤال ، ولكنه تسليم مطلق ، وانقياد أعمى ... وقد رأينا من (عناصر) الصوفية فى تعاليم النصيرية ماأكد العلاقة بينهما ، باعتبار الصوفية هى أحد المصادر الهامة فى تلك الشطحات الباطنية التى تصور لك الكون مسرحا لأدوار يقوم بها رجال اختصوا بالأسرار الإلهية ، وتقاسموا وظائفها ..

وليس ثمة من فرق بين النحلتين من هذه الناحية إلا فى بعض الاصطلاحات ، فإذا كان للنصيرية معناها وحجابها وأبوابها وأيتامها و .... فللصوفية أيضا إيمانها بوحدة الوجود التى تجعل كل شئ صورة من الذات الإلهية ، ثم لها اتحادها وحلولها ، وماوراء ذلك من الأقطاب والأبدال و (الأغواث) وعشرات (المفوضين) من الصغار والكبار .. ولكل منهم اختصاصه ومهمته وتأثيره ...

وأنت لو قرأت (مواقع النجوم) وحده ، المنسوب إلى محيى الدين بن عربى ، لرأيت العجب العجاب من صور التشابه بين تصرفات الأبواب والأيتام والنقباء والنجباء وإخوانهم ، وبين تصرفات هؤلاء الأقطاب والأبدال الذين توزعوا مهمات التحكم بأعالى الكون وأسافله .... وطبيعى أن مثل هذا التشابه بين النحلتين لم يأت عن طريق التصادف ، وإنما هو وليد قرابة بعيدة العهد جمعت بينهما على وحدة المنشأ فى أحضان الشعوبية الأولى ....

قلنا إن التطور الجوهرى هو أقل الأشياء قبولا فى أوساط الباطنية ، معتمدين فى ذلك على ما لمسناه من وحدة الأصول الجامعة بين قديم المخطوطات وحديثها ، ونحن فى هذا لا نغفل الاختلاف الذى وقعنا عليه فى النصوص نفسها عند إيرادها فى أمكنة متعددة ، فقد لمحنا الكثير من ذلك ، وأشرنا إلى بعضه حيثما أمكن ، ومع أننا لاحظنا تفاوتا فى بعض التفسيرات الباطنية بين ناحية وأخرى ، كالذى وجدناه من إعطاء المعنى فى إحدى النسخ صفة (ركوب الأسد ظاهرا من عين الشمس ، قابضا على كل نفس ، وبيده ذو الفقار) ثم إطلاق الصفة نفسها على الباب فى مكان آخر .... كما أشرنا إلى ذلك فى ذيل النصين ....

مع كل ذلك فإن هذا الاختلاف أو التفاوت لا يمس الأساس الذى يؤكد وحدة الأصول ، ولكنه يدل فقط على أن هذه التعاليم قد اعتمدت أكثر ما اعتمدت على الخط الشفهى ، وهو وسيلة غير مأمونة للنقل ، لأن من طبيعة الذاكرة أن تحتفظ بروح الكل ، وكثيرا ما تفوتها التفصيلات الجزئية كالذى نجده فى رواية الشعر الجاهلى ، الذى كثيرا ما تتغير فيه بعض الكلمات بين رواية وأخرى ، مع العلم أن الشعر أسهل حفظا من النثر ، لما فيه من النغم الذى يساعد على الاحتفاظ بأصالة التعبير .... وإلى هذا يرجع كثير من الاختلاف الشكلى الذى عثرنا به عند المقابلة بين صور النص الواحد ، أو النص المتشابه ، لأن هذا الضرب من الاختلاف ظل مقصورا على الشكل دون المضمون ، وكثير منه كان يعود إلى تطور طريقة التعبير بين جيل وجيل ، فبينا نحن أمام أسلوب يحمل طابع الازدهار الأدبى فى عصره إذا بنا نفاجأ بألوان من الركاكة لا مثيل لها إلا فى أشد الأوساط بعدا عن الثقافة الأدبية .. وفيما يتصل باختلاف المضمون ، وهو جد نادر فمردُّه إلى خطأ الناسخ ، وهو فى الغالب من الجاهلين الذى لا يمتازون على من سواهم من العامة إلا بقدرتهم على فك الخط ورسم الحرف ! .. ومثل هذا لا

يملك القدرة على ضبط العبارة ، ولا التفريق بين مدلول وآخر ، وبخاصة إذا كان ثمة تشابه خفى بين المدلولين ..

ومرة أخرى نذكر القارئ بأن كل مايشاهده من لحن وركاكة فى هذه النصوص إنما هو بعض ما فى أصولها التى حاولنا المحافظة جهد الإمكان على وضعها الأصيل .

تطورات جديدة

لقد توافر للقارئ حتى الآن مايكفى لإعطائه الصورة الوافية عن عقائد القوم ، وما انطوت عليه من سذاجة وتعقيد يجعل حلها وقفا على الشيوخ المتخصصين بروايتها وتلقينها وشرحها . وقد شاء الله أن نظفر برسالة جديدة تضيف إلى مضمون المجموعات الثلاث مزيدا من المعلومات لا يستغنى عن الإلمام بها باحث فى هذه العقائد .

هذه الرسالة كتبها واحد من شيوخهم المعاصرين هو (وهيب بن الشيخ بدر بن الشيخ سلمان بن الشيخ إبراهيم غزال) من قرية (تلا) التابعة لقضاء الحفه من أعمال اللاذقية ، وقد جعل عنوانها (كتاب الطاعة والإيمان فى صيام شهر رمضان) ولقّب نفسه بأنه خادم آل محمد .

وآل غزال الذين ينتسب المؤلف إليهم إحدى الأسر المشهورة بين بيوتات المشايخ عند القوم ، فلهم منزلة ، ولكلمتهم وقع . ومما يضاعف الاهتمام بهذه الرسالة كونها إلى جانب توكيدها على أصول النصيرية ، تقدم طائفة من الأفكار الجديدة التى يمكن وصفها بالثورية . بل هى فى الواقع ثورة لاهية تهاجم الكثير من مفهوم المشايخ وتفند الكثير من تفسيراتهم المألوفه ، فيبدو مؤلفها واحدا من رواد الإصلاح فى أوساط المشايخ الذين استناموا إلى تقليد من قبلهم دون تدبر ولا تفكير .

تقع الرسالة فى إحدى وأربعين صفحة كبيرة ضربت على الآلة الكاتبة ، ثم سحبت على جهاز النسخ مما يؤكد أن مقادير كبيرة طبعت منها ، والنسخة التى حصلت لنا منها تامة الصفحات إلّا إثنتين هما الـ ٢٩ و ٣٤ .

بدأها المؤلف بالسملة ، ثم أعقبها بالتحميد لله (مادام فى سلطانه العظيم

وسبحان الله استماحة لغفرانه العميم ..) ثم انصرف إلى الصلاة والتسليم (على صاحب الشرف القديم ، والصراط القويم ، والقلب السليم ، صاحب قول جليل حكيم/ لا إله إلّا المعنى القديم ، ولاحجاب إلّا الاسم العظيم ، ولا باب إلّا السين الكريم ..) ومن ثم يأخذ فى تمجيد (أولى الألباب والتفكير ، الذين نجوا من ضلال رجالات التقصير بروية وحسن تدبير ، أولئكم عرفوا القدرة بالقدير ، والبشرى بالبشير ، فلبوا دعوة النذير ، ويافوز من لباه وآمن به وما عصاه ، حين صرح إلى مولاه ، وغاية قصده ومعناه قائلا : اللهم من كنت مولاه فعلىّ مولاه ومعناه ، لا إله سواه ، ولا معبود إلاه ، ولا أحب إليه من نبيه ومصطفاه ، الذى من نور ذاته سوّاه ، وفوضه وحباه ، فخلق السين وسمّاه ، وأنعم عليه فأعطاه ، فاختص السين باليتيم وارتضاه .. ثم كانت المراتب الجليلة ، الصفوة النبيلة ، بين صاف وناجى ، ونورانى ومزاجى ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ..)

وهو بهذه السجعات الكهنوتية يقدم لرسالته فيجعل من هذه المقدمة المشحونة بالأصول المتفق عليها من قبل الشيوخ جميعا ، مرتكزا ينطلق منه إلى دعوته الإصلاحية ، التى من شأنها أن تهز البناء الذى يأوى إليه أولئك الشيوخ فتدفعهم للدفاع عن طرائقهم بكل ماأتوا من قوة ، ولكن ماتذرع به من هذه الأسس كفيل بتحطيم الكثير من أسلحتهم لأنه سيجعلهم عاجزين عن اتهامه بالخروج عن الملّة أو التنكر لأصولها ، مادام يقر بكل ما يدعون إليه من تأليه لعلى واستمساك بالرموز والإشارات النابعة من هذا الأصل الكبير ! .

وتمضى الرسالة كلها على هذا النحو من الأسلوب الدال على الذكاء والفطنة ، وطبيعى أنه سيفارق النهج الذى التزمه فى أسطر المقدمة ، فينصرف عن السجع إلى التعبير المرسل ، يعرض به أفكاره المثيرة التى يحاول دعمها بالأدلة من القرآن الكريم ، ومرويات الشيوخ الأوائل ، ولكنه يَصُبُّ هذه الأفكار فى مجرى متصل على طريقة القدامى من المؤلفين دون أن يكلف نفسه تقسيم البحث أو الفصل بين أجزائه . . .

وما إن يفرغ من ذلك التكتيك الدقيق حتى يشرع فى الهجوم على أولئك الذين (تجلببوا بألبسة الدين) فيمزق ستورهم ويكشف تزويرهم ، ليتخذ من

ذلك وسيلة إلى إبراز مفهوماته التي يريد لقومه أن يأخذوا بها .

يقول المؤلف في تسويغ حركته : (ولما كان كل ما أبتغيه هو اتباع ما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه ، وبعد أن نقبت كثيرا في بطون (الكتب المقدسة) وأخص بالذكر منها كل ماورد في (الجدول النوراني) ووجدت نفسي في عصر حروب الدين باسم الدين ، وهو جمتْ مقدساته ومعتقداته ، وتطفلت على موائده النفوس المريضة ، والأرواح الشريرة .. فلقد كان لزاما عليّ سيما وأنني جندي تطوع للذود عن حياضه والدفاع عن كيانه المقدس ، مهما امتد الزمن وطالت الأحقاب . وعندما وجدت أناسا تجلببوا بألبسة الدين يهاجمون كتاب الله إذ يزعمون مزاعم كاذبة ، فيقولون : إن القرآن حرِّف ولا يعمل به . قاتلهم الله أنى يؤفكون .. ويقول لهم الله :(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين) الأعراف ٣٩/ص ١ .

فهو إذن مدفوع إلى عمله بعامل الغيرة على الحق الذي يشوهه أولئك الدجالون وبخاصة في صرفهم العامة عن طريق القرآن ، إذ يزعمون أنه داخله التحريف فلم يعد عليهم أن يعملوا به .. وهي قضية شائعة في أوساط الغلاة الذين ينفون الحفظ عن كتاب الله ، فيزعمون أن مابين الدفتين هو بعضه لا كله ، وبذلك يفتحون المنافذ للشك في سلامته من الزيادة والنقصان ومايستتبعهما من التغيير والتبديل ..

ويكرر الكاتب هذا المنحى فيقول في الصفحة ٣٩ : (حتى أن البعض ينكرون كتاب الله ويقسمون عليه كذبا لاعتقادهم الفاسد وظنهم الخائب أن القرآن المنزل من عند الله غير القرآن الموجود حاليا ، ويقولون إن عثمان حرف القرآن وإلى غير ذلك) . ثم يأخذ في الرد على هؤلاء قائلا : (إن الإمام علي أمير المؤمنين جل ذكره لا يظلم عباده ، وهو على مايظهر – أي في الظاهر دون الباطن – تولى الخلافة بعد عثمان ، ولو وجد القرآن تحريفا لما سكت عنه ... والأمر الثاني فالكتب المقدسة لدينا – يريد كتب الملة – تناولت بالشرح أكثر الآيات القرآنية ولم نجد خلافا بينها وبين المصحف الحالي .. الأمر الثالث أن الصادق إمام عصره في عهد بني العباس ، بعد مقتل عثمان بستين – كذا – لم يوصنا بترك القرآن بل هو القائل . ماجاءكم عني فاعرضوه لكتاب الله فإن وافق

قولنا فنحن قلناه وإن لم يوافق فاضربوا به عرض الحائط ..) .

وهكذا يمضى الرجل لإبطال الباطل الأكبر فى مزاعم أولئك (المتجلببين بلباس الدين) حتى إذا أثبت سلامة القرآن من كل شائبة ، أقدم على مايريده من الدعوة إلى إقامة أوامره (الظاهرية) من الصيام والصلاة وما إلى ذلك . وهو يرى فى الوضع السياسى الموافق لمصالحهم مناسبة لا تفوَّت (للقضاء على كل ما يقف مرصادا فى سبيل التقدم والازدهار ... سيما وأن الفرصة رخاء ندية تبث العبير المعطار فى قلوب الشباب الطيب والإخوان النبلاء) ويوجه همه بخاصة إلى هؤلاء الشباب (الذين يدركون بغوص فطنتهم كل ما هو خير وحق ، ويحاربون ببعد هممهم كل ماعاكس الحقيقة ووقف لها بالمرصاد ، فإليهم أبعث برسالتى هذه) .. ص ٢

وتشتد لهجته الخطابية فيثير حماستهم للنهوض بما يريد (فلله أنتم أيها الإخوان .. لقد جثم الكرى على أعينكم طويلا ، وأوقع الأذى على هِممكم كثيرا ، وماذلك إلا من ظلمكم لأنفسكم ، وأخذكم بآراء ظالميكم ، من الذين خالفوا الشريعة السمحاء والعقيدة الغراء ، وبفساد الراعى تفسد الرعية وتعظم البلية ، ويكبر الذنب ، ويفدح الخطب ..) ص ٢ . وكأنى بالرجل قد غلبته الفطرة على العصبية فإذا هو يتدفق بهذه الموعظة الحارة : (فيانَحْلَ - أى شيعة - أمير المؤمنين ، وياأنصار محمد الأمين . أوبوا إلى رشدكم ، وتوبوا لربكم ، وقدموا لأنفسكم ، واعلموا أن الله يحب من تاب ، ويرحم من أناب ، ويعفو عن كثير ، ولكنه شديد العقاب ، وأنه لأصدق القائلين : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » وإنه لشرف عظيم للمخلوق أن يطيع الخالق ، ورحم الله من عصى هواه فى طاعة مولاه ، وقطع دابر الفتنة بسيف الحق ، وعبر إلى شاطئ السلامة بسفينة الصدق ، وأدى لله حقه ، وأسلمه أمره ، وطلب رحمته ، وخشى غضبه ، وأبغض عدوه ، وأكرم وليه ، وآمن بما فرضه عليه ، لأن الله تعالى لم يخلقه عبثا .. (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وما كان له أن يكون كنودا لله معاديا لرسوله ، بل عليه أن يذعن لأوامره مهما كلف الثمن ..)ص ٢ .

ويتذكر أثر أولئك الشيوخ فى تثبيط الهمم عن هذا الركن فيقول . (وليس

قعود الأكثرية عن الصلاة إلا من قبيل البعض من رجال الدين الذين تهاونوا بها ، حتى وجدنا بعضهم آنس بنوم الصبح من الرضيع بثدى أمه ... ولذا كان من الطبيعي أن تزهد العامة بأعمال الخاصة ، عندما يجدون مشايخهم قد سبقوهم إلى ارتكاب المعاصي والشبهات ، وأَفَلَتْ عنهم سلائق أجدادهم .... وسبق الكثيرون من أولاد المشايخ غيرهم إلى القمار والإدمان على السكر والعربدة وترك الصلاة ومنع الزكاة ، وانصرفوا إلى التبرج والزينة ، وأشبعوا نهمهم من الشهوات .. ووجدنا من يدافع عنهم بقوله إنهم فى مقتبل العمر ، ولا بأس عليهم .. وإذا لاحظنا الطاعنين بالسين قد انحرفوا شاهدنا من يعتذر عنهم بأنهم فى آخر أيامهم . ليت شعرى إذن متى يكمل أحدهم ويعود رشدهم ...) ص ٣ .

ومثل هؤلاء لا يستغرب أن يعمدوا لتسويغ جرائرهم بكل كبيرة . يقول : (وأكثر من هذا محاربتهم لله بالكذب عليه وهب أن لهم العذر فى هجرهم الصلاة وادعائهم عدم استطاعتهم القيام بها لانشغالهم بحطام الدنيا وترهاتها .. فإن سكتنا عنهم هل سيغفلهم الله وهو القائل . « يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»..) ص ٣ .

ومن هنايصل إلى موضوعه الرئيسي الذى وسم به رسالته فيجادلهم فى أمر الصوم ، ويستطرد منه إلى الأركان الأخرى يقول . (ناهيك عن هذا تكذيبهم الأحاديث الواردة عن الأئمة بشأن مافرضه الله على المؤمنين كقولهم (ان الصوم ليس لنا وإنما هو للأضداد – يريد أهل السنة – . إذ لم يكتفوا بالكلام عن الصلاة وحدها فنفوا الجهاد والحج ، وادعوا أنهم معتصمون بالباطن دون الظاهر ..) ويتخذ من هذا ذريعة للتهكم منهم والتنديد بأطماعهم فيقول : (بقى شئ واحد تمسكوا بظاهره وباطنه ألا وهو الزكاة ..) ص ٣ والزكاة كغيرها من أركان الدين لها – فى مفهومهم – ظاهر هو الذهب والفضة وكل ماتجب فيه ، ولها باطن يطلق عليه المؤلف الرمز المعروف عندهم وهو (سلسل) ص ٣ . إن (مشايخ السوء) هؤلاء – كما يسميهم – فيأخذون بباطنها وظاهرها فقط لإشباع نهمهم ولإرضاء شهواتهم الجامحة ... وإن سألتهم مالكم تشيدون ركنا وتهدمون أركانا ؟ وهل تمسكهم بظاهر الزكاة وباطنها لصالحهم أم لصالحك ؟ .. وهل تركهم الصوم والصلاة والحج يتفق مع تمسكهم بالزكاة بشئ

طالما أن الجميع أركان الدين ! . وأيم الله لو يكافأون على صومهم بالدنيا لأحلوه كما أحلوا الزكاة ... فابتعد عنهم ياأخي واعبد الله وصلى وزكى – كذا – وصم وجاهد ص ٥ . وفى أى شئ يكون هذا الجهاد الذى يدعو إليه .. ؟ إنه (فى سبيل الحصول على أساليب الحياة ..) ص ٣ . ولا عليك ألّا تسأل عن المراد بأساليب الحياة هذه ، فلعلها من الأمور الباطنية أيضا ..

ويكرر ماسبق أن ذكرّ القارئ به من كونه مخلوقا فقط لعباة الله (والصيام أيها الأخ هو عبادة قبل كل شئ ... ورحم الله القائل .

تعويد النفس على الألم وعلى الحرمان يقوّيها
الدنيا تشكو بالنهم هيا بالصوم نداويها

فاحذر ياأخى وابتعد عن الذين ينكرون الصيام ويحاربون الصائمين . ومايحاربون إلا الله وهم يعلمون . ثم هم يشبهون الصائم بالدابة ، لأن الدابة فى زعمهم تشبع وتجوع ... كذبوا والله .. إن الذى يصوم عن الطعام إنما يقهر نفسه ويعلمها الصبر ويتبع ماأمر الله ، وهم لولا صعوبة امتناعهم عن الأكل والشرب ومعاقرة الخمور لصاموا ، إذ يشعرون باستحالة استطاعتهم القيام بما فرض الله ، بل سهل عليهم معصية الخالق فى إطاعة أنفسهم ، وهم يحرفون أقوال الأئمة والسيد أبى عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبى ، ويقولون أقوالا يهتز الله فى عرشه لها ومحمد فى قبره ، ثم يأتون للصائم فيقولون له : أفطر وخطؤك فى رقابنا ... (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلينا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ ، إنهم لكاذبون) ص ٤٠

فلا يغروك ياأخى ، فو الله لا يحاسبون عنك بل كل إنسان يحاسب عن نفسه .. فالصوم كالصلاة وأكبر من الزكاة ، وفيه الجهاد الأكبر ، وهو فرض ، وليس الحج مفروضا مثله .. إن الله صائم وملائكته عن الأكل والشرب ، وإنما فرض الصيام على عباده شهرا ليتقربوا منه وهذا معنى قوله فى صحف موسى : « ياموسى . إن الصوم رحمتى لعبدى وتزكيتى لنفسه ، فإن جاع تذكر الجائعين فيخشع قلبه ، ويجزع كبده ، ياموسى .. كل أعمال ابن آدم له إلا الصوم فهو لى وأنا أجزى عليه ، فإن صلى يرضينى ، وإن زكى يطفئ غضبى ، وإن صام يقرضنى القرض الحسن ..) ص ٤

وهو فى هذا الاستشهاد يمضى على غرار القوم فى تصديق كل ماتناقلوه عن مشايخهم دون نظر فى سنده ، فيمزج بين حديث صحيح دونما ضبط لألفاظه ، وبين أقوال مطلقة لا دليل على صحتها وموردها ، وإن كان فى مدلولاتها الكثير من الصواب .

ويعود إلى مناقشة مخالفيه فى زعمهم إعفاء القوم من الصوم فيقول لهم : (لا عذر بترك الصيام بحجة أنه للضد – أهل السنة – وليس لنا ، فيجب أن نقول تبعا لهم ولا ندين بدياناتهم .. وهم يعنون بذلك النواصب – المعادين لعلى رضى الله عنه – ألا تعلم ياأخى أن النواصب وأهل الظاهر يقرون لله بالوحدانية ؟ .. هل بإقرارهم يحرموننا من قول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؟! ..)

وينعى الكاتب على قومه تقليد هؤلاء الشيوخ مع مخالفتهم للنصوص الثابتة عن كبار مقدميهم : (شئ عجيب .. وأعجب منه اتخاذ الناس بعضهم مراجع من دون الكتب القيمة التى وردت عن آل الرسول وأنواره ، والتى صدرت عن الخصيبى وأحباره ، فإذا قلت لهم صوموا قالوا : أنت أعلم من الشيخ فلان ؟ ! ... ألا تعلم ياأخى أن فلان ليس من الملائكة ، وإنما هو إنسان يخطئ ويصيب ، أليس لنا من هو أكبر من الشيخ المذكور ؟ .. نعم هناك من هو أكبر منه ومن أبيه ، وكفى بسيدنا الخصيبى شاهدا على صحة ماأقول « معنى واسم باب هم الهدى والصواب ») ص ٥ .

وليت المؤلف يمضى مع قاعدته إلى غايتها ، فيتذكر أن الخصيبى أيضا معرض للخطأ والصواب ، وأن الحق المطلق رهن بما ورد فى كتاب الله وما صح عن رسوله (ص) ولو فعل لتحرر من كل هاتيك الأوهام التى يدور حولها ، ولا يجرؤ على تخطّيها .. ولكنه ويا للأسف يقصر محاولته الإصلاحية على أقل ما يجب على المصلحين ، كما فعل قبله لوثر لما خرج على البابوية ، فحرر أتباعه من مراسيمها غير المعقولة ، ولكنه أقر كل ماورثه المتأخرون عن المتقدمين من انحراف عن حقائق التوحيد .. وهاهو ذا يزحف فى موكب العميان والمتعامين وراء من يسميه (الشيخ الأكبر الذى دحاه الله على كفه إلى السماء) ص ٥ فلا مرد لكلمته ، ولا مسوغ لمراجعته .. ولا حق وراء رموزه التى استعبد بها حتى عقول الموهوبين من أتباعه ، فضلا عن الجاهلين ! .

ويرد الرجل أصول المحن كلها إلى هؤلاء الخصوم الذين يقول فيهم إنهم (أكثروا من الأقوال الآثمة .. وبثوا الكراهية والبغضاء بين الصفوف ، ومزقونا شر ممزق ، وإلهنا واحد ، وشيخنا واحد ، وطريقتنا (جنبلانية) واحدة ، فإذا بهم يجعلون منا أشياعا وفقراء بل وفرقا وأسماء جعلوا منها مذاهب ..

وإنى أوجه ندائى إلى كل ذى عقل سليم ، وإلى كل شاب مثقف وغير مثقف .. إلى الإخوان الذين لهم فضل على الإنسانية ودَين على الأجيال ، إلى الشيعة الخصيبية والفرقة الناجية ، إليكم أيها الإخوان أوجه ندائى وأقرنه بسؤالى : « لقد اتفق أهل الظاهر والباطن على قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة ، فرقة واحدة هى الناجية وماتبقى ففى النار » أسألكم بالله ورسوله أليست فرقتنا هى الناجية ؟ ولكن ألا ترون أن فرقتنا هذه قسمها المرتزقون إلى فرق متعددة ؟ .... فابتعدوا عمن زين لهم الشيطان سيئات أعمالهم ، وأكلت الرعونة أطراف أكبادهم ، حتى إذا استغلوا بساطتكم شتتوا شملكم ، وأمروكم بالتهاون بما فرض الله وأنتم تشعرون) ص ٥ .

وإنها لنفثة مصدور ينهش الألم قلبه من أعمال هؤلاء (المرتزقين) .. ولكن .. بأى حق يحكم لفرقته بالنجاة ؟ وهل له من دليل على مدعاه سوى الانسياق وراء أقاويل دسها فى عقولهم شيوخ كأولئك الذين ينقم منهم ؟ ! .... بل كيف يقطع بالنجاة لفريق ألغى من نفسه طاقة التفكير ، حتى ليصدق أن خالق السموات والأرض ومافيهما ومابينهما يمكن أن يستحيل إنسانا يأكل ويشرب ويطرح الفضلات ، ثم يموت أو يقتل دون أن يستطيع خلاصا من المقدور ؟ ! ..

ثم .. ألم يكن فى وسع الرجل مراجعة الحديث النبوى فى موضعه من الكتب الموثوقة ، لينقله على وجهه الصحيح ، بدلا من الاعتماد على روايات لا سند لها سوى مجرد الاتباع الضرير ! .. (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا .. أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون !!) .

وقد سبق أن حدثت القارئ فى بعض ما أسلفت بخبر ذلك الفتى الموهوب الذى كان تلميذا لى ذات يوم ، إذ لقينى فى أحد مصايف الجبل فقال : لقد قصدت إلى منزلك عددا من المرات فلم أجدك ، ثم أخبرنى أنه كان يريد أن

يطلعني على رسالة له فى موضوع النصرانية ورده على مزاعم أهلها فى تأليه المسيح .. وهنا قلت له : أى فرق بين تأليههم المسيح وتأليهك عليا ؟ .. وكأنه فوجئ بهذا الاتهام فجعل ينفيه عن نفسه جاهدا .. ولكنى ألزمته الإقرار بواقعه حين أشعرته بعلمى طرائقهم فى ذلك النفى ، فقال : ولكن الفرق بعيد بين المسيح وعلى ... وأخذ يدافع عن عقيدتهم ..

وهاهى ذى القضية نفسها تتكرر الآن .. فالشيخ وهيب ينكر على خصومه تقليد المخالفين السابقين ، وينسى أنه فى تأليهه عليا (رضى الله عنه)يركب المطية نفسها ، إذ يبطل تفكيره انسياقا مع تلفيقات لا أساس لها إلا الظن وما تهوى الأنفس ..

ويذيل وسط الصفحة السادسة باسمه وكأنه يختم بذلك مقدمة لينتقل إلى البحث المراد ، فيصدر هذا القسم بالبسملة مرة أخرى ، ثم يشرع فى نقل بعض النصوص (المقدسة) فى موضوع الصوم .. يقول : (ورد عن إمام الأئمة مولانا أمير المؤمنين فى كتاب (نثر اللآلئ) وهو من الكتب العظيمة المقدسة على حروف المعجمة من الألف إلى الياء ، فى الصفحة السادسة مولانا يقول : « المرء نجاته فى صحة البدن فى الصوم ، والصبر يورث الظفر ، وصلاة الليل ضياء النها ....) إلى آخر هذه المواعظ الدينية والخلقية إلى أن يقول : (هذا ماجاء عن أمير المؤمنين فى حق الصيام ، ومن لا يكتفى بقوله لا يرتوى من سواه ، ... ونحن نعلم أن لقوله هذا معنى جليلا يدركه كل ذى بصيرة ثاقبة ، إذ إنه يبين عز شأنه أن الصوم نجاة للإنسان من المكاره .. ومنها قول السيد الميم عليه السلام « صوموا تصحوا » فالصيام إذن صحة للبدن وفيه الصبر الذى يرث الظفر كما ذكره مولانا تعالى ذكره ..) ص ٦ .

ولن يستغرب القارئ إطلاق التمجيدات الخاصة بالله جل جلاله على أمير المؤمنين مادام أمير المؤمنين ، فى زعمهم هو ذات الله – تعالى الله عما يقول الظالمون ! – أما الرمز لنبيه محمد ، صلوات الله عليه وسلامه بالميم ، فقد بات مألوفا مما أسلفنا من نصوصهم – المضنون بها على غير أهلها – وماينبغى للقارئ أن ينسى عقد (عين ميم سين) الذى يعتبرونه الشعار المختزل للأسماء الثلاثة (على . محمد . سلمان) مضاهاة للأقانيم الثلاثة عند النصارى ، والرمز الثلاثى

فى الوثنية البرهمية : (برهما - الخالق - وسيفا - المدمر - وفيشنو - الحافظ المجدد) [1] .

ويتابع الشيخ وهيب حملته على المعارضين وتحذيره مدعويه من أباطيلهم قائلاً : (ولعلهم ياأخى يغرونك بتفسير هذا الحديث - صوموا تصحوا - ويقولون لك : « إن الصيام معناه الصمت هنا : فلا تطعهم ياأخى فان الصمت من خصائص الجوارح وإمساكها عن الموارد القبيحة ، وأما الصيام هنا فهو الامتناع عن الأكل والشرب حيث إنهما يختصان بالبدن .... وسنؤيد أقوالنا هذه بأقوال الأئمة .. ليعلم الذين فى قلوبهم مرض إن الصيام فرض علينا .. وعلى الأخص فى شهر واحد وهو شهر رمضان ، وأما الصمت فهو لم يكن موجبا فقط بشهر وإنما هو على مر الدهر .. لأنه من الواضح لدى كل ذى عقل أن الصمت والامتناع عن الموارد القبيحة هو من باب القيم الأخلاقية إلى جانب حتميته ، فالإنسان يجب أن يمتنع عن الزنا فى جميع الأشهر .. كما يجب أن يمتنع عن الكذب فى كل الأشهر ، والصيام عن كل هذه المحرمات أوجبه الله علينا أبد الدهر ولو لم يفرضه إلا شهرا لكان ذلك مخلا بالقانون الإلهى .. وليس الامتناع عن المحارم والكف عن الشهوات إلا من باب زكاة الروح) ص ٧ .

ويلاحظ أن الشيخ يستخدم من التعابير الحديثة مالا نقع عليه فى نصوصهم القديمة فهو يقرن الفضائل الدينية وآداب السلوك بالقيم الخلقية ، ويعتبر تحقيق العمل بها من الواجبات الحتمية التى لا يجوز التهاون بها .

ثم يعمد إلى سرد الآيات المتصلة بهذه المعانى من الذكر الحكيم ، فيوردها مرتبة فى عشرة أرقام يسميها (الوصايا العشر التى يجب على الإنسان ملازمتها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة .. أكان ذلك فى محرم أو صفر أو ذى القعدة أو رجب وحتى فى رمضان ، إذ نتحدى كل من يثبت أن الله خصص ذكرها فى شهر واحد أو لشهر واحد فقط ..) ص ٧

ويحاول توكيد مذهبه بأعمال الأئمة فيقول : (وكم سمعنا وقرأنا عن الأئمة أنفسهم بأنهم كانوا يصومون فى غير شهر الصيام ، وما ذلك إلا لنعتبر نحن لأنهم منزهون عن أن يأكلوا ويشربوا .. ولقد ذكر أصحاب الحديث من جميع الفرق

(١) انظر ص ٢٨٧ ج ١ من كتاب (المكزون السنجارى) .

الإسلامية واتفقوا أن سورة الإنسان – أو سورة الدهر – نزل مدحها فى فاطمة والحسن وذلك عندما مرض الحسن فنذر لله صيام ثلاثة أيام ، فلما شفى صاما وأكملا العدة ولم يجدا ما يأكلان سوى ثلاثة أقراص خبزت من شعير ، فهمّا بأكل القرص الأول فإذا بمسكين يطرق الباب .. فأعطياه القرص ، وهمّا بالباقيين وإذا بيتيم يطرق الباب .. فأعطياه القرص الثانى .. وهما بالقرص الثالث وإذا بأسير يطرق الباب وهو ينادى : أسير من أسارى المسلمين لم يذق طعاما من أيام ، فأعطياه الثالث وبقيا دون شئ) ص ٨ .

ويعقب الشيخ وهيب على قصة (المسكين واليتيم والأسير الموهومة فيقول : (انظر يا أخى . إنهما – أى فاطمة والحسن – يجلان عن الحاجة إلى المأكل والشرب وليسا بحاجة إلى الصوم والصلاة وهما الصوم والصلاة والحج ، ولكن كان ذلك منهما كتعليم وإرشاد لنا لنستحيى ونخجل على أنفسنا ، ونعلم من هذه القصة ثلاثة أشياء أولها : أن الصيام هو وسيلة التقرب إلى الله ./٢ أن الصيام أبو الصبر ومتى ماصام الإنسان يتعلم حسن الصبر ويؤثر على نفسه لأنه يشعر بالعطف والحنان على أخيه الإنسان /٣/ يشجعنا مفهوم هذه القصة على عمل الخير بكثرة فى شهر الصيام ..) ص ٨ .

وليس فى هذا من جديد بعد الذى طالعه القارئ من أمثال هذه (الباطنيات) فى المخطوطات السابقة .. وقد بات لزاما عليه أن يتذكر دائما أن كل عبادة أمر بها الله فلها عندهم صورة هى الأفعال القائمة بها من ركوع وسجود فى الصلاة ، وانقطاع عن الطعام والشراب وما إليها فى الصوم ، والطواف والسعى والوقوف بعرفة وما إلى ذلك من أعمال الحج ، ووراء كل من هذه الصور حقيقتها التى هى الأشخاص المعنيون بها ، كما رأيت هنا أن فاطمة والحسن هما المعنيان بالصلاة والصيام والحج جميعا .

التناسخ أيضا

ولإقناع مدعويه يضم إلى شواهده من القرآن والنصوص الملية (المقدسة) نصوصا أخرى من التوراة وأسفار العهد القديم اليهودية .

يقول الشيخ وهيب (فسأورد لك من التوارة أيضا من تطوع من الأنبياء للصيام فاقرأ صموئيل الثانى الإصحاح الأول . جاء فيه « فأمسك داود ثيابه

ومزقها ، وكذا جميع الرجال الذين معه ، وندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوراثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت إسرائيل لأنهم قطعوا بالسيف ، انظر ياأخي واعتبر فما داود سوى محمد .. ولكن ربما احتجوا عليك أن صيامه كان صمتا لا امتناع – كذا – عن الأكل والشرب .. ولتكذيبهم هاكم الإصحاح ١٢ الذى جاء فيه ؟ وصام داود صوما ودخل ومات مضطجعا .... ولم يأكل معهم خبزا » ... ، ووالله ليس مشايخنا أكرم عند الله من داود ولا أعلم منه ، فلو عرف كما يقولون أن الصيام كفر ماكان يظهره على نفسه ويأمر به ... وويل لمن نسبوا الصيام للكفر ..) ص ٩ .

ولقد عُنيت بنقل هذه الأسطر لأمرين أحدهما إيمان القوم بأن داود هو محمد نفسه .. والثانى اعلان الشيوخ المخالفين لكاتب الرسالة فيما بينهم أن الصيام كفر ، كما سبق أن أعلمنا زعمَهم أنه خاص بالأضداد الذين هم أهل السنة ...

ومع ذلك فهؤلاء الزاعمون أنفسهم لا يلقونك فى رمضان إلا مظاهرين بالصوم ، لأنهم لا يستطيعون الانخلاع من التقيَّة ، ولأن من لا تقية له فلا دين له فى يقينهم .

وأما مزجهم بين النبيين عليهم الصلاة والسلام فنابع من عقيدة التناسخ ، التى تجعل الشخص الواحد مجموعة أجيال من الخلق ، ربما كان بعضها حيوانا أو نباتا أو إنسانا ، وهى بعض روافد الهندوكية التى تعتبر الإنسان فى رحلة لا تتوقف خلال الأجسام المختلفة .

فى إحدى القصص اليابانية أن امرأة قد تحولت شجرة ، فما برحت تنمو وتنتشر حتى اضطرت السلطان المحلية إلى قطعها ، ولكن البلدة كلها عجزت عن جرها من مكانها ، حتى قدم ولدها الصغير فأمسك بفرع منها ، ثم سحبها إلى حيث أريد لها أن تستقر ! .

والعبرة فى القصة تصوير رحمة الأم ومدى استجابتها لابنها ، ولكنها صادرة عن منطلق دينى يقوم على الإيمان باستمرارية الحياة عن طريق التحول من جسد إلى جسد ، أو من نوع إلى نوع .. وهى نفسها العقيدة الباطنية التى يصور الشاعر النصيرى إصراره عليها بقوله :

ليؤمن الناس ماشاؤا بربهم   فبالتحول قبل الله إيمانى

وبهذه العقيدة البوذية الهندوكية يستيقن الباطنى حلول الله - تنزهت ذاته - فى مايسمونه (المعنى) فى العديد من (الظهورات) أو (القباب) الثلاثية التى لابد فيها مع المعنى من الحجاب والباب ، والتى أريناك أصولها من التثليث البرهمى ..

وبهذه العقيدة نفسها يتخيل ، بل يتيقن ، النصيرى والدرزى ، وأشباههما من الفرق الغالية أنه مر فى أجيال وسيمر فى أجيال لا حدود لمبدئها ولا لمنتهاها ، فلا بعث ولا جنة ولا نار ، وإنما المثوبة فى الانتقال من الأدنى إلى الأعلى ، كما أن العقوبة مجرد الهبوط من الأعلى إلى الأسفل مرورا بمختلف الطباق ، من الإنسان إلى الحيوان إلى الحشرات إلى النبات إلى الأقذار والأحجار .. وقد حدثنا القارئ عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية ، وسيرى فى هذه الرسالة التى نحن بصددها ما قد يعتبره تكرارا لما تقدم ، ولكنه تكرار لا يخلو من بعض الطرائف ..

ولنعد إلى متابعة حديث الشيخ وهيب مع خصومه ..

(والآن .. لى سؤال واحد .. هل هؤلاء كلهم على ضلال أو حضرة الشيخ الذى أباح لكم الفطور فى رمضان ، وهاجم الصائمين بأقواله وبشعره البذىء الذى سأذكره على مافيه من أخطاء وكلى - كذا - حزن وأسف على من ضاعوا فى شعابه وآثروا الاقتداء به .. هذا الشيخ هو القائل ..

ياصائم رمضان ويحك جاهلا	صوم عن الفحشاء وعن كل منكر
فى صيام الأكل إلا ندامة	وجوع والجوع كافر

وأقسم بالله .. أن أغلبية من ناقشونى من أجل الصيام استندوا على قول هذا الرجل أكثر مما استندوا على أقوال المعنى ذاته ، ولا ولن يستطيعوا أبدا أن يجدوا للمعنى شيئا يناسب قياساتهم وإفكهم . فانظر ياأخى وفكر كم ضل هؤلاء ، وإذا قارنت بين داود وبين هذا الشيخ .. من الأجدر والأفضل والأحق بالاتباع «النبى الأعظم والحجاب الأقدم . أم الإنسان الذى خلق من عدم؟ ..» ص ١٠ .

ومعلوم أن مراده بالمعنى هو الله .. تبارك اسمه .. الذى هو بنظرهم صالح للحلول فى الأجسام الممتازة ، لم يعزب عن بالك بعد ماكشفه لك آنفا من أن داود هو نفسه النبى الأعظم ﷺ الذى هو الحجاب الأقدم .. ومقابلته بالإنسان

(الذى خلق من عدم) يفيد اليقين بأن أولئك الممتازين من الأقانيم لم يخلقوا من عدم كبقية الناس حسب اعتقادهم ... وقد اعترف بهذا عند الكلام على صيام فاطمة والحسن قبل قليل ، حين صرح بأنهما يجلان عن أن يأكلا أو يشربا ، وسيأتيك من ذلك كثير .

وتبلغ النقمة بالشيخ وهيب من هؤلاء المرتزقة إلى حد الثورة بهم ، والدعوة إلى استئصالهم .. (آن لنا أن ندرك أساليبهم ، آن لنا أن نعرف كيف استغلوا بساطتنا ومزقونا .. آن لنا أن نمزق أوصالهم كما مزقوا أوصالنا .. وأن ندحض أقوالهم ونأخذ بأقوال أهل الذكر والعلم ، الذين هم أهل المصطفى الأخيار وآله الأنوار ، الذين أمرونا بالصوم .. وسأخص منهم بالذكر الإمام جعفر الصادق خاصة وأن أبا عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبى ذاته دعاه فقال فى ديوانه :

كلما نابنى من الدهر خطب صحت ياجعفراً إلّه الأنام
أنت فوق السما على العرش تعلو أنت بالأرض حاضر للكلام

وللصادق أحاديث كثيرة فى التشجيع على الصيام ، وبالنهى عن الإفطار فى رمضان ، وهو يوصى كثيراً بإقامة أركان الدين الخمس ـ كذا ـ التى أمر الله بها فى قرآنه ، ومع ذلك ماورد فى كتاب (الهفت والأظلة) عن باب الله الأكرم « المفضل بن عمر الجعفى » يرفع الحديث إلى مولانا جعفر الصادق فى الباب التاسع عشر ، فى معرفة كمال المؤمن وانتهائه فى الإيمان ، ومتى يُكفى مئونة الأكل والشرب ويصعد إلى السماء وينزل إذا شاء)ص ١١ .

فهاهنا أمران كذلك يحسن الانتباه إليهما ، أحدهما تسميته (الجعفى) بالباب ، ولا خفاء أن الباب هو الأقنوم الثالث من الظهور أو القبة ، فهو بمنزلة (سلمان) باب القبة المحمدية كما يزعمون بل لعل سلمان هو نفسه هذا الجعفى ، سمى سلمان فى الظهور السابق ، وسمى المفضل ... فى الظهور اللاحق .. وليس ذلك بعجيب فى منطقهم ذى الوجهين ـ الظاهر والباطن ـ أما الأمر الثانى فإشارته إلى نهاية التحولات التناسخية ، حيث لايزال (المؤمن) منهم يترقى فى درجات الكمال حتى يستحيل ملاكا أو نورا أويتحرر من الحاجة إلى الأكل والشرب ، ويتخلص من قيد النظام الكونى فلا يمسكه شئ عن العروج إلى السموات والنزول إلى الأرض حين يشاء .. وهو هو نفسه المزعم الذى يقول به

أصحاب الطرق فى شأن الأقطاب والأبدال الذين لهم التصرف فى علوى الكون وسفليه . ورحم الله الصديق الظريف النسيب السيد أديب صقر ، فقد حدثنا عنه الأخ الشيخ عبد الحميد عباس أنه كان مع جماعة من الشاميين فى سيارة بطريق الحج فأصابها عطل استدعى تأزر الجميع على دفعها لإنقاذها من الرمل ، وبينما هو يشد معهم فوجئ بأصواتهم ترتفع مستغيثة بالأبدال المتصرفين فى الكون .. فما كان منه إلا أن تركهم لآلهتهم وقعد يستريح ، ولما استحثوه للعمل معهم أجاب .. أليس الأبدال بكافين لهذه المهمة ؟ ..

ولا غرابة أن يتفق الطرفيون والباطنيون فى هذا الاتجاه ، مادام مصدر الانحراف واحدا هو الاستمداد من البوذية وأخواتها .

والباحث المتعمق فى أصول الإسماعيلية كما تمثلها رسائل إخوان الصفا وفلسفة الدعاة العبيديين لاتفوته رؤية الصلة الوثقى بينهما من ناحية ، وبينهم وبين الأفلاطينية الحديثة من ناحية أخرى ، ثم بين هؤلاء وبين الطرفية التى خلقت فى المجتمعات الإسلامية دينا جديدا قوامه الازدواجية القائمة على الظاهر والباطن ، أو مايسمونه بالشريعة والحقيقة ، والتي استقرت أخيرا فى مذاهب ثلاثة .. الوجودية ، كما تمثلها صوفية ابن عربى ، والاتحادية التى يدين بها ابن الفارض ، والحلولية التى ادعاها الحلاج .. وعلى هذه الثالثة نهضت قبل ذلك عقيدة المؤلهين للمسيح بن مريم عليهما السلام .. التى ينادى اليوم أكابر علماء اللاهوت فى العالم ، وبخاصة فى بريطانية بأنها استنفدت أغراضها ، ولم يعد لها مكان للقبول فى التفكير الحديث[1] .

أشخاص أسطوريون

وفى موضوع الترقى المحرر لمؤمنهم من أغلال السنن الكونية يكرر المؤلف القصص المؤيدة له فى أكثر من موضع ، ففى الصفحة الثانية عشرة ينقل لنا الخبر التالى منسوبا إلى الصادق الذى زعموا أنه إله الأنام - برواية المفضل الجعفى ص ١٢ .

قال المفضل باب الله الأكرم قلت لمولاى ماحد نهاية المؤمن قال : إذا رقى صار

(١) اقرأ عن كتاب (أسطورة تجسيد الإله) الذى ألفه سبعة من كبار أساتذة اللاهوت فى الجامعات البريطانية فى المجلة الغربية عدد ٤ السنة ٢ ذى القعدة ١٣٩٧ .

فى درجة الأبواب . قلت يرقون من درجة إلى درجة حتى يصيروا ملائكة قال نعم إذا شاء، قلت: على صورة الملائكة أم على صورة بنى آدم قال: على أية صورة شاء، وإن فى الأرض منهم عددا كبيرا وإنكم لتخاطبونهم ولاتعرفونهم ، وقد وضع الله عنهم الأغلال والآصار وكفاهم مئونة الأكل والشرب فهم يسعون فى الأرض على صورة بنى آدم ، لا يهتمون ولا يغتمون ويحضرون معكم فى مجالس الذكر ويكلمون الناس ولا ينكرونهم ويرى أحدهم بالمشرق ليرى بالمغرب فى ذلك اليوم ، وأعطاه الله من القدرة على ذلك وعلى هذا فالمؤمنون كلهم لا يزالون يرتقون من درجة إلى درحة ومن فضيلة إلى فضيلة حتى يجتمعوا فى السماء فيصيروا ملائكة يعرجون إلى السماء وينزلون إلى الأرض إذا شاؤوا . أما رأيت أحدا منهم يامفضل قلت: لا يامولاى. قال محمد بن الوليد والله قد رأيت على هذه الصورة رجلا قال وكيف رأيته يامحمد قال كنت جالسا فى المسجد وأنا أسبح الله تعالى فإذا دخل المسجد وسلم فرددت عليه السلام فنظرت إليه فإذا هو رجل على أثر السفر وقد أنهكته العبادة ومعه حذاء علقها بإصبعه وعليه ثياب رثة فأعجبنى سمته وسكوته وقلت بنفسى: هذا رجل صالح منقطعا به وإذ به يقول: هل فيكم أحد يضيفنى ليلتى فرحمته وقلت ياعبد الله أنا أضيفك فاجلس فجلس حتى فرغت من صلاتى ، ثم أومأت إليه ومشيت ومشى معى إلى المنزل فدعوت الخادم ليحضر الطعام فوضعت المائدة وقدم إلينا ثريد لحم فأكلت أكلا هنيئا وكنت صائما فى شهر رمضان فلما أكلنا وشبعنا وأردت أن أرفع الطعام فإذا باللحم والطعام على هيئته لم ينقص منه شئ ورغيفى الخبز كذلك لم يكسر منهما شئ فتعجبت وخفت ورعبت رعبا شديدا ونظرت إلى الرجل نظرا شافيا فبينما أنا كذلك وإذ دخل الخادم ليرفع المائدة فلما أبصر الطعام كهيئته لم يؤكل منه شئ قال : مالكم لا تأكلون فبقيت فى حيرة لم أرد جوابه ثم نظر إلى الرجل وقال : مالكم لاتنطقون وبعد أن شخصت ببصرى إلى الأرض نظرت إليه فإذا بالرجل ليس بالرجل الذى خرج معى من المسجد وله شاربان طويلان فرعبت جدا وقلت بنفسى:بليت والله فعلم الرجل بذلك وقال ويحك استعذ وقل كما قالت مريم إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . فلا تعجب ياأخى منى إن المؤمن إذا صار من أهل الصفى وبلغ درجة المنتهى رفع عنه الأكل والشرب والاهتمام وصار ملكا من الملائكة إذا أحب أن يعرج إلى السماء عرج وإن أحب أن ينزل إلى الأرض نزل . فلما قال ذلك

ذهب عنى الروع وامتلأت سرورا وأومأت بالسجود إليه فقال لا تتعجب بنقلى من صورة إلى صورة فقلت كل العجب .. فقال : أنا مسلم مثلك فقد بلغت وانتهيت فقلت الحمد لله الذى من على برؤيتك بهذه الليلة وقد سمعتك تقول إنى أعوذ بالرحمن منك إلا إن كنت تقيا . فقال : ياأخى هكذا أنزلها الله أما علمت أن مريم أتاها جبريل بصورة رجل اسمه تقيا ! سبحان الله ماأعجب هذا الخلق المنكوس وأن مريم رعبت منه واستجارت به هذا من كفرهم فقلت : هل لك فى المقام والموادعة ، قال : أنا خارج عنك بعد ساعة من الليل قلت : فأوصنى قال : عليك بخصلتين احفظهما وعليك بالمبالغة بالمعرفة وإياك التقصير بالعمل إلى معرفة الله وعليك ببر إخوانك أولياء الله إن النجاة فيه ولا تعلق قلبك إلا فى معرفة ربك ولا تلق أحدا من إخوانك إلا بالخضوع وإن كان دونك فى الشرف والمال والبنين ، فإن فعلت ذلك كفاك المهمات من أمور دنياك وآخرتك وكان الله لك من وراء كل تجارة ، وأوصيك ياأخى ونفسى بكتمان سر الله وباطن مكنونه إلا عن الموحدين بمعرفة العلى الأعلى ، ثم غاب عنى . فقال مولانا أبو عبد الله الصادق أتانى فى هذ الأسبوع ثلاث مرات وسلم علىّ وأن فيكم خلق لا يعرفونهم قال المفضل باب الله الأكرم بعد ذلك صرت أرى منهم الرجل والعشرة والأكثر وأعرفهم ، فهذا الذى وجدناه فى كتاب الهفت من الباب التاسع عشر . »

وعلى القارئ أن يضم إلى هذا الكلام ماأورده كاتب الرسالة فى ص ١٩ عن لسان الحسين بن حمدان فى موضوع التكاليف وسقوطها وذلك قوله : ولا يحق لمرء ترك ظاهره حتى يكون عليماً بالذى بَطَنَا .

فهاهنا تصريح بانتهاء الترقى إلى الصفة الملائكية التى تمكن صاحبها من الانطلاق المطلق ، ومن التشكل فى الصورة التى يشاء .. بل إن أحدهم ليُرى فى عدة أمكنة فى الوقت الواحد ... وحسبهم دليلا على ذلك خبر « محمد بن الوليد » الذى تنفغر له أفواه العجائز دهشة بما يريهم من عجائب ذلك (الواصل) الذى كُفِى مئونة الطعام والشراب ، وأوتى القدرة على الظهور بمختلف الصور ، حتى أصبح مستحقاً سجود الناس المفضلين له – عياذا بالله – بل إنه ليتطاول على كتاب الله فيزيد فيه مايغير معناه ، كما صنع هذا (الواصل) الأسطورى فى قوله تعالى (إن كنت تقيا) فأقحم عليه (إلا) ليقلب مدلوله .. وزعم أن الله هو الذى أنزله هكذا ! .. وقد نسى ماكتبه فى

الصفحات ١ و٣٩ و٤٠ من ردود لاذعة على أولئك الكذبة الذين ينكرون سلامة القرآن من كل زيادة أو نقصان ! .

وطبيعى أن تظل مثل هذه العقائد (الماورائية) حبيسة الأذهان الباطنية ، فلا يطلع عليها أحد من خارج الحظيرة النصيرية .. ولهذا يختم (الرجل الأسطورى) وصاياه إلى (الباب الأكرم) بوجوب الكتمان التام لهذه الأسرار القدسية ، إلا عن الموحدين بمعرفة (العلى الأعلى) ... وهو حق لهم لا يقبل المراء ، لأن مجرد ظهور هذا المستور لوضح النور ، يعرضه لانكشاف المستور ، فينتهى إلى البطلان والدثور ! ..

ومما لا يتسع للخلاف هو أن من بلغ مرتبة الخلاص من قيود الطبيعة إلى الحد الذى مثلته قصة الجعفى لابد أن يتخلص كذلك من (التكاليف الظاهرية) التى وضعت على كواهل العاديين من الناس ! وهذا مايؤكده الشيخ وهيب فى الصفحات ١٤ و ١٩ من الرسالة إذ يقول : (وإذا كان بعضهم الهمج الرعاع يسقطون الظاهر لعلمهم الباطن ممسكين بأقوال أدلوها كما يشاؤون ، فإن الصادق يبين حقيقة افترائهم فى كتاب (الهفت) فى الباب الثالث عشر منه فى معرفة الصفا والاصطفاء ومايسقط عن المؤمنين من الأعمال الظاهرة إذا ارتقوا إلى هذه المنزلة .. ومن من المشايخ ارتقى إلى هذه المنزلة حتى يسقط عنه الظاهر ؟ ... إن هذه المنزلة ياأخى فوق درجة النبيين .. ولا أطيل الكلام بل سأكتب لك قول الباب عن سيده الصادق . قال باب الله الأكرم المفضل بن عمر عليه الصلاة والسلام .. قلت لمولاى .. أنبئنى عن ذلك . قال .. الاصطفاء ، فوق درجة النبيين ، وهى الرسالة ... قلت .. إذا بلغ أحدكم هذه المنزلة هل يرتقى إلى غيرها ؟ .. قال نعم .. يجب علينا معرفة هذه الدرجات . قلت .. سيدي فهل ذلك فى كتاب الله ؟ .. قال .. نعم بقوله تعالى .. « إن إلى ربك المنتهى » حتى يسقط عنه علم الظاهر بعد أن يعلمها درجة درجة .. ص ١٤) .

والمتبادر إلى الذهن أن أصل العبارة (عمل الظاهر) لا (علم الظاهر) لأنه يريد بعمل الظاهر التكاليف العملية التى تسقط بعد حصول العلم بما وراءها ..

ونعود فنقول .. إن كاتب الرسالة لا يخالف الخصوم فى سقوط التكاليف بنهاية المطاف ، ولكنه لا يرى فى من يعرفهم أهلا للوصول إلى هذه الغاية .. وهو

عين مايقول به الكثرة من المتصوفة إذ يرون إلى بعض أشياخهم وقد انقطعوا كليا عن أداء العبادات المفروضة ، فيعتذرون عنهم بأنهم بلغوا من التسامى ماجاوز بهم نطاق التكاليف .. وربما زعموا لك أن شيخهم الذى تراه معرضا عن الصلاة القائمة ، إنما يؤدى الصلاة نفسها فى أحد الحرمين المكى أو المدنى فهو مشهود فى الظاهر ، ومحجوب فى الباطن .. وعلى هذا الأساس تستطيع تفسير تلك الخارق التى تقرؤها فى مثل كتاب (الطبقات الكبرى) المنسوب للشعرانى حيث ترى زمر (الواصلين) وقد انحلت عنهم عرى التكاليف الشرعية ، فبعضهم يبرز كرامته عن طريق إلقائه خطبة الجمعة على المنبر وهو عار كيوم ولدته أمه ، وآخر يؤكد فضله الرفيع بسكنه فى منازل العاهرات ليتاح له الحصول على دعاء الزانين والزانيات ، ومنهم من يبلغ به السمو إلى أن يطلب من الناس أن يمسكوا له رؤوس أُتُنِهم ليفحش بها على ملأ من المارة والقارة .. إلى غير هذا وذاك وذلك من فنون الكرامات !!

ويبقى الفرق بين الفريقين أن مجانين الطرقيين يتحفظون فى رواياتهم فقلما يرفعونها إلى الرسول ﷺ ، بل يحتجون لأعمالهم باجتهاداتهم ورياضاتهم ، على حين لا يتورع هؤلاء عن نسبة أخبارهم إلى معبوديهم مباشرة ، ولو فقد الخبر كل سند إلى ذى دين موثوق ..

ولا ينبغى أن يفوتنا الانتباه إلى تسميته الكتاب الذى ينقل بـ (الهفت) فالهفت هذا من المراجع المقدسة لدى الإسماعيلية والنصيرية كما يبدو .. والشيخ وهيب يعزو هذا الكتاب إلى جعفر الصادق مباشرة ، وقد نشره أخيرا المدعو مصطفى غالب من إسماعيلية السلمية الذى يعرف نفسه بأنه (عضو المجمع الملكى الآسيوى ، وعضو مجمع الدراسات الإسماعيلية) ولم يسبق أن عرفنا عنه شيئا إلا من خلال تحقيقه أو تقديمه لكتاب (البيان لمباحث الإخوان) الذى يحاول به إقحام فرقته مجتمع الإسلام ، وكل حجته لذلك ماقدمه متكلموها من بحوث قصدوا بها إلى إقامة دين جديد لا يمت إلى الإسلام بصلة ، بل يقوم على أساس من الفلسفة الإغريقية والأفلاطونية الحديثة والوثنية الهندية .. وأعجب ما فى محاولته تلك إسباغه على جماعته صفات الأبطال الذين نشروا الإسلام وجاهدوا الصليبيين حتى أجلوهم عن الشام .. وبما أنه يعلم مدى افترائه على الواقع وقلبه لحقائق التاريخ ، الذى لم ينقل عن طائفته سوى أخبار التآمر على الإسلام مع أعدائه ،

والاغتيال للمجاهدين فى سبيله ، فقد راح يشتم التاريخ والمؤرخين ويتهمهم بالتحامل على قومه ، عن طريق التزييف الذى عكس وقائعهم رأسا على عقب ! . ولو أن هذا المسكين سمح لعقله بالخروج إلى النور قليلا لوجد ماعرضه فى مقدمته من فلسفة أسلافه أكبر الحجج المكذبة لمدّعياته ..

أكاذيب على الصادق

بقى من سخطات (الهفت) هذا مانسبه إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام من الزعم بتفضيله أولئك (الخياليين) ، من يسمونهم أهل الاصطفاء ، على النبيين .. وحاشا لجعفر أن يتحرك لسانه الصادق بمثل هذا الهراء ، الذى ينزه عنه أصغر تلاميذه من أهل العلم .. ولكن أحدا من الصالحين لم يكذب عليه وعنه كالذى كذب على الصادق وجده على رضى الله عنه من قبله . ولم يحدث هذا التكذب عليه من بعده قط بل نجم فى أيامه ، حتى توقف أيمة الحديث كالبخارى فى الرواية عنه مع شدة تقديرهم إياه وتوثيقهم له ، وذلك أنه – كما يقول الكشى من كبار مصنفى الشيعة – كان جعفر رجلا صالحا ورعا ، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ، ويقولون : حدثنا جعفر بن محمد ، ويحدثون بأحاديث كلها منكرات موضوعة عليه يستأكلون الناس بذلك ، ويأخذون منهم الدراهم[1] .. »

وقد علم الصادق بما يحوكه هؤلاء الكذبة عنه فشدد على تلاميذه فى التحذير منهم حتى ليقول فيهم : « لاتقاعدوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولاتناكحوهم ولا توارثوهم[2] » وبذلك يلتقى الصادق مع جده الكريم بن الكريم على بن الحسين زين العابدين فى شأن هؤلاء ، الذين ينتحلون التشيع لآل البيت ، وهم أشد الناس إيذاءً لآل البيت بما يختلقونه عنهم من الأكاذيب ، فيقول لهم .. « أيها الناس . أحبونا حب الإسلام .. فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا[3] » .

وهذا الصدوق القمى – من أساطين الشيعة – يقول فى هؤلاء الغلاة ..

(١) انظر ص ١٧٩ من كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) للدكتور كامل مصطفى الشيبى ط ٢ دار المعارف

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٤

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٨

« إنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء .[1]

صراحة مشكورة

وقد سبق أن أشرنا إلى أن التهاون فى الاستيثاق من الأسناد مرض يكاد يكون عاما فى معظم فرق الشيعة ، ومرد ذلك إلى تقديسهم المصادر التى يروون عنها ، فحسب الواحد منهم أن يسمع خبرا مسندا إلى واحد من أهل البيت حتى يتعلق به دون أن يسأل عن دليله ..

وأذكر بهذه المناسبة لقاء قدره الله بينى وبين العلامة الإيرانى الكبير الشيخ محمد حسن الشيرازى وكان ذلك فى المدينة المنورة ، وكنت أسكن إذ ذاك فى أحد مبانى الجامعة للإشراف على أوضاع الطلاب ، فأكرمنى بتلك الزيارة مع واحد من كبار علمائهم ذهب عنى اسمه .. وشاء الله أن يطول بنا الحديث وأن يتناول مختلف جوانب الخلاف ، حتى انتهينا إلى موضوع الأسناد والروايات المشبوهة ، ولفتُّ نظر الرجلين إلى بعض ماينطوى عليه من ذلك كتاب الكلينى المرسوم بالكافى ، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخارى عند أهل السنة ..

وحاول ثانى الشيخين أن يحاول تفلتا من النتيجة ، ولكن الأستاذ الشيرازى كان أقرب إلى الإنصاف فقال بصراحة مشكورة : (الحق أقول إنكم أهل السنة قد وفقتم إلى من يخدم علم الحديث ، فيفصل بين صحيحه وحسنه وضعيفه وموضوعه ، أما نحن فلا تزال مؤلفاتنا فى الحديث بحاجة إلى من يقوم لها بمثل تلك الخدمة ..

وكان ذلك منه القول السديد الذى يليق بأهل العلم ، وأحسبنى قلت له يومذاك .. ومن أحق من مثلك بالتصدى لهذه المهمة ؟ ! ..)

والحق أن غير واحد من علماء الشيعة فى إيران والعراق نقلوا فى هذه السبيل خطوات مباركة ، فأعلنوا مخالفتهم لكثير من الأخبار التى يعتبرها سوادهم من الأصول الحاسمة ، ولكن القضية أكثر تعقيدا من أن تحلها محاولة أو اثنتان ، ولابد لتقويم المسيرة من جهود متتالية تحفزها جرأة لا تخاف فى الحق لومة لائم .. وهذا

---

(١) انظر ص ١٧٩ (الصلة بين التصوف والتشيع) للدكتور كامل مصطفى الشيبى ط ٢ دار المعارف

مانود قوله للشيخ وهيب لو قدر الله لهذا الكتاب أن يفلت من (الحصار) ليخرج إلى النور .

وجهل فى اللغـة

على أن الشيخ وهيب ، الثائر بدجل أولئك المرتزقة لإنكارهم مشروعية العبادات الإسلامية ، لا يرى غضاضة فى الخضوع لكل تخاليطهم الموروثة عن كبار أسلافهم ..

لنستمع إليه يقرر مبادئ القوم فى المقصود من تلك الأركان . (فمن ترك الزكاة كمن ترك الصلاة ، لأن الله لم يذكر الصلاة فى موضع إلا وذكر الزكاة معها .. فالصلاة أولا والزكاة ثانيا .. إشارة إلى تقدم الاسم العظيم على الباب المقيم ، وإشارة إلى أنه من الواجب على كل مؤمن أن يعرف الاسم الذى هو شخص الصلاة ، والسين الذى هو شخص الزكاة ص ١٥) .

ومما لا ينبغى تجاهله أو جهله هو اعتقادهم بأن كل عبادة فلها شخصها الذى ترمز إليه ، ولا تصح العبادة دون معرفة شخصها ! .

والظاهر من مواضع فى الرسالة أن الشخص الواحد قد يقترن باسمه أكثر من عبادة ، فقد رأيت هاهنا أنهم يقرنون الصلاة بالاسم - الذى هو محمد ﷺ - وفى ص ١٧ يقرنه أيضا بالصيام إذ يقول فى محاجة الخصوم : (أيها المعاندون .. إذا كان الصيام ذنب - كذا - فالله يأمركم أن تتركوا ظاهر الإثم وباطنه ، وهاقد تركتم ظاهره فاتركوا باطنه ، وماباطنه إلا شخص الحجاب ..) ولم يعد مجهولا كون الاسم عندهم هو الحجاب الذى هو محمد (ص) على أن كاتب الرسالة سرعان ماينسى تقريره هذافيردالصوم إلى عبد الله بن عبد المطلب إذ يقول فى ص ٩ (وأما شخص صيام رمضان فهو عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى كل من تطوع للصيام أن يعلم أن عبد الله شخصه ، لأنه يقول فى الكتاب العزيز (من شهد منكم الشهر فليصمه) أى من عرف عبد الله فليصم ..) .

ويفسر بعض هذا الغموض فى ص ٢٤ إذ يقول فى كلامه عن صوم زكريا الأيام الثلاثة (إنا نتحداهم أن يصوموا يوما واحدا لا ثلاثة أيام عن الكلام .. وأنّى لهم ذلك ؟ .. فهم إذن عاجزون عن اتباع شريعة عبد الله الذى صمت فى

صومه شأنه فى ذلك شأن زكريا ، وبالمثل فإنهم عاجزون أيضا عن اتباع شريعة المصطفى فى الصيام عن الطعام .. يقول الصادق فى الكتاب المذكور - يريد كتاب المجموع - « رمضان عبد الله بن عبد المطلب ، وصيام رمضان هو صمت عبد الله بصيامه فيه ..) وربما كان مرادهم التفريق بين نوعين من الصيام .. صيام الصمت ويجعلونه شريعة لعبد الله ، ثم الصيام المعروف ويجعلونه شريعة لمحمد ﷺ ..) .

وفى نهاية الصفحة نفسها ومايليها من الصفحة الخامسة والعشرين يتابع المؤلف الحديث عن أسرار رمضان نقلا عن كتاب (المجموع) أيضا .. (قال بعض الناس أمام رسول الله .. ذهب رمضان . فقال صلوات الله عليه .. رمضان لا يذهب ولا يجئ ولا له موضع . لا تقولوا رمضان ، فوالله ماتدرون مارمضان ، ولكن قولوا .. شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .. أنتم تشاهدون الشهر أما رمضان لا تقدرون أن تشاهدوه ..) .

وهذا أيضاً من المعقدات التى تتجاوز مفهومات العقول ، فمخترع هذا التعبير الركيك ، وهو ينسبه إلى أبلغ خلق الله ، يفرق بين الشهر واسمه ، فيجعل المشاهدة واقعة على الأول دون الثانى ، لأنه لا يفرق بين (شهد الشهر) بمعنى حضره ، و(شاهده) بمعنى نظر إليه .. هذا إلى أن المراد من هذا التفريق تثبيت معتقداتهم فى باطنية الصوم ، وارتباطه بالأشخاص المقصودين منه أصلا ، بحيث لا تصح عبادة دون معرفة شخصها - كما ذكرنا آنفا - وتوكيدا لهذا المبدأ يكتب الشيخ وهيب بشأن النية وأهميتها فيقول .. (أما النية التى لا يصح العمل إلا بها فى جميع الفروض والنوافل والصلاة والزكاة والحج والجهاد ، إما بقول أهل الظاهر - يريد المسلمين - عندهم إذا عقد العبد على شئ وأسره بنفسه قبل فعله . وأما بقول أهل الباطن - يريد أهل ملته - معرفتك بتوحيد الله فى نفسك وخاطرك وتفقهك فيه قبل إظهارك له لأهله ، وكتمانه عمن شك بتوحيد الله وحده . وأن معناه لاتصح له صلاه إلا بمعرفة الميم ولا صيام إلا بمعرفة الباب وهو سلمان وهو مسلسل .. ص ٢٠) .

فهو هنا يقارن بين مفهوم النية عند المسلمين ومفهومها عندهم ، ويحدد مبدأهم فى النية بأنها ربط كل من هذه العبادات التى ذكرها بشخصها ، كما تقرر لدى المؤمنين بالطريقة (الجنبلانية الفاضلة) .

ويعلل ذلك بقوله .. (إن النواصب يريد بهم أهل السنة – وغيرهم يقيمون الصلاة بأوقاتها الخمس دون أن يلموا بمعرفة ما يخص كل وقت من الأشخاص . فهم مثلا لا يعلمون أن فرض الصبح بشخص السيد محسن ، والظهر بشخص السيد محمد ، والعصر بشخص فاطر – يريدون به فاطمة – والمغرب بشخص الحسن ، والعشاء بشخص الحسين .. كل هذه لا يعرفها أهل الظاهر ، وإنما يعلمون أنهم يصلون صلاة الوقت دون أن يذكروا اسم سيد الوقت والموكل عليه ، وهم بذلك يدخلون البيوت دون أن يعرفوا أهلها ، وهذه هى عليهم الحجة العسيرة الكئود .. ص ٢٠) .

وعلى هذا النحو تجرى مفهومات العبادة عند القوم ، فهى مرتبطة بمن وراءها من (المقدسين) وكل أداء لعبادة دون تشبع بمعرفة صاحبها وذكره مضيعة للجهد وحجة على مؤديها عسيرة ! .

أشخاص رمضان ..

حتى أيام رمضان فلها أشخاصها ولابد من معرفتهم .

يقول الشيخ وهيب .. (شهر شخصه عبد الله والد رسول الله ، وأيامه أربعة منها أولاده أشخاصهم وهم .. القاسم والطاهر وعبد الله وإبراهيم . وأربعة أولها عمه الحمزة وطالب وعقيل وجعفر أولاد عم رسول الله عليه السلام ، وخمسة منها أيتامه الكرام جعفر وأبو الهياج وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ويحيى وصالح ابنا أمامة بنت زينب بنت رسول الله ، وأبوها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب ، وخمسة أيتام .. الباب والنقبا والاثنى عشر عليهم الصلاة والسلام .. وقد ذكرت لك أشخاص الأيام لتكون على معرفة لفضل كل يوم منها . وها أننى سأورد لك أيضا أشخاص الليالى المباركة . (١) آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، وهو من عبد الدار وليس هو عبد مناف والد هاشم (٢) خديجة بنت خويلد (٣) فاطمة بنت أسد (٤) رقية بنت الرسول (٥) أم كلثوم بنت الرسول (٦) فاطمة الزهراء (٧) ميمونة بنت الحارث ص ٣٧ ، ٣٨) .

وهكذا يمضى فى تعداد أسماء النسوة إلى الثلاثين على اعتبارهن أشخاص الليالى من رمضان ، مقابل الثلاثين من الرجال أشخاص أيامه .. وياخسارة من لم يعرف

يوم كل من الذكور وليلة كل من الإناث ، لأنه يهدر جهده ضياعا دون مردود ! .

حتى عيد الفطر فله شخصه أيضا هو السيد محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . يقول الشيخ وهيب ناقلا عن شرح (المجموع) .. (فانظر يأخي قول العالم .. إذا كان الله أحدا أبدا واسمه واحدا أبدا ، وبابه وحدانية أبدا ، لماذا كان السيد محمد شخص عيد الفطر حلل فيه الطعام وفطر فيه الصيام ، وأمر فيه بإخراج الفطرة والصلاة يوم العيد ، والتكبير ورفع اليدين والقراءة جهرا .. ص ٢٨) .

وإنى لأنقل هذه الأسطر وفى ذهنى صورة المريد الصوفى داخلا فى الصلاة ، وهو يركز ذهنه فى (شخص) شيخه ! .

بين موقفين ..

زارنى ذات يوم صديقى العلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ، ومعه عدة من تلاميذه الحمويين ، وقد أوصلهم إلى منزلى - باللاذقية - رجل طالما دس على ليفسد مابينى وبين إخوانى ، وبعد الطعام سألنى الشيخ الصديق .. ماالذى بينك وبين الشعرانى ؟ .. فأدركت أن ثمة مقلبا جديدا من صنع هذا الوشاء ، وأجبت : كالذى يجب أن يكون بينك وبينه .. ولما استزادنى إيضاحا قلت .. آتيك بطبقاته أم تكتفى بالإشارة إلى موضوعاته وصفحاته ؟ .

ومضيت أسرد للشيخ ماحضرنى من طامات ذلك الكتاب ، وكل ماانتهيت من أحد شخصياته - أو مجانينه على الأصح - أسأله .. أيرضيك هذا ؟ .. فيقول : لا .. أبدا .. ثم قال .. دعنا من الشعرانى وحدثنى عن رأيك بالصوفية .. فقلت .. أحدثك بشئ واحد تعلمه جيدا لأنك مارسته طويلا من حياتك كما أخبرتنى .. إنه مايسمونه (ورد الرابطة) .. قال .. وماذا فيه ؟ .. قلت .. أليس على المريد إذا دخل الصلاة أن يستحضر أولا صورة شيخه ؟ .. فلم ينف ذلك بل عمد إلى تفسيره قائلا .. بلى إنه يستحضر شيخه ليسلمه إلى الله ثم يغيب الشيخ ، ويظل المريد مع ربه .. » قلت .. ولكن هذا فى يقينى شرك محض . وفصلت له حجتى فى هذا الحكم ، فلم يجد ما يرد به على ، وانصرفنا عن الحديث إلى غيره .

وإنى لأرى فى مايقرره الشيخ وهيب وأشباهه من الشيوخ ، فى شأن أشخاص العبادات ، صورة مكبرة من استحضار المريد الصوفى لشيخه .. وبخاصة إذا ذكرنا الشعار الذى يرفعه كل واحد من هؤلاء وهؤلاء ، وهو أن « من لا شيخ له فشيخه الشيطان » أليس هو نفسه مايقوله الشيخ وهيب من أن من لا معرفة له بباطن العبادة فلا عبادة له ؟ ..

وأى عجب فى هذا التلاقى .. ومصدر النحلتين واحد هو التصوف الشيعى ، الذى بدأ فرارا من الواقع الذى فرضته الهزيمة ، ثم استحال طرائق مذهبية يحاول تصعيد النفس إلى مافوق ضرورات المادة .. ثم صارت بعض الفرق إلى التفلت من أحكام الشريعة وإلى تأليه الممتازين من البشر ، وأخيرا إلى تقنين هذه الاندفاعات فى قواعد جمعت بين التجربة الذاتية والفلسفة الوثنية والأهواء الشخصية .. ولكنها على اختلاف مشاربها ظلت مرتبطة بالأسس الشيعية التى تنتهى بأصول التصوف إلى على والأئمة من عشرته ، حتى لقد (جعلوا مستندهم فى لبس الخرقة أن عليا ألبسها الحسن البصرى وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة[1] وماالطريقة « الجنبلانية » التى يمجدها الشيخ وهيب فى العديد من صفحاته ، ويعتبر من مفاخر المؤمنين بها التوفيق بين النية والعمل ، أى معرفة الباطن والعمل بالظاهر جميعا (ص ٢٠) – إلا واحدة من هذه الانفجارات التى تنتشر اليوم فى كل مكان من عالم الإسلام ، حاملة معها بذور المجوسية الإيرانية التى تفرغ العصمة والقداسة والألوهية على بعض البشر ، انسياقا مع مواريث الفرس من تأليه ملوكهم وقولهم بالنور الذى ينتقل من ملك إلى آخر[2] .

على أن ثمة جديدا فى موضوع الأشخاص المرموز إليهم فى عبادات القوم يشبه أن يكون تفسيرا لارتباطهم بأعمالهم ، كتفسير المرحوم الشيخ الحامد لاستحضار المريد شخص الشيخ . ففى الصفحة ٣٨ وعقيب تسميته شخص كل نوع من العبادة يقول الشيخ وهيب .. (والغاية من ذكرها – الأسماء – هو أن تعلم أنه يجب عليك عندما تكون صائما أن تتوسل بها إلى الله الذى يتقبل الدعاء بها ..) .

ولابد أن ينسحب ذلك على سائر العبادات ، فشخص كل عبادة يؤديها

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٣

(٢) انظر ص ٣٤٢ من كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع)

النصيرى هو وسيلته التى بها يدعو كى تكون مقبولة عند الله .. ولعل ذلك هو الأصل فى عمل الكثير من المسلمين الذين يتخذون من الأنبياء والأولياء وسائل يسألون بها الله لاستجابة دعائهم . وهذا مايذكرنى بحادث مر عليه مايقارب العشرين من السنين .

كنت أقوم بسنة الفجر ، وفى المسجد جماعة من الشيوخ يضجون بقراءة بعض الأوراد ، وفيها استغاثات مكررة بأهل البيت المطهر واحدا بعد واحد ، فلما فرغت من الركعتين نبهت الجماعة إلى مافى عملهم من تشويش على المصلين ، ومن شذوذ عن سبيل المؤمنين ، فلم يحيروا جوابا ، حتى إذا كان مساء ذلك اليوم جاءنى من يخبرنى بمراجعتهم أحد المتصوفة فى الأمر ، وأنه حرضهم على الاستمرار فى أناشيدهم والمزيد مع رفع الصوت بها . فرأيت أن أختصر الطريق فأحاور الشيخ فى الموضوع قبل أن يبيض ويفرخ .. وأتيته وحييته وسألته ، فلم يكتم ماأشار به .. وهنا عرضت له مالدى من الدليل الشرعى فكان جوابه .. ومع ذلك فنحن نستغيث بالنبى وبالكيلانى وبالمغربى والرفاعى .. قلت : ياشيخ . اتق الله .. أقول لك .. قال الله ، وقال رسوله ، فتقول لى .. أقول أنا .. فمن أنت وماقيمة قولك ؟ .

وشاء الله أن يحضر هذا الحوار بعض مريدى الشيخ فقال له وهو يحاوره : ماهذا ياشيخ ؟ .. أترد أمر الله ورسوله ؟

والتفت هذا إلى صاحبه ويقول له .. تذكر أنك ابن طريق .. فلا حق لك فى مراجعة شيخك .. - يعنى نفسه - ولكن الرجل أبى أن يستمر فى طريق العميان ، وأعلن أنه لا يخضع إلا لأمر الله ورسوله .

والدين .. قال الله ، قال رسوله   لا مايرقشه الغواة على المدى

السور والركعات

لم يعرض كاتب الرسالة لسور الخصيبى الست عشرة كما عرض غيره فى المجموعات السابقة . لأنه إنما يكتبها لمناقشة المخالفين فى موضوع العبادات الظاهرة ، ولا خلاف بينه وبينهم فى السور وعددها . ومع ذلك فقد أشار إلى عددها فى أثناء الكلام عن ركعات الصلوات كما رأينا .

يقول عن مخالفيها .. (ثم ترى عدا عن تهتكهم هذا اختلافهم بالصلاة ، فمنهم

من يصليها سبع عشرة (!) ركعة فوق السور الست عشرة (!) ومنهم من يصلى السجود - اسم إحدى السور الـ ١٦ - فوق أربع آيات قرآنية ولا يصلى سورة من الدستور ..) ص ١٩ .

فنعلم من هذا أمورا منها أن بعض الشيوخ يصلون وأنهم مختلفون فى عدد الركعات مابين ١٦ و١٧ ، والظاهر أنه يميل إلى إيثار الست عشرة لمطابقتها عدد السور الخصيبية .. ولأن السبع عشرة هى عدد ركعات المكتوبات عند المسلمين .

ويقول ناقدا تصرفات هؤلاء المصلين أثناء الصلاة : (ومن المؤسف أن نرى أناسا يخاطبون أولادهم وأقرباءهم وهم يقيمون الصلاة ، بل قد ترى من يصلى وهو يقود دوابه فينهر ثوره أو بقرته ويعود لتكميل السورة التى كان يقرأ فيها) ص ٢٦ .

وهنا نلاحظ أشياء أيضا ، فهو ينعى على هؤلاء فقط كلامهم فى الصلاة بما ليس منها ، وينكر على بعضهم سيره بالدواب ونهره إياها وهو يصلى .. فهل يعنى هذا أنها صلاة بغير ركوع ولا سجود ، بل مجرد قراءة فى النصوص المقدسة فقط ؟ .. هذا مع أننا لم ننس ماسبق أن رأينا من صلواتهم التى فيها الانحناء والتقوس وما إلى ذلك .. ولكنا لا نذكر أيضا أننا لمحنا فيها أى سجود ..

وأخيرا أى السور هذه التى يشير إليها ، أهى من سور القرآن ، أم من الست عشرة التى أشار إليها ، والتى طالعنا مضمونها فى ماتقدم ! ..

الوضـوء براءة ..

ثم إن للصلاة شروطا لا مندوحة عنها على رأسها الطهارة ، وبخاصة من الحدثين . وماأذكر أن أيا من النصوص السابقة حدثنا عن هذا الجانب .. ولذلك كانت إشارة الشيخ وهيب إليه من الجديد الذى لا ينبغى أن يغفل .. فلنستمع إليه يناقش منكريه والمضطربين فى شأنه ..

(ثم إليك الشئ الآخر الذى اختلفوا فيه .. وقول بعضهم بصحته ، وإنكار البعض الآخر بالنسبة للوضوء ، فهم منقسمون أيضا على أنفسهم .. ومن العجب إيجادنا - وجود - من يترك ظاهر الصوم يتبع ظاهر الوضوء ، كما

شاهدنا من ينكر ظاهر الوضوء يتبع ظاهر الصوم .. والاثنان يكفران بعضهما وهما لا يشعران . فالذى يأمر بالوضوء ظاهرا وباطنا هو يعلم أن ظاهره الغسل وباطنه البراءة من شيعة الكفر ..)ص ٢٢ .

فعلى الرغم من ركاكة التعبير لا يخفى أنه يتحدث عن التناقض القائم بين مزاعم الخصوم بشأن الظاهر والباطن .. واعتباره أن الطريق الصحيح هو الجمع بين الوجهين ، ولا جدوى لأحدهما مجردا عن الآخر .. والمهم هنا أن الوضوء – والغسل تبع له – لا يراد به مجرد التطهر من الحدث استعدادا لدخول الصلاة ، بل غايته (التطهر) من الولاء لكل مخالف للملة الخصيبية الفاضلة ..

تساؤل لا جواب له ..

والإيمان بالله لا تستكمل حقيقته ولا تتحقق ثمرته إلا مع الإيمان بحياة ثانية خالدة فيها الثواب للمحسن ، والعقاب للمسيء الذى أفلت من عدالة الدنيا . وعن طريق اليقين بالبعث تصلح الحياة إذ يكون كل مؤمن رقيبا على تصرفاته لا يقدم على أى منها دون تفكير فى مايؤدى إليه فى المرحلة التالية الباقية ..

وقد تبين مما أسلفناه أن للقوم مفهوما فى هذا المجال يفارق مفهوم المسلمين ، بل يباين مفهوم أهل الكتب السماوية جميعا ، ذلك أنهم استعاضوا عن عقيدة البعث بعقيدة التناسخ ، التى أوضحنا تفصيلاتها ، فالنعيم فى عقيدتهم هذه هو التطور الصاعد من الطبق الأدنى إلى الأعلى حتى يطير إلى منزلة أولئك الذين حدثنا عنهم من « أهل الصفا » الذين أزيلت من طريقهم الحواجز الكونية ، فلا يحبسهم مكان عن مكان ، ولا قميص عن قميص .. وكذلك الجحيم ليس سوى الانتقال فى الأطباق السفلى إلى نهايتها . وتلك هى عقيدة مئات الملايين من البوذيين والدروز والإسماعيلية والنصيرية وماإليهم ..

وقد كانت هذه العقيدة من أسرار الديانة المضنون بها على غير أهلها عند النصيريين ، بخلاف التناسخيين الآخرين الذين لا يرون ضرورة لكتمانها .. ومما يسترعى انتباه الباحث فى هذه الأيام أن هذا الكتمان المعهود قد بدأ يتخلخل ، فالنصيرى المثقف بخاصة لا يرى حاجة إليه ، بل يندفع إلى التصريح به فى حماسة ويشجعه على ذلك مايطالعه من آراء لفلاسفة غربيين يقولون بذلك أو يحومون حوله ..

ومن ظواهر هذا التطور الصريح جدا مانطوت عليه أخيرا دراسة الشاعر النصيرى الأستاذ حامد حسين لأفكار (المكزون السنجارى) تلك الدراسة التى تستحق كل تقدير ، وإن أغضبت الكثير لأنها دفعت بالعقائد النصيرية بقوة غير منتظرة إلى منطقة الضوء ، فبات من العسير على المؤمنين بها العودة إلى عهود الكتمان والمبالغة فى التقية[1] .

وعلى ضوء هذه الملاحظات نتأمل فى قول مؤلف الرسالة .. (مازال الإنسان عاملا على معاصاة مولاه الذى خلقه وسواه ، وإنه تعالى يمهله ولا يهمله ، حتى إذا جاء يوم النعيم أدخل الله جنته من أطاعه ، وأعطى ناره من عصاه)ص ١٢٧ .

فماذا يريد بالنعيم والنار ليت شعرى ؟ .. أهما الدوران فى سلاسل التناسخ إلى مافوق أو إلى ماتحت ؟ .. أم هما الحقيقتان اللتان أخبر بهما القرآن ؟ ... الحق .. أن الجواب الحاسم على هذا التساؤل جد عسير ..

ثائر وخاضع فى آن

ومهما تتعدد العوامل الدافعة بهؤلاء الإخوة إلى الانحراف عن السبيل الحق فلا نكران أن أهمها ورأسها هى الثقة العمياء بدعاتهم الذين لا يرون من مصلحتهم استعمال عقولهم فى ماورثوه من أقاويل ، يتلونها بأفواههم دون أن تمس قلوبهم ، فضلا عن أن يطلقوا إسار أتباعهم من العامة الذين هم مرتزقهم اليومى .. وهذا الشيخ وهيب الثائر بمخالفيه ، المعلن صراحة فى أكثر من موضع من رسالته أنه يحمل (دعوة للإصلاح ونبذ كل ماهو مخل بالقانون الإلهى) ص ٤٠ لا يكاد يقع على العبارة من كلام أسلافه حتى يخضع لها ويخنع ولا يسمح لنفسه حتى بالسؤال عن سندها شأن المريد الذائب فى شيخه الذى شحن قناعة بالقانون الطرقى القائل : (من قال لشيخه .. لم ؟ .. لم يفلح قط) .. وقد رأيت فى ماأسلفنا من رواياته شواهد ذلك ، والآن أضع بين يديك نماذج أخرى ستدعك تتساءل طويلا : من يصدق أن فى الأرض من يصدق هذا ؟ .

فى الصفحة ١٩ ينقل عن كتاب يسميه (الحجب والأنوار) وينسبه إلى (الحكيم محمد بن سنان الزاهرى) (قال .. سمعت العالم علينا سلامه يقول .. « يامحمد . حرام على من أسقط من نفسه الظاهر بعد أن عرف الباطن .. فإننى

(١) راجع (المكزون السنجارى ..) ج ١ ص ٢٨٥ - ٣٠٣ فصل (التناسخ) .

آليت أن أعذب من يفعل ذلك عذابا أليما لم أعذبه لأحد من عبادى قط..) وواضح أنه يريد بـ (العالم) الله - تبارك اسمه- الذى لاأحد غيره يملك القدرة على العذاب الأليم ، ولاتضاف عبودية الخلق إلا إليه سبحانه .. وواضح كذلك أن كاتب الرسالة فى نقله هذا التعبير المبالغ الضعيف والركة إنما يثبت فقدانه ملكة التمييز التى لا تفرق بين غث الكلام وسمينه .. فمثل هذا اللغو يستنكف نصف الجاهل أن ينسب إليه فكيف يعزوه إلى رب العزة ؟ ..

وفى ص ٣٨ (ويقول الله جل شأنه .. كنت تعبد وتصوم لمن لا تعرفه ، فلما عرفته لماذا لاتصلى وتصوم ، ولماذا تخلفت عن طاعته وعبادته ؟ ! . بل إن تكن عابدا زاهدا ناسكا ورعا وقورا تعمل كاعمل مواليك منهم السلام فى المقامات وأدبوا على أشياعهم بالنسك والعبادة ..)

وهذا أيضا معزو إلى بارئ الخلق ، ومنزل القرآن ، ومعلم الإنسان البيان ، وهو ماهو فى سخف التعبير ، وهو كغيره من مروياتهم (المقدسة) يؤكد بركاكته أنه من صنع أعاجم لم يتذوقوا قط أساليب العرب .. ومع ذلك لا يرى فيه ما يمنعه من التسليم المطلق به ..

مفتريات تفضح نفسها ..

وأنقلك الآن ياقارئى إلى قصة لاتملك نفسك أمامها من الإغراق فى الضحك الممزوج بالإشفاق على هؤلاء الإخوة المضيَّعين ..

يقول الشيخ وهيب هداه الله : (دخل يوما عمر بن الخطاب على أبى بكر فى شهر الصيام وقال له .. يا أبا بكر .. نسيت حينما دخل عليك حذيفة بن اليمانى - كذا - ومعه سل بن حنيف وعثمان وخزيمة بن ثابت يوم الجمعة من شهر الصيام إلى دارك ، فلما انتهوا إلى باب الدار سمعوا أم بكر زوجتك تناشدك وتقول لك قد عمل حر الشمس بين كتفيك ، فقم من الدار إلى داخل الخباء ، وابعد عن الباب لئلا يسمعك أحد أصحاب محمد فيهدر دمك .. وقد علمت أن النبى ﷺ أهدر دم من فطر فى شهر رمضان من غير سفر ولا مرض ومن فطر فى شهر رمضان بدون هذين العذرين مخالف الله ورسوله. فقلت لها: أنت هاتى الكأس لا أملك فضل طعامى . فوقف حذيفة بن اليمانى ومن معه ليسمعوا محاوروتكما وجئت فى إناء فيه ثريد وأخذت الكأس فكرعت منه فى ضحى النهار ، وقلت

لزوجتك شعرا وهو هذا :

دعينى أصطبح ياأم بكر	فإن الموت نقب عن هشام
ونقب عن أخيك وكان صفوا	من الفتيان فى شرب المدام
أجيبى بالتحية أم بكر	وهل لك بعد قومك من سلام
يقول لنا بن كبشة سوف نحيا	وكيف تعيش أشلاء العظام
وود بنو المغيرة لو فدوه	بآلاف جمال أو سنام
ألا من مبلغ الرحمن منى	بأنى تارك شهر الصيام

فسمعك حذيفة وأصحابه تهجى محمدا ومن معه فهجموا عليك فى دارك ، فوجدوك والكأس فى يديك وأنت تكرعه ، فقال لك : مالك ياعدو الله خالفت الله ورسوله وصار عليك حدان ، حد الفطر وحد الإدمان على السكر ، ثم حملوك كهيئتك إلى مجمع الناس بباب الله (ص) وقصوا قصتك على مشهد الناس ، وساررتك على ضجيج الناس وقلت لك : قل إنى حسبت ليلا فوجدت نهارا) ص ٢١ .

وهذه القصة يعزوها إلى كتاب (الهداية الكبرى) المنسوب .. كما يقول – (لشيخ الديانة ومعدن الأمانة أبى عبد الله الحسين بن حمدان) ..

وطبيعى أن مثل هذه التفاهات أهون من أن تستحق تعقيبا وتعليقا ، إذ يكفى أن يقرأها ذو مسكة من عقل حتى يشعر بالغثيان ، ويقلب شفتيه سخرية بمخترعيها ومفتريها .. ومع ذلك لابد من ملاحقتها ببعض الملاحظات لسبب واحد هو أن ناقليها ومبتدعيها لايريدون بها مجرد التلهى بقلب الحقائق ، بل يقصدون من ورائها إلى تعهد الأحقاد فى قلوب الجهلة باسم الدين .

فأسلوب القصة ينم – كأخواتها السالفات – على أنها مؤلفة من قبل أعجمى لا يفقه العربية ، وأنها إنما كتبت للغوغاء الذين يعيشون فى ظلام الأوهام ، التى يشحنون بها صدروهم وأسماعهم فلا يكادون يتصلون بأى سبب من المعرفة بأحداث التاريخ ، كأشباههم من عامة الصليبيين ، الذين حجزتهم الكنيسة عن مطالعة أى كتاب غير مؤلفاتها ، فانكمشوا فى قوقعتها قرونا يرددون ماتقول ، حتى تسرب إليهم النور من أرض الإسلام فكفروا بالكنيسة وبما وراء الكنيسة . وقد نسبوها زورا إلى الخصيبى بن حمدان للتمكين لها فى أتباعه ، وهى أبعد

ماتكون عن بيانه المشهود من خلال أشعاره .

وقد بلغت القصة من التفاهة حدا بعيدا سواء فى الأسلوب أو فى الوقائع .. فأى قارئ للتاريخ يجهل مثلا أن ليس للصديق ولد اسمه بكر ، وأن أيا من زوجيه لم تكن أم بكر . ثم أين هذا الخباء الذى يراد منه الدخول إليه ؟ وهل كان الصديق فى البادية ، أو أن هذا الأعجمى الكذوب لا يفرق بين الخباء الذى هو الخيمة وبين البيت المبنى ؟ .

ثم .. ألا يستحى من عزو هذه الأبيات المعربدة إلى الصديق ، الذى أجمع مؤرخوه على أنه أحد قليلين لم يتذوقوا الخمر، ولم يقولوا الشعر ـ خشية التورط فى الهجاء ـ فى جاهلية ولا إسلام ! .

ثم أيضا .. هل يعتقد الشيخ وهيب ومثله معه أن قومه لايزالون فى عزلة عن عالم الناس ليصدقوا مثل هذه الأضاليل فى حق العُمَرين وهم يطالعون بأنفسهم تاريخهما فى المدارس والجامعات ، ومؤلفات العلماء والمستشرقين ، فيرون أنهما بإزاء قمتين من فضائل الإسلام، لم تعرف البشرية نظيرا لهما بعد النبيين ، إلا فى القلة الأولين من إخوانهم تلاميذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورضى عنهم أجمعين ..

ولعمر الله أن مثل هذه المفتريات وحدها كافية لإيقاظ النيام ، من الذين خدعوا طويلا بهاتيك الأوهام ، فحيل بينهم وبين حقائق الإسلام ..

حقيقة القصيدة ..

ولا يحسن أن ننصرف عن هذه القصة المفضوحة دون أن نشير إلى أصلها وفصلها ، فإن نظرة فاحصة إلى أسلوبها ومضمونها ترد القارئ إلى حقيقتها ، ففى أسلوبها أولا لون من الجزالة المعروفة فى القرن الأول ، على الرغم من بعض التحريف الذى اعتورها ، ومن حيث المعانى فهى صادرة عن شاعر أحرق الحزن قلبه على أعزة له غلبه عليهم الموت .. وفى إشارته إلى رسول الله ودعوته إلى الإيمان بالبعث دليل على تنكره للإسلام ، ودليل آخر على أن الأحداث التى يشير إليها ذات صلة بدعوة المصطفى ﷺ ..

وإنها لكذلك .. فقائل هذه الأبيات هو أبو بكر شداد بن الأسود بن شعوب الليثى ، يرثى بها رؤوس المشركين الذين قتلهم الله فى بدر ، وقد أوردها ابن

إسحق فى الجزء الأول من سيرته مع الأشعار الأخرى التى بكى شعراء المشركين بها قتلاهم .. وأثبتها ابن كثير فى البداية والنهاية وقدم لها بما يفيد أن (أم بكر) التى يخاطبها الشاعر هى امرأة له طلقها الصديق وخلفه هذا عليها .. وبين رواية ابن إسحق ورواية الرسالة بعض الفروق فى بعض الألفاظ إلا أنها فروق لا تؤثر على نسب الأبيات ، وربما كان مردها إلى أثر الرواة الأُوَل ..

وفى إيراد الشيخ وهيب إياها ضمن الأكذوبة البلقاء ، ودون تدقيق ولا تحقيق ، صورة أخرى لتهاون القوم فى نشدان الحقيقة ، استسلاما لأقاويل الأفاكين ، مع أن قليلا من الجهد مع بعض الفطنة كافيان للوصول إلى الأصل ، والحصول على الخبر اليقين ..

أين المعتبرون ؟ ..

فى العديد من صفحات الرسالة يلح مؤلفها على وجوب التحرر من التقليد والاعتصام بالحق وحده .. وياليته بدأ ذلك بنفسه ، فأعمل فطرته وبصيرته وعقله فى هذا البناء الموروث من الأعاضية .. إذن لكان نعم الرائد للشباب الذين يوجه إليهم دعوته .. ولكن مع شديد الأسى لم يجد فى نفسه الجرأة على المواجهة ، فاكتفى بالقشور ، وراح يؤكد ويكرر ماروته وماتضمنته فى خضوع العبد لمالك رقه ، وفى اعتزاز الببغاء بتقليد آمريها ..

لقد طغت موجة المعرفة على كل شئ وفى كل مكان .. حتى كبرى الحقائق واليقينيات لم تسلم من هجمتها الشرسة ، ولابد أن مؤلف الرسالة هذه قد لمس آثار هذا التغير فى من حوله من الجيل الجديد ، الذى أصبح شديد الجماح على كل انقياد لغير ماastقر فى (معلوماته) وإذا هو تقبل بعض تلك المواريث غير المعقولة فإلى حين ، لأنه لم يتلقها باقتناع ، بل بدافع الحفاظ على مكانه من جماعته .. ولكن هذا وحده غير ضامن لاستمراره فى ذلك الضياع ، وسيأتى اليوم الذى يجد فيه نفسه مضطرا للانفصال عن ذلك الوضع ، والاتجاه فى طريق آخر يتفق مع بيئته الفكرية .. فمن الذى يضمن لهذا الجيل يومئذ ضبط مسيرته فى نطاق الحق وحده ..

لقد حدثنى أخ موثوق من إيران أن ثلاثة وثلاثين ضابط احتياط فى جيش بلاده فى إحدى الدورات لم يوجد بينهم سوى واحد فقط يؤمن بالله .. فمن أين

تسربت إليهم هذه السموم ؟.. ومَن المسئول عن هذا المصير ؟ ..

أما أنا فأرد ذلك إلى جو الممارسات الدينية القائمة على تقديس الأشخاص ، واعتبار ذروة سنام الإسلام هى زيارة المشاهد والتعلق بالقبور ، وانتظار عودة (الغائب) الذى سيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ! .

وهانحن نسمع ونرى ماتعانيه إيران العزيزة هذه الأيام من شقاء لا يعلم إلا الله نهايته وعواقبه .. ولو ارتفع مشايخ إيران إلى مستوى الحقائق الإسلامية ، فأخلصوا دينهم لله وحده ، ووقفوا عند حدود شريعته دون إفراط ولا تفريط لاختلف بيلدهم السبيل ، ولجنبوا أمتهم هذا البلاء الوبيل .

فهل من متعظ أو معتبر ياأولى الألباب ؟(١) ..

الكفر الذى لا يقبل الستر ..

وبديهى أن الكلام فى الأخبار المنحولة يجر إلى الحديث عن أشباهها ، على اعتبار كل من القسمين معتمدا على الآخر فى موضوع الاتجاه الدينى .

لقد انكشفت الأستار نهائيا عن أساس العقيدة الخصيبية أو النصيرية ، فلم تعد التقية بقادرة على إيهام أحد ، وبخاصة المشتغلين بالعلم ، إنها العقيدة التى نص عليها القرآن ، وبلغها المعصوم وإخوانه النبيون ، عليهم صلوات الله وسلامه

---

(١) عقيب تسطير هذا البحث ومساء الأحد ٢٦/١٢/٩٨ شاء الله أن أستمع إلى إذاعة (عبادان) فأتلقى من خلالها صوت ذلك (القصاص) الإيرانى المدعو (حجة الإسلام شبير السيد عدنان) وهو يجيب على سؤال أحد مستمعيه حول الحديث الصحيح الذى يسمى فيه رسول الله ﷺ العشرة المبشرين بالجنة من كبار أصحابه رضى الله عنهم .. فإذا هو يحشد الغرائب الشوارد من الأخبار التى تشوه سمعة الصحابيين العظيمين طلحة والزبير ، لينتهى منها إلى رد الحديث ، وإصدار أسوأ الأحكام عليهما .... وطبيعى أن المراجع التى يستقى منها لاتمت إلى الحقيقة ولا الحياء بأى صلة ، لأن تاريخ الصحابيين الجليلين ومآثرهما فى خدمة الإسلام مسطورة فى أوثق المصادر ، وبأدق التفاصيل ، وعلى ألسنة الرواة المعدَّلين ، مِن آمن الناس على دين الله .. ولكن الهوى عمى وكره الرافضة لمعظم الصحابة يزين لهم التكذب عليهم ، وقبول أوهى الأخبار بشأنهم .. وهى هى العقدة المشتركة بين غلاة الشيعة جميعا فى كل زمان وفى كل مكان .. إلا أن من فضل الله على الأجيال الجديدة من أهل الإسلام أن سلطان الأكاذيب قد بدأ فى التوارى ، لتحل محلها الحقائق .. وهانحن أولاء نرى حجاج الإيرانيين وغيرهم من أهل التشيع ينتظمون معنا فى الصلاة وراء أئمة الحرمين ، بعد أن كانوا لسنين خلت يؤذون المصلين بقضاء وقت الصلاة بالوقوف بينهم والمرور خلال صفوفهم ، دون أن يشاركوهم فى الجماعة .. وهى واحدة من ظواهر كثيرة تؤكد أن المسلمين على أبواب مرحلة جديدة صالحة إن شاء الله .. ولعن الله الكذابين المفرقين بين المؤمنين ..

لأنهم موقنون بقول ربهم .. ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾- النحل فلا مكان في عقولهم ولا في قلوبهم لقبول الادِّعاء الذى يقول: إن الله ثالث ثلاثة، أو رأس ثلاثة هم (المعنى والاسم والباب) أخذا بمقالة البرهمية التى تدعو إلى الآلهة الثلاثة (برهما خالقا ، وسيفا مدمرا ، وفشنو مجددا)[1] وأن هذا الإله المزعوم يتكرر - مع صاحبيه - فى ظهورات[2] مشهودة ، فيأخذ فى كل ظهور صورة بشر ، يخالط الناس كواحد منهم ، فيقيم الصلاة التى أمرهم بها ، ويصوم الصيام الذى فرضه عليهم ، ويؤدى كل ماألزمهم إياه من التكاليف ، لغرض تعليمهم كيفية أدائها .. فمرة يظهر لهم فى شخص (هابيل) فيتحمل عدوان أخيه وقتله دون أن يمد إليه يدا .. وإنما فعل ذلك - كما يزعم كاتب الرسالة - (ليعلمهم العبادة وتقريب القرابين) ص ٣٣ وهو ماأسلف مثله فى ص ١٠ ثم تتابع ظهوراته المزعومة من شخص شيث (ص ٣١) حتى شخص على رضى الله عنه ، فيستر حقيقته عمن يشاء ، ويعلنها لمن يشاء .. حتى ليصرح لأحدهم بقوله - على ذمة الشيخ وهيب بنقله عمن يدعوه (صاحب الرسالة المصرية - وكبرت كلمة تخرج من أفواههم - (أنا القادر بمعرفتى يصح التوحيد .. أنا رفعت سماءها ، وسطحت أرضها .. أنا الله رب العالمين ..) ص ٣٠ .

وفى الصفحة نفسها يصرح أن عليا نفسه هو الذى أرسل محمدا ﷺ لتبليغ الناس مايريد منهم ، (لأن تبليغ الرسالة خاص بالرسول ولاينبغى للمرسل ..

ثم ماإن يغيب أمير المؤمنين رضى الله عنه عن مسرح الحياة حتى يطل فى أشخاص الأيمة من عترته ، فيتوارى عن الأكثرين ويستعلن للأقلين ... وقد تفضل مؤلف هذه الرسالة فأرانا من هذه العجائب مايضحك الثكالى من العجائز ، وأسمعنا ، من مثل ذلك الاستعلان المنسوب إلى على ، غير قليل من إعلانات أخرى على ألسنة غيره من أبنائه (الذين ينزههم عن الولادة والحلول فى الأرحام ..) كما يزعم فى ص ١٠ وفى ص ٢٣ .

ولا حاجة إلى الاستكثار من هذه البلايا ، التى قلما خلت منها واحدة من صفحات الرسالة صراحة أو إشارة .. وهى مضافة إلى أخواتها التى استكشفناها

---

(١) انظر كتاب (المكزون السنجارى) ج ١ ص ٢١٧ ط ١

(٢) فى ص ٣٠ و ٣١ يعد الشيخ وهيب برسالة قادمة عن موضوع الظهورات .

من خلال المجموعات السابقة ، تقطع كل محاولة للتهرب من هذا الواقع الرهيب ، الذى يريد المنتفعون به أن يستبقوه فى دهاليز البشرية ، ليستمر سلطانهم على أولئك الأبرياء ، الذين حجبهم المضللون طويلا عن أنوار الإسلام ، ثم أبت الأقدار إلا أن تفسح لهم السبل أخيرا للاطلال على الحقائق من خلال التطور العام الذى لا سبيل إلى تفاديه ..

خطوات رائدة

على أن من الإنصاف لكاتب هذه الرسالة أن نسجل له جرأته فى مواجهته الواقع الذى يقوم المرتزقة على حراسته ، وهى خطوة على قصرها تعتبر عملا مشكورا لأنها ستزلزلهم وتضطرهم إلى إعادة النظر فى ماألفوه وماتوارثوه ، على الأقل حفاظا على مصلحتهم التى باتت مهددة بالتحرك الجديد .

ومحاولات سابقة ..

والحق أن هذه الانتفاضة الثورية من الشيخ وهيب غزال ليست الأولى من نوعها ، بل سبقتها محاولات للإصلاح كان رائدها محمد غالب الطويل فى كتابه (تاريخ العلويين) الذى كان أول من أسبغ عليهم هذا اللقب فيما أعلم ، فأصبحوا يعرفون به فى مختلف ديار العرب من المحيط إلى الخليج ، بعد أن كان خاصا بذرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. وقد حاول هذا المؤلف إلى جانب التسمية الجديدة ، نقل القوم من عالم الخفاء والضياع إلى ساحة الضوء بهوية جديدة ، كطائفة ذات دين له مفهوماته الخاصة ضمن نطاق الفرقة الاثنى عشرية من الفرق الإسلامية .

ثم جاء الشيخ عبد الرحمن الخير فبذل محاولات لا تنكر لتثبيت هذه الصبغة ، فى مانشره من مقالات عن (العلويين) فى مجلة الأمانى التى كانت تصدر فى مدينة اللاذقية خلال العامين .. ثم فى مراجعته لكتاب محمد غالب الطويل المذكور فى طبعته الثانية عام ١٣٨٦هـ ، التى قدم لها محللا وناقدا فى مايقارب الثلاثين من الصفحات ، ومع كل ماتضمنته تلك المقدمة من تحامل على (المخالفين) فقد حافظت على الخط نفسه الذى يستهدف بالدرجة الأولى إبراز الشخصية (العلوية) بوصفها ذات الأثر الضخم فى تاريخ الإسلام ، ومن أجل ذلك لا يرى بأسا فى أن يسلك طريق (الطويل) والدفاع عنه (مصطفى غالب) الإسماعيلى

فى الحديث عن جماعته كعنصر أساسى من القوى الشيعية ، دون تفريق بين ديلمى وحمدانى وفاطمى ودرزى و .... وكلهم لا يجهلون نظرة الجعفريين إلى مؤلهى على وأبنائه وحكمهم بالكفر والإخراج من الملّة على كل متصف بذلك . على الرغم من تحيز الشيخ محمد حسن الشيرازى إليهم فى كراسته التى جعل عنوانها (العلويون شيعة أهل البيت) وهو أزكى من أن يفوته الواقع ،ولكنها شهادة سياسية تستهدف (المصلحة) أكثر من اهتمامها بالحقيقة .

ومن بوادر الخير فى رسالة الشيخ وهيب تلك النزعة الإنسانية التى تتجلى فى بعض تحليلاته لآثار العبادات ، كالذى يرويه من الحوار بين الإمام محمد بن على الباقر وأحد سائليه (.. أخبرنى عن المؤمن المستبصر من شيعتكم إذا كمل وبلغ فى المعرفة هل يزنى ؟ . قال لا . قلت هل يسرق ؟ .. قال .. لا . قلت .. فهل يلوط ؟ .. قال .. لا ... قلت .. إن البعض من شيعتكم الذين يخلصون المحبة لكم قد يدمنون على السكر والعربدة ويخيفون السبيل ويرتكبون الكبائر ، ويتهاونون بالصيام والصلاة وأبواب البر .. قال .. ويحك ياإبراهيم .. فوالله ليسوا من شيعتنا لأن شيعتنا لا تلد العواهر ..) ص ١٨ .

ومن هذا الضرب العالى ماأورده فى ص ١٦ عقيب ذكره الآية الكريمة .. ﴿.. وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ ويقول : هاهنا (معنى جليل . هو أن الله بتفضله علينا وقبوله دعاءنا كأنه يطلب منا أن نسمع له كما يسمع لنا . ونجيب دعوته كما أجاب دعاءنا ..) .

ولاننسى مأثرة هذا الرجل فى الدفاع عن سلامة القرآن العظيم بوجه المفتريات التى يتبناها بعضهم ممن يزعم أن ثمة نقصا وزيادة فى المصحف الذى أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ وتلقاه بالتسليم المتواتر مجموع الأمة منذ نزوله حتى الساعة ، توكيدا لوعد الله الحق ..﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ اللهم إلا تلك السقطة التى عرضه لها انسياقه مع فرية ذلك الذى زعم ما زعم فى شأن الآية (إن كنت تقيا) فزاد عليها (إلا) ...

وهنا أكرر ماسبق أن قلته من أن حشده لتلك التخاليط الباطنية إنما كان فى ظنى برغبة الاستحواذ على ثقة الشباب الذين يريد استنقاذهم من سلطان

المرتزقة .. وإلا فإن فى مواهب الرجل مايرفعه عن أشباه تلك السفسطات التى لم يعد لها مايسوغ القول بها فضلا عن قبولها .. كيف وقد بات معلوما لدى كل ذى مسكة من علم وتفكير سليم أنها متحدرة من عقائد المجوس الذين كانوا ينظرون إلى ملوكهم على أنهم كائنات إلٓهية اصطفاهم الله للحكم ، وخصهم بالسيادة ، وأيدهم بروح منه ، فهم ظل الله فى أرضه .. « فلما اضطروا إلى التظاهر بالإسلام وقفوا مع الشيعة ، ومعهم كل مواريثهم المجوسية ، وبخاصة تقديس الملوك ، فحولوا كل ذلك إلى أهل البيت ، الذين لم يلبثوا أن صاروا إلى تأليههم ، وسرعان ماسرت عدوى هذا الوباء إلى الذين لابسوهم من سذج العرب[1] ، فإذا هم كما قال المعرى فى ورثائهم ..

أفيقوا أفيقوا ياغواة فإنما دياناتكم مكر من القدماء !

لم كل هذا الكتمان !

إن الذى يتتبع أفكار الرجل على مدى الصفحات الإحدى والأربعين ، ليلمس بقوة حرارة اللهجة التى يسطر بها كلماته ، وعمق الإخلاص الذى يملى عليه مايملى ، فلا يسعه إلا أن يأسف بحرارة وإخلاص لصيرورة هذا المجهود إلى مثل تلك النتائج المخيبة للآمال .. تأليه البشر ، والازدواجية الممزقة لطاقة الإنسان بين الباطن والظاهر . وماهى فى الحقيقة سوى تكرار للوثنية المجوسية ، التى طالما وزعت الإنسان الفارسى بين إلٓه الظلمة (آهريمن) وإلٓه النور (أرمزد) ..

وأنّى لقارئ هذه الرسالة ، وفيها مافيها من لمعات الخير ، ألّا يأسف لتلك العثرات التى تدفع كاتبها إلى (تكريس) الكتمان والإلحاح على التشبث به ، على اعتباره صيانة لأمانة الدين ، الذى لايجيز لمعتنقه أن يبوح بسره لغير المؤمنين مثله ، وكل حجته فى ذلك أقاويل يحكيها عن فلان وفلان ، ممن أعطاهم يد الطاعة على العمياء ، فلا يرى بأسا أن يتبنى قول أحد أسطوريهم .. الذى نقلناه فى ص ١٣٠ (أوصيك ياأخى ونفسى بكتمان سر الله وباطن مكنونه إلا عن الموحدين بمعرفة العلى الأعلى ..) ص ١٣ وليس سر الله وباطن مكنونه فى مفهومهم إلا معرفة على رضى الله عنه لا على الطبيعة كما خلقه الله ، ورباه رسول الله ﷺ ، بل على طريقتهم هم التى تأبى إلا إخراجه عن بشريته ، والإيمان بألوهيته ، ومن أجل ذلك يؤكد على مدعويه فى ختام الرسالة وجوب المبالغة فى كتمان هذا السر ،

(١) راجع تفصيل ذلك فى (فجر الإسلام) و(الصلة بين التصوف والتشيع) .

عملا بوصية من يسميه (شيخ هذه العقيدة المعطاء السمحاء – الخصيبى بن حمدان –) ص ٣٧ جين يحدد باطن الصوم بأنه (حفظ هذا السر العظيم عن الإباحة ، وباطن السر الذات الغامضة ..) ص ٤٠ .

وهو يسلك بمدعويه هذه الطريق المظلمة دون أن يتذكر أنه إنما يدفعهم دفعا إلى اتخاذ لبوسين ، وارتداء وجهين ، وقد نسى قوله فى ص ٤ (إن الله ورسوله وملائكته لعنوا ذا الوجهين ..) .

ومرة أخرى نتساءل لم كل هذا الإلحاح على الكتمان .. إذا كان القوم على شئ من الثقة فى مايدعون إليه ؟ أم يريدون استبقاء أتباعهم فى زنزانات الأساطير التى لا تقوى على مواجهة الضوء ؟ .. وهيهات هيهات أن يستمر لهم هذا السلطان ، وقد أطبقت على الإنسان معاول الحدثان من كل مكان ..

والشئ الذى لا يمكن تجاهله هو أن وراء هذا التشديد على (كتمان الدين) رغبة فى تثبيت الأحقاد التاريخية على أهل السنة ، الذين لا ينفك يشير إليهم باسم الضد والأضداد .. فكأنه وزملاءه الآخرين موقنون ألا خطر على (مصالحهم الشخصية) أكبر من التلاقى على الصراحة بين الفريقين ، وقد جربنا ذلك مع بعض الإخوة من مشايخهم ، فإذا هم يسارّوننا بنقمتهم من تلك الأسرار ، ويودون لو تتاح لهم الظروف المناسبة لتعريتها على الملأ .. ولا نرى بأسا فى التصريح بأن كثيرا من دقائق معلوماتنا عن تلك الخفايا إنما يعود الفضل بها إلى هؤلاء الإخوة ..

على أن من المؤسف لنا أن ثمة شيوخا من أقرب أصدقائنا فيهم لايزالون مترددين بين الحق والتشبث بالمواريث المشبوهة .. ولقد جرنا الحديث مع أحدهم ، فى أعقاب صدور كتاب الأستاذ حامد حسن عن (المكزون السنجارى) حتى قلت .. لم يعد ثمة مايستدعى الكتمان بعد هذا الكتاب ، فما رأيك فى إجراء محاورة عميقة فى صدور بعض المجلات العلمية حول النقاط الهامة التى أثارها والتى تتطلب مواجهة برأى الإسلام ؟ .. فلم يوافق على ذلك ورأى أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه المصارحة .. والعجيب من أمر هذا الصديق أنه على الرغم من موافقته لنا فى معظم الشئون المتعلقة بهذا الموضوع ، لايزال حريصا على معاملتى بالكتمان (المقدس) فى بعض المواقف . وأذكر بهذه المناسبة أنى كنت فى

مكتب له ومعنا أحد مشايخهم المتحمسين فطفق هذا يتحدث عن تفوق أمير المؤمنين على رضى الله عنه على سائر الناس بأفكاره التى لا تلحق ، وركز فى ذلك على الحديث المشهور (أنا مدينة العلم وعلى بابها) فقلت له .. أما علوم الإمام فليس بين أولى الألباب من ينكر سموها وعظمتها ، وهى التى تستمد من معين النبوة التى نشأ فى كنفها ، ولكن الاحتجاج لذلك بهذا الحديث وحده غير مقنع للمخالف إذا وجد ، لأنه من الأخبار الواهية من حيث السند ، الذى لابد من اعتباره قبل قبول الحديث ، إذ لولا الإسناد لقال من شاء بما شاء – كما اتفق على ذلك جهابذة الحديث – . ولكن الشيخ عزَّ عليه أن يفقد حجية الحديث ، فراح يدافع عنه بما وسعه من الوسائل الكلامية .. وهنا رأيت صاحبى – الذى لم يشارك فى الحوار – يغادر المكتب كأنه يلاحق عملا ما ، ثم لاحظت أنه يقف فى الركن المواجه للشيخ المحاور فيشير إليه بوقف الكلام فى هذا الأمر .. وكان ذلك منه ترجمة لإيثاره الاستمرار فى (الكتمان المقدس) على أنى تجاهلت شأنه ، ومضيت أوضح للشيخ مفهوم أهل السنة للحديث وتصنيفهم له وفق أسانيده ، فلا يحتجون بأى حديث لايثقون بصحة صدوره عن صاحب الرسالة الأعظم صلوات الله عليه وسلامه وآله وصحبه .

ولعل الشيخ لم يسبق له أن عرف شيئا من علوم الحديث ، وحسب أن المسلم كالنصيرى يتلقى كل كلمة يقذف بها الشيخ دون تفكير ولا مراجعة .. وماأشك أن اطلاعه على هذا الجانب المجهول لدى القوم قد وضع فى قلبه نواة خير له ولغيره إن شاء الله ...

عمل صالح وآخر سيئ

وغير بعيد عن هذا ذلك الموقف الآخر يوم زارنى صديق آخر منهم ، وقد جاء ليشكرنى على مقال نشرته لى مجلة العرفان ، حول حادثة نفسية جرت لى فى أعقاب قراءتى خطبة للإمام على كرم الله وجهه ، فى وصف جهنم ، فلاحقتنى صورها الهائلة حتى النوم ، فإذا أنا أهب من رقادى ، وقد غلبنى الفزع الأكبر ، وتجمع أهلى على يستطلعون خبرى .. وقرأ الصديق على يومئذ أبياتا يمدحنى بها ، ويهنئنى بما عرفت من قدر على ، وكأنه يعتبر ذلك منى شذوذا عما يكنه أهل السنة نحو أمير المؤمنين .. فحاولت إقناعه بخطئه فى ذلك ، وأكدت له أن هذا

رأى كل مسلم فى رابع الراشدين رضى الله عنهم أجمعين ، ولكن القوم يأبون تصديق هذا الكلام ، ولا يخرج بنظرهم عن كونه لونا من تقيتهم المعروفة لسبب واحد هو أنهم ورثوا عن أجيالهم اليقين بأننا سلالة النواصب ، والنواصب فى عرفهم هم الذين يناصبون عليا وآله العداء .. فلا سبيل إلى تغيير رأيهم فى المسلمين إذن ، حتى يتسنى لهم الشك فى إرثهم الطويل العريض من تلك التصورات المدخولة .

أجل .. لقد خلط الشيخ وهيب فى رسالته هذه عملا صالحا وآخر سيئا ، وليته استكمل انتفاضته فشمل بثورته الإصلاحية كل جوانب الخطأ التى ينوء تحت أثقالها ذلك الشعب الطيب المتعطش إلى الحقيقة ..

لقد قرأت رسالته للمرة الأولى قبل أربع سنوات ، فلما أعدت مطالعتها هذه الأيام واجهتنى فى ذيلها هذه العبارات التى كنت قد لخصت بها انطباعاتى عن مضمونها ..

« .. إنها ثورة بانحراف مشايخ النصيرية عن أصول الملة ، ومحاورتهم بقوة فى موضوع العبادة الظاهرة ، وعلى رأسها الصوم . ففيها من هذه الناحية ظاهرة هامة تجعل كاتبها واحدا من المجددين المجتهدين فى الملة الخصيبية ، وفيها من الجديد روح إنسانية خلقية تسكب فى تلك النحلة روحا غير مألوف فى سائر كتبهم . ولولا تحامله على أهل السنة بتسميتهم الأعداء والأضداد لقلَّت المآخذ عليها .. على أن عبادة القوم وخرافاتهم تظل أساسا مكينا فى أصول الرسالة . ولا ننسى أن أسلوبها ينم عن ثقافة عصرية ولغوية من النوع المتوسط ، وإن لم تخل من الأغلاط الكثيرة التى يعود كثير منها إلى ضارب الآلة .

ثم إن عرضه للآيات دليل أيضا على اتصال غير قليل بكتاب الله ، الذى يخالف الكثيرين من مشايخهم بدفاعه الحار عن سلامته وصحته ..

وأخيرا إن الرسالة خطوة هامة فى طريق التطور الذى سينتهى ذات يوم إلى التحرر التام من خرافات المشعوذين المخترعين للباطنية والمروجين لها .. إن شاء الله .. »

وأرانى الآن مقتنعا كل الاقتناع بهذه الانطباعات ، فلا أزيد عليها إلا الدعاء من

أعماق قلبى ، أرفعه إلى رب العزة أن يشدد من عزيمة هذا الرجل ، ويثبت قلبه على الهدى ، حتى يقذف بكلمة الحق مجلجلة تهز القلوب ، لا يخشى فيها لومة لائم ، ولا يريد بها إلا وجه الله والدار الآخرة .

ولاحول ولا قوة إلا بالله ..

﴿ أُذِن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِموا .. ﴾

يلاحظ القارئ للمقالة السابقة (سورية الجريح ...) أنها كتبت فى غمرة الأحداث الرهيبة التى تمثلت فى مجزرة المدرسة الحربية فى حلب ، والزلزلة التى أعقبتها فذهبت بالعشرات من الأبرياء والمتهمين فى الشارع وعلى يد المحكمة العسكرية ، التى ساقت إلى أعواد المشانق خمسة عشر من خيرة شباب الإسلام فى الشام ..

ولم تكن خلفيات المجزرة قد تكشفت بعد للناظرين ، فلم يكن ثمة متسع للتعقيب عليها إلا من خلال القرائن والاستنباط ، وهكذا سجلنا خواطرنا كما أوحت بها المفاجأة والمقدمات المشهودة .. فلما استقرت الأمور فى طريقها الدموى ، وتجلت خلفيات الوقائع ، لم نجد أنفسنا بعيدين عن السداد فى معظم ماكتبناه هناك ، وبخاصة فى ماأشرنا إليه وأنذرنا به من توقعات راجفة ستعقب تلك المقدمات ، التى أعطت المسئولين ما يعتبرونه عذرا مسوِّغا لإبادة العنصر المصفَّى من أبناء الإسلام وأحرار الشام ...

ولكى تكون الإبادة (عملا مشروعا) كان لابد لها من سند (قانونى) يحيل القتل الجماعى أمرا مقبولا لا سبيل للاعتراض عليه ، وهكذا أعد القانون الذى يعتبر مجرد انتساب الفرد إلى جماعة الإخوان المسلمين كافيا لجعله مُهدَرَ الدم ، مستحق الموت ، فى محاكم ميدانية لا تسمع دفاعا ، ولا تتسع لاستئناف .. ولا تفرق بين شيخ وشاب وفتاة .. ومن أبى التسليم لهذه (العدالة العبقرية) لم يجد جوابا على ذلك إلا تهديم مأواه على رأسه وأهله جميعا ! ..

وماهى سوى أيام حتى عمت الطامة كل مكان من سورية الجريح ، فدُمِّرت الأحياء ، وانتهُكِت الأعراض ، وغرقت الربوع الآمنة فى ظلام من الرعب لا يرى البصير فيه يده ، ولا يعلم متى يحين موعده ، ثم لم تقف رحى الموت والدمار حتى مُلئت القبور ، وشحنت السجون بعشرات الآلاف من أبرياء الرجال والنساء ، واقتُحِمت معتقلاتٌ لتصفية نزلائها خلال لحظات ، ثم سحبوا بالجرافات لِيغيَّبوا فى أخاديد جديدة كبكب فيها الجرحى والأموات على

السواء ... وبذلك أعيدت للتاريخ مرة ثانية صورة رهيبة من المأساة الكبرى التى اجتاحت بغداد يوم دهمتها جيوش هولاكو بتدبير الرافضيَّين الوزيرِ العلقمى والنصير الطوسى ...

وما إن تتوقف مطحنة الموت الجماعى ، حتى ينطلق جنودها يجوسون خلال بقية الديار ليقتنصوا كل من بقى من عناصر الخير ، فينتزعوهم من بيوتهم ومن جامعاتهم ومدارسهم ومن مساجدهم ، فردا فردا ، ثم يطلقوا عليهم نيرانهم ويشوهوا معالمهم ، كى لايدعوا للسان أن يتكلم بعدهم إلا همسا ! .

وكل ذلك على مرأى ومسمع من مئات الملايين من العرب والمسلمين ، دون أن يرتفع باستنكاره صوت رسمى ، حفاظا على حرمة الحكام الذين لا يجوز التدخل فى شئونهم ولا يحق لأحد المساس بحساسيتهم ! ..

ولقد رآنى القارئ فى ذلك المقال أنافح عن سمعة الإخوان فأرد عنهم التهمة الموجهة إليهم فى قضية المدرسة الحربية ، استنادا على ماأعرفه من مبادئهم التى تتجنب العنف ، ومع كل التطورات التى أعقبت تلك النازلة لاأزال عند رأيى فيهم ، وقد لمست من تتبعى أخبارها وملابساتها ، مازادنى يقينا بسلامة موقفهم وبراءتهم الباتة من ذلك الحدث ، وماأشك أنهم فوجئوا به كما فوجئت أنا وغيرى ، ولكنهم على الرغم من ذلك اضطروا إلى المشاركة فى مسئوليته التى استُجزوا إليها دون رغبة ولا نية ، وإذا كان لأحد من العاملين فى نطاق الدعوة أى صلة أو علم سابق به ، فلا يعدو أن تكون علاقة فردية تخصه وحده دون الجماعة .

أما أصل القضية كما تراءت صورتها لى حتى الآن فيعود إلى التنظيم الخاص الذى تولاه المهندس الشهيد مروان حديد رحمه الله وغفر لنا وله ، فى عزلة تامة عن الإخوان .

لقد كان لهذا الفتى شخصية جذابة تستهوى الشباب المؤمن بمميزاتها العالية ، التى يمكن تلخيصها فى عنصرين : الإيمان العميق بقضية الإسلام وحقه فى حكم الحياة الإسلامية فى كل شئ ، ثم التصميم الحاسم على مقاومة كل تيار معادٍ له أيا كان مصدره وحماته ، ومهما يكن الثمن الذى يتطلبه ذلك الإيمان وهذا التصميم ..

وقد بدأ الشهيد دعوته إلى هذا المنهج قبل سنين من حادثة حلب ، فكان لجهوده الدائبة بين الشباب أثرها العميق فى استهوائهم وانطباعهم بأفكاره ، وقد ضاعف هذا الأثر طول صحبتهم له ، وكثرة ترددهم عليه وتفرغه لدعوته ، والتزامه السلوك الذى يدعوهم إليه حتى التفانى .. وفى مخيماته الصيفية التى كان يقيمها أحيانا على شواطئ (الباص) من ضواحى بانياس الساحل ، لابد أنه كان حريصا على تدريب المعجبين به على مختلف الأنشطة الرامية إلى تقوية جوانب الفتوة فى حياتهم ...

وقد برزت ثمرات هذا التنظيم المروانى فى معركة الدستور ، التى كانت طليعة الاحتكاك بينه وبين السلطة الحاكمة .. فقد انطلقت أول رصاصة فى مقاومتها من أعلى منارة مسجد السلطان ، وذلك من مسدس صغير فى يد فتى حَدَثٍ . هاله أن يرى أستاذه والعشرات من إخوته المعتصمين فى المسجد محاصَرين من قبل الجيش الطائفى ، الذى شحنت هتافاته الفضاء متحديةً كل مسلم بتلك الكلمات المثيرة :

هات سلاح وخد سلاح دين محمد ولى وراح ...

فلم يتمالك أن قفز إلى أعلى المنارة وراح يفرغ حشو مسدسه باتجاه الجنود ، وماهى إلا لحظات حتى سُلِّطت القذائف على المنارة فدكتها ، ودكت بها سقف المسجد الذى قضى على العديد من الفتية المحصورين ، وأعقب ذلك اعتقال مروان وبعض أعوانه حيث سيقوا إلى قبضة كبار الجلادين ليذيقوهم ألوانا من العذاب لعل أيسرها نتف لحاهم وحشو أفواههم بها ..

وقدم رئيس الدولة - أمين الحافظ - وأركان حربه ليشرفوا على وضع المدينة الذى بلغ أقصى التوتر ، وجىء بمروان لمواجهتهم ، وقد تولى حراسته الضابط ... جديد ، شقيق صلاح جديد ، القابض على أزمة الجيش يومئذ .. حتى إذا كان على مشهد من (فخامة الرئيس) جعل يدفع مروانا بفوهة رشاشه ، فما كان من مروان إلا أن ارتد عليه بصفعة دفعته إلى أن يتحفز لرميه برشةٍ قاتلة ، ولكن صوت أمين الحافظ وقف حركته ، إذ دعاه لتقديمه إليه .. وهناك صرخ بمروان موجها إليه بعض الألفاظ السوقية المهينة ، ولعله حسب أن موقفه محاطا بكبار العسكريين ، من حملة النجوم الذهبية ، وحولهم الجنود المدججون يحتضنون

رشاشاتهم فى وضع المهيأ للإطلاق ، حسب أن موقفه هذا سيوقع فى قلب مروان الرعب .. بيد أن سرعان ماتيق من عجزه ، حين سمع صوت مروان يُهيب به ، فى عزة المؤمن الذى استغرق كيانه جلالُ ربه ، فصنغر فى عينيه كل وجود آخر : احفظ لسانك .. ولا تتجاوز حدود الأدب ! ..

وأعيد مروان إلى ظلمات السجن ، وضوعفت عليه أصناف العذاب وهو رابط الجأش لا يزيده البلاء إلا إمعانا فى التحدى ، كالذهب الذى توقد عليه النار فلايزيده حرُّها إلا توهجا ونقاءً ...

وأحيل إلى القضاء العسكرى ليجعل منه عبرة لكل من تحدثه نفسه بالاعتراض على تصرفات السلطة ، التى قررت من لحظاتها الأولى القضاء على كل تحرك إسلامى ، وبخاصة جماعة الإخوان ، إذ كان من بواكير أعمال أمين الحافظ إنذارهم بأن الحزب على أتم الاستعداد لاستئصال شأفتهم عند أولى البوادر ! .

ولكن مروان سرعان ماخيب توقعات القوم ، إذ كان فى أجوبته لتلك المحكمة ماعطل تدابيرهم ، وملأ صدور الحضور إعجابا برجولته ، التى استحالت دروسا يتناقلها الناس فى مختلف أنحاء البلاد ، فتعلمهم كيف يستعلى الإيمان الحى على كل ألوان البلاء ! .

وكان بين الأسئلة التى وجهت إليه أثناء المحاكمة واحد عن مدى ارتباطه بجماعة الإخوان المسلمين ، فكان جوابه : يشرفنى أن أكون من تلك الجماعة ، ولكن يؤسفنى أنها لم تفسح لى سبيل القبول ..

وطبيعى أن هذا التصريح من فم الشهيد يومئذ كان كافيا لإعلان انفراده بالمسئولية عن كل تصرفاته ، وأن ثمة تنظيما مستقلا يتولاه بنفسه دون مشاركة ولا اتفاق مع الإخوان المسلمين .. ولا مجال للظن بأن تصريحه ذاك كان محاولة لإبعاد الإخوان عن غمار المحنة التى يغانيها ، فمثل مروان حديد فى شجاعته القاهرة ، واستعلائه العجيب على عوامل الخوف ، لأبعد مايكون عن أن تُقبل فى حقه تهمة التهرب من الواقع ، أو الإقرار بغير الحق مهما تبلغ النتائج ..

وكان المتوقع أن تكون هذه المرحلة آخر عهد مروان بالحياة .. بيد أن الله قدَّر له أن يخرج من المحنة سليما بعد أن تدخل فى القضية فضيلة المغفور له ، إن شاء الله

شيخ حماة وإمامها محمد الحامد ، إذ طلب مواجهة أمين الحافظ ، على غير عادته المعهودة بالابتعاد عن الحكام ، وترك للسانه أن يوجه إليه ومَن حولَه واحدةً من مواعظه البليغة ختمها بطلب الإفراج عن مروان وإخوانه ، فكان لها أثرها العميق فى قلوبهم ، لم يلبث أن دفعهم إلى إخلاء سبيل الشباب ، وهم يحسبون أنهم يحققون بذلك مصلحة أكبر وأجدى لحكمهم من القضاء عليهم ! .

وغادر مروان معتقله يومئذ حزينا منقبض النفس ، وصرح لبعض إخوانه أنه غير مرتاح إلى هذه النتيجة، وكان يود لو أمسك فضيلة الشيخ عن مسعاه الذى أدى إلى الإفراج عنه ! . .

وماإن استقر به المقام حتى استأنف نشاطه كأشد مايكون ، ولما أحسَّ بتحرك المسئولين لِشل ذلك النشاط توارى عن أنظارهم ، واتخذ لنفسه ملاذا خاصا فى دمشق يلتقى فيه بمن شاء من إخوانه .. حتى انتهى خبره إلى القائمين بالتنقيب عنه ، فما لبثوا أن أحاطوا به ، وفى هجمة حامية تطايرت خلالها القذائف من كل جانب استطاعوا اعتقاله وبعضَ من كان عنده ... ثم لم يغادر سجنه الرهيب إلا إلى مثواه الأخير بعد أن هبط وزنه إلى مايقارب الثلث ..

على أن نهاية الشهيد مروان لم تقض على تنظيمه الذى أنشأه على عينه ، بل كان منطلق تحرك جديد لَمَسَ الناس آثاره فى عمليات الاغتيال الفردى التى تتابعت هنا وهناك ، فلما انفجرت ملحمة المدرسة الحربية فى حلب أقدمت السلطة المحاكمة على تنفيذ مخططها ، الذى طالما أنذرت به ، وهو القضاء على سواد الإخوان الذين لم تر أخطر منهم على أهدافها البعيدة .. وهكذا صدر القانون الأعجوبة **٢٩٢** وعقدت المحاكم الميدانية لتصفية كل من ثبت أو اشتُبه فى انتمائه إلى الجماعة .. وانتُزِع الرجال من بيوتهم ليلصقوا وجوههم على الجدران ، ثم تنهمر عليهم النيران فيسقطون بالعشراتِ والمئات ، حتى لتباد أُسَر بأجمعها ، فضلا عن أفراد يغتالهم القتلة أمام أعين أمهاتهم ، وأبناء يمزقهم الرصاص بين أيدى آبائهم .. وامحَّى الوعى وطفا الحقد ، حتى ليكره الرجل على دوس المصحف ، والبول على اسم الله ، وحتى ليؤمر الأب بالفاحشة مع ابنته ! .. وطم البلاء حتى لتكاد تذهل كل امرأة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ! ..

ولم يكن غريبا فى مثل هذا الجو المجنون أن يتذكر الناس أن لهم أيديا تستطيع

العمل ، وأن لديها بعض الوسائل التى تمكنها من الدفاع ، حتى تعذر أمام الله فلا تستسلم للموت والهوان قبل أن تبذل كل مجهود فى الذود عن الأنفس والحرمات ..

على أن تصميم القوم على التدمير والتتبير كان أكبر من حماسة الجماهير وسكاكينهم ومسدساتهم ، فإذا الدبابات تصب مقذوفاتها على كل شئ ، توجهها الحوامات الطائرة ، وتساعدها بالصواريخ المدمرة تحير القصور أطلالا ، ومساكن المساكين ركاما ، ثم لاتقف المجزرة إلا بعد أن سجلت حاسبات الموت فى حماة وحدها عشرات الآلاف من القتلى ، وما لايحصى حتى الآن من الأيامى واليتامى ..

● وهنا لابد من وقفة تأمل نحاول خلالها تحديد مسئولية الإخوان المسلمين فى هذه الفتنة العمياء ، وبخاصة أمام التاريخ ، الذى لن يهتدى إلى الحقيقة الواقعية من خلال ركام الأخبار التى سيقرؤها الناس مما كتبته الصحافة المضللة ، وماحملته التقارير الرسمية المتحيزة ...

لا جرم أن فى ماقدمناه من عرض لخلفيات الأحداث مايكفى للتوكيد على أن الإخوان المسلمين – كجماعة – قد فوجئوا مثل غيرهم بالوقائع تتلاحق منذ انطلاق أول رصاصة من المقاومة ، وإن كان الاتهام قد بدأ يوجه إليهم من البادرة الأولى .. حتى إذا أخذت النار تزحف باتجاههم لم يجدوا بدا من التحرك للذود عن أعراضهم وأنفسهم .. وذلك أقل مايجب عليهم فى مثل هذه الظروف .

أجل .. إن اندفاعة الحزبية الطائفية التى فرضت سلطانها على البلاد ، ومارافقها من قسوة وتهور فى معاملة الاتجاه الإسلامى ، تفرض على أصحاب هذا الاتجاه مواجهة الهجمة الشرسة بكل ما يملكون من وسائل المقاومة ، وهذا مافعلوه حين أعلنوا رأى الإسلام فى الدستور البعثى ، ونبهوا الجماهير الإسلامية إلى مايراد بهم وبدينهم من ورائه .

ولقد دفع هؤلاء المذكِّرون ثمَنَ تحركهم بما تحملوه عقيب هذه الانتفاضة الإسلامية من ألوان العذاب ، وأفانين البلاء طوال السنين التى أمضوها فى غياهب السجون ..

ولم يكن ثمة من وسيلة أخرى للمقاومة أكبر من الاحتجاج الذى هز أركان

السلطة ، وحرك ضمائر المسلمين إذ وضعهم أمام مسئولياتهم فى هذه المرحلة الرهيبة من تاريخهم فى هذه البلاد ، التى أخبر رسول الله ﷺ . أنها مَحْضَنُ الإيمان حين تقع الفتن[1] .

وهكذا تتحدد مسئولية الإخوان بأنهم تقدموا الصفوف لمواجهة الخطر الذى يتهدد دينهم ووطنهم من ذلك التخطيط ، الذى يريد سلخ المسلمين من رسالتهم السماوية ، وبتحويل مسيرة المجتمع من جادة الوحى الهادى المنقذ إلى صحراء الضياع ، الذى يهيئه لهم أعداء الإسلام والإنسانية ..

وهو الموقف الذى تنتهى إليه طاقة الإخوان العزَّل بإزاء السلطة المدججة بأحدث الأسلحة ، المعدة فى الأصل لقتال أعداء البلاد من الصهيونيين والمستعمرين ..

بيد أن غيرهم من ذوى الغيرة الإسلامية رأوا أن واجبهم فى هذه المرحلة يتجاوز نطاق الاحتجاج فالاعتقال ، فلا يسقطه إلا الإقدام على القتال بكل سلاح متوافر لديهم ، عملا بالخبر المأثور القائل بأن (سيد الشهداء يوم القيامة حمزة ، رضى الله عنه ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) .

وهكذا آثر هذا الفريق الآخر تحقيق واجبه عن طريق النار والدم ، فسلك إلى هدفه سبيل العمل الفدائى ، الذى لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .. ثم لم يدع لنفسه أن تتأمل بعيدا فى مردود هذا المسلك على أهله وبلده آخر الطريق ...

وأنا إذ أعرض لموقفى كل من الفريقين لا أريد أن أحاكم أحداً على طريقته التى اختارها ، فلكل منهما عذره فى تصرفه ، وقناعته الخاصة بما عمل ، ولعل أقرب مثل على موقف الفريقين هو اليوم المعروف فى تاريخ الإسلام بيوم الجسر الذى رأى بعض المسلمين هدمه ليقطع أمل المجاهدين بالعودة إلى الضفة الثانية ، فيضاعفوا جهدهم للقضاء على عدوهم ، ولكن ضغط العدو كان أكبر من تصميمهم فاضطروا للانكفاء ، وجعلوا يتساقطون فى النهر ، حتى أدركهم المثنَّى بن حارثة فأعاد الجسر ، وحمى تراجعهم حتى خلصوا من سيوف العدو

(١) من حديث أخرجه البزار وأحمد والطبرانى مرفوعا عن (أبى الدرداء) وفيه (أن الإيمان حين تقع الفتنُ بالشام) والجار والمجرور (بالشام) خبر (أن)

المنصب عليهم كالسيل الجارف ..

ومع أن للقائد الشهيد أبى عُبيد نتيته المبرورة فى اجتياز النهر إلى العدو بدل انتظاره فقد ثبت أن رأى الآخرين باستدراج العدو إلى الضفة الثانية ، ثم باستبقاء الجسر لحاجة المسلمين ، هو الرأى الأحكم ـ فى تقديرى على الأقل ـ .

على أن مسئولى السلطة لم يكن فى خطتهم التفريق بين هذا الفريق أو ذاك من خصوم أهدافهم فوجدوها خير فرصة لاجتياح الجميع ، وهكذا تدافع رسل الموت يدمرون ويقتِّلون وينشرون سحب الرعب فى كل مكان ، وكان حَظ حماةَ أوفر الأنصبة من هذه الجوائح ، فهُدِّمت معاقلها ، التى طالما انطلقت منها زحوف المجاهدين لقتال المستعمرين ، على رؤوس الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء ، ودُمِّرت مساجدها التى مِن عَلى منابرها صدرت النُّذُر بما يحمله دستور البعث من أسباب الهوان لتكريس الطغيان ..

وكان كل شئ قد أُعِد لهذه الملحمة منذ اليوم الذى انفرد به حزب السلطة فى حكم البلاد ، بعد أن استُبعد من صفوفه كل العناصر التى يُتوقع معارضتها من الناصريين والاشتراكيين وبقية المغفّلين .. وإلّا فلمن تألفت سرايا الدفاع ، الكتائب الخاصة ، ثم سرايا الصراع ، وجمعية المرتضى ، وما إلى ذلك من مؤسسات عسكرية وسياسية ، وكل منها يشكل دولة داخل دولة ! ..

وقصارى القول أن التقويم الصحيح لموقف الإخوان المسلمين ، ـ كجماعة ـ يؤكد أنهم قد فوجئوا كغيرهم بضربة المدرسة الحربية ، ثم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم مطوقين بكمائن الهلاك والانتهاك ، تتخطفهم من هنا وهناك ، فلم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى الدفاع المشروع ، وهم يعملون مدى البون الشاسع بين إماكانتهم ـ المحدودة ـ وذخائر خصومهم المتدفقة عليهم من مختلف الأنحاء .. ولكنه الإسلام الذى يأبى لهم أن يُعطوا الدنية من أنفسهم دون أن يستفرغوا مجهودهم فى الذود عن العرض والدين .. ليكون قتيلهم فى عداد الشهداء ، ويبقى جريحهم وطريدهم وسجينهم شاهد حق على وحشية الغاصبين والظالمين .. وصدق الله العظيم القائل فى محكم كتابه المبين :

﴿أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لَقدير﴾ الحج الآية/٣٩ .

محتوى الكتاب

عنوان البحث	الصفحة

صفحات غير مرتبة
من المخطوط الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم خبرًا سمعته عن شيخنا وسيدنا أبى عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبى صاحب الرأى المصيب عليه رضوان الملك المجيب فى كل شروق ومغيب قال أنه كان إذا حضر بين أياديه عبد النور[1] يأخذ القدح فى يمينه ويملأه خمراً وينهل منه ثلاث نهلات ويترنم عليه فى هذا القداس المبارك وهو قداس عبد النور

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلى وحده الذى انجز وعده ونصر عبده وعز جنده وأهلك ضده وهزم الأحزاب وحده فلا الـٰه قبله ولا اله بعده مفزع الطالبين وغاية العارفين إلٓه الأولين وإلٓه الآخرين له الدين الخالص وإن ماتدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير أمير المؤمنين الملك الحق المبين اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد اللهم صل وسلم على سيدنا سلسل وعلى آل سيدنا سلسل وعلى أيتام سلسل مصابيح الظلام مفاتيح الكلام هدة الخلق فى الأنام اللهم أنى أشهد شهادة الأخلاص أولات حين مناص اللهم اشهد أن هذا عبدك عبدالنور شخص حللته وكرمته وفضلته وجبت معرفته لأولئك العارفين بك حلالاً طلقاً وحرمته ومقته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حراماً نصاً اللهم مولاى فكما حللته لنا ارزقنا به الأمن والأمان والصحة من الأسقام وانفى به عنا الهم والأحزان وواصل اجتماعنا للسادة وأمثالها واتنا الحسنة بتطايرها واجعلها خالصة فى طاعتك ووفقنا للعمل بما يرضيك وابدى بإخواننا المؤمنين فى مشرق الأرض ومغربها وقبلها وشمالها والّف كلمتنا وكلمتهم فى توحيدك وزينا بعدهم ولا تفرق بيننا وبينهم إنك على عظيم وعلى ماتشاء قدير ياعلياً ياكبير وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاوؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الأرض نتبواء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين « قوس » ثم يرفعوا رؤوسهم ويقرأ الإمام قداس الممازجة وقوله

تعالى

(١)عبد النور وقضيب النور : هما الخمر

من الذنوب ثقل الجبال الرواسى ومن جعل نفسه بغير محلها ثقلت اوزاره ومن رد على الإمام قوله خالف الله ورسوله ومن ضحك وقهقه عند إقامة الصلاة دخل فى زمرة ابليس وكان من جملة الثلاثة الملاعين ويوجب على كل مؤمن عارف إذا حضر فى مجالس أهل العلم والتوحيد يكون كما قال السيد الرسول قال كن عالم أو متعلم أو سامع أو مستمع ولا تكون من الرابعة فتهلك اعلموا أيها الإخوان أن العالم الذى يعلم الناس والمتعلم الذى يسمع ويتعلم من العلماء البالغين والمستمع الذى يسمع ويتبع ما سمع منها والرابعة لايكون عالم ولا متعلم ولا سامع ولا مستمع فيكون بهذه السيرة من الهمج الرعاع من حزب إبليس وشيعته نعوذ بالله من ذلك وإياكم الأستنقاص بقدر اولاد الوجاقات ويحرم لبس الحذا وشقع العبا وحمل السلاح والتمهزى على الفقراء والمساكين والنقص بالدين طرح فى الذين ويحرم أكل الربا والزنا وتغيير الأشخاص عن مواضعها والكذب ولبس المتشابهات مثل شملة السودا وعصبة الزرقاء وكشتوان العظم والسكين بحدان وضرب التبان والنظر فوق السجود ولا سجود قبل سجود الإمام ولا قيام قبل قيام الإمام ورفع الصوت فوق صوت الإمام حرام لقوله تعالى يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبطوا اعمالكم وانتم لا تشعرون ويحرم الوشوشة ولعب القمار والكثر فى النقفه ويحرم شعر الباط وطول الصافى وقميص العثمانى وطول الشارب وعقد الوزار وفقع الأصابع وكثر الالتفات وتحرم الصلاة على من به علامة من شرح السبعين وعلى المخالف والمأبون واعلموا أيها الإخوان مامن علة ظاهرة ولا باطنة تحل فى أجسام البشر مثل برص وجذام وجنون وبرسام وخرس وطرش وفقر ومرض وجذام وخطا وبلا وساير الخطا والأوجاع واعلموا أيها الإخوان أنهم جميعهم أحلهم البارى من النقص والتقصر فى حقوق الإخوان ومخالفة الرحمن وقد حلل الله لعباده المؤمنين فى أوقات الصلاة صفاوة النية وتطهير القلوب والمسامحة لبعضكم بعض وصفوا نواياكم أيها الإخوان واطلبوا من الله العفو والغفران لقول سيدنا العالم منه السلام لا يكون

المؤمن

الثانى عشر أمام وبحق ثلاثماية رجل وثلاثة عشر رجل رجاله العز الكرام والسادة الميامين الأنجاد العظام الذى خولهم جوانب الدنيا وذمام الأقلام وفى أيديهم الحل والإبرام بأمر مولاهم العلى العلام الله يحل فى دياركم البركة والرحمة والسعادة والنعمة ياأصحاب هذا الجود وهذا الإحسان ويقدس ويرحم أرواح إخواننا المؤمنين مقام بعد مقام يامولانا ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اتبدا إليك وأسألك واتوسل إليك يامولاى فى أسامى أشخاص الصلاة وفروضها ونوافلها فالصلاة هى السيدمحمدمنه السلام وأشخاصها الخمسة فهى أشخاصه وأسماؤه وماسوى ذلك من النوافل إلى تمام اثنين وخمسين ركعة فهم منه وإليه حسبما شرحه شيخنا وسيدنا أبى عبدالله الحسين بن أبى حمدان الخصيبى قدس الله روحه فى رسالته وبنيه فى مقالته نثراً ثم أوزدها شعراً فقال فى النثر الأول الوقت الأول صلاة الزوال ثمانية ركعات أسماؤهم القاسم والطاهر وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وهى آمنة وفاطمة الزهراء هؤلاء السبعة أولاد رسول الله صلعم من خديجة أبنة خويلد وإبراهيم من مارية القبطية وبعدهم فرض الظهر أربع ركعات محمد وفاطر والحسن والحسين ونافلة العصر ثمان ركعات عبدالله ومحمد وعون بنوا جعفر ابن أبى طالب وأبو سفيان وجعفر ومحمد وأبو الهياج بنوا الحارث ابن عبد المطلب ومحمد ابن أبى حذيفة الوقت الثانى العصر الفرض أربع ركعات محمد وفاطر والحسن والحسين الوقت الثالث المغرب الفرض ثلاث ركعات محمد وفاطر والحسن والنافلة أربعة ثوبان مولى رسول الله وخزيمة ابن ثابت وأبو الهيثم مالك ابن التيهان الأشهلى وأبو سعيد الخدرى الوقت الرابع عشاء الآخر الفرض أربع ركعات محمد وفاطر والحسن والحسين والنافلة ركعتين من جلوس يحسبان بواحدة وهما زينب الحولا العطارة وأمة الله ابنة خالد ابن سنان العبسى صلاة الليل ثمان ركعات وهم عبدالله وعبد مناف والحمزة والحارث

والزبير

والعيان والغيبة والبيان ومن ذلك قول مولانا أمير المؤمنين تعالى ذكره ولم يزل يدعو الناس إلى ذاته ويسمع الملحد والموحّد دعوته ليثبت عليهم حجته فمن ذلك قول الميم إليه التسليم رفع سمكها فسواها واغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها فاخرج ماءها ومرعاها والجبال ارساها وقال مولانا أمير المؤمنين تعالى ذكره في خطبته أنا رفعت سماءها وسطحت أرضها وارسيت جبالها وشققت انهارها وانبتُّ أشجارها وانرت شمسها وقمرها وقال السيد الميم إليه التسليم وانه هلك عاد الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا اظلم واطغى وقال مولانا العين تعالى ذكره أنا نبأت النبيين وأرسلت المرسلين أنا الذى طلبتني القرون أنا مهلك عادٍ وثمود وقروناً بعد ذلك كثيراً أنا الأبد الذى لا أبيد أنا الأنزع الصنديد والمبدى والمعيد وأنا الأمل والمأمول والفاضل والمفضول أنا صاحب القرآن ومعد الفرقان وباب الإيمان وحجة الرحمن أنا وارث الأنبياء وسيد الأوصياء أنا نور الأنوار ومبيد الأشرار وقاسم الجنة والنار ومهلك الفجار ومخرب الديار وعامر القفار ومحصى عدد الأمطار ومكيل ماء البحار ومواقع أجنحة الأطيار ومحصى ماحاط به الفلك الدوّار وقدرت كل شئ عندى بمقدار أنا مصفف الصفوف ومدير الحتوف بالزلازل والخسوف فهذا وأمثاله مما يحصى إشارته إلى ذاته كل ذلك لاثبات الحجة واعلان سرّه وجهره ولو كان المسمّع غيره لهم فكان يقول هو فعل وهو صنع كما قال الميم إليه التسليم رفع سمكها فسوّاها وقال مولانا العين أنا رفعت سماءها وقال الميم وأغطش ليلها وأخرج ضحاها وقال مولانا العين أنا ظلمة ليلها وإنارة شمسها وقمرها وقال السيد الميم إليه التسليم والأرض بعد ذلك دحاها وقال مولانا العين أنا سطحت أرضها الميم يقول هو فعل وهو صنع والعين عز عزه يقول أنا فعلت وأنا صنعت وكذلك يقول الميم هو الأول وهو الآخر وهو الباطن وهو الظاهر وهو بكل شئ عليم وبهذا خاطبته الشمس في بقيع الفرقد لما قال السلام عليك ياأول خلق الله الجديد فقالت له وعليك السلام

ياأوّل

صفرا البقر جبرائيل الملأ الأعلى سلمان وأسماؤه فى القباب البهمية فهم سيراوس واردوان كنانة جمقيا وفيروزا أنوشروان كيكاوش يزدان شاهيور بهرام جورا فريدون دودشه شهمدان برزجمهر شهريار جيل جيال خداداں روزبه تركان وأسماؤه النفس الكلية روح القدس جبرائيل الملأ الأعلى سلمان وأسماؤه فى المقامات الستة الروحانيه فكان الباب فى المقام الأول جبرائيل وايتامه مكايل واسرافيل وعزرايل ومالك ورضوان وكان الباب فى المقام الثانى يائيل ابن فاتن وأيتامه انقيل وافراقون وقينان وافريق وافريقا وكان الباب فى المقام الثالث حام ابن كوش وأيتامه يهودا وهيثور ومالك وحملك وانقيل وكان الباب فى المقام الرابع دان ابن طباووت وأيتامه يهودان وهروت وعبد الله وإسرائيل وعمران وكان الباب فى المقام الخامس عبد الله ابن سمعان وأيتامه شعيره وشتلخ وهرشة ومنقول واثيرا وكان الباب فى المقام السادس روزبه ابن المرزبان وأيتامه يوحنا فم الذهب ويوحنا الديلمى وبولص وبطمس ومثّى على جميعهم من الله العلى العلام أفضل الصلاة والسلام وأسماؤه فى الغذم وهم كيان وبيان وحيث وبقاء وشمس وقمر وسماء وماء وسلسل وسلسبيل وجابر وجبرائيل اللهم مولاى اجبر ضعفنا بقوتك وترحمنا برحمتك وتنجينا من عذابك وسخطك ونقمتك بحق جلال هيبتك يامولاى ياأمير المؤمنين ياأمير النحل ياعليا ياعظيم اللهم أنى أسألك بحق هؤلاء أسامى أشخاص الباب فى ساير القباب وبحق محمد الحجاب وبحق سلمان الباب وبحق الأربعين الأقطاب وبحق المؤمنين العارفين أولو الألباب الله يحل وينزل فى دياركم البركة والرحمة والسعادة والنعمة ياأصحاب هذا الجود وهذا الإحسان وهذا الاسنان وتقدس وترحم ساير إخواننا المؤمنين فى ساير الأشعاب وساير القباب يامولاى ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ابتدا إليك وأسألك وأتوسل إليك يامولاى فى أسامى سياقة باب الله العظيم الكبير الجليل الخطير المنهج إلى كل سبيل المعظم

قدره

والزبير والحجل والمقوم والغيداق أولاد عبد المطلب وبعدهم ثلاث ركعات فهم الشفع والوتر الشفع أسد وعمران ابناء حصين والوتر عبادة ابن بشير ابن الصامت الأنصارى الخزرجي الوقت الخامس الفجر الفرض ركعتين وهم محمد وفاطر والنافلة ركعتين وهم سعد ابن مالك الأنصارى ونعيمان الأنصارى عليهم صلوات العلي البارئ فهذه الأحد وخمسون شخصاً الذى ذكرهم شيخنا فى رسالته شرحاً وأوردهم فى شعره نظماً وهى فى العدد اثنين وخمسين شخصاً وإنما جعلت احد وخمسون ركعة لأن الركعتين من جلوس عند أهل الظاهر بركعة واحدة كذا اجمعوا أن صلاة الجالس من غير علة نصف من صلاة القايم فالسيد محمد منه السلام هو الظهر لأنه أول الصلاة وهو أول أشخاص الحأت وبدء ظهورها منه ومنها يظهر الله أمره ظاهرا وباطنا فلذلك تسمى الظهر وشخص صلاة العصر السيد فاطر لأنها ابغضرت من الميم وليس بعدها صلاة معناه أنه لم يظهر الأسم بعدها بالتأنيث ولا ظهر قبلها بالفرج والوفرة إلا فى القبة الهاشمية لظهر الحأت الثلاثة منها وشخص صلاة المغرب وهو مولانا الحسن إليه التسليم وهو العشاء الآخر ماتركها النبى صلعم لا فى سفر ولا فى حضر ولا امرنا بالتقصير عنها ولا امرنا بالتكبر إلا فيها وهى الوسطى التى أمر الله تعالى بالمحافظة عليها فقال عز وعلا حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كل ذلك إعظاماً وإجلالاً للسيد الحسن لأن أول ظهوره فى سطر الإمامة كان به وقد سأل مولانا الصادق منه السلام فقيل له أيما أفضل الحسن أم الحسين فقال كلاهما بالفضل شيئاً إلا أن الحسن إمام الحسين ولم يكون الحسين إمام الحسن وهما كما ذكرناه حسن بدء الظهور به وهو الرحمن الرحيم الحسين ولهذا قيل أنهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من صاحبه ولهذا سمّى المغرب لأن الأسم غرب فيه وغيبه المولا وظهر كمثل صورته الحسنية لما شاء أن يظهر للعالم بغير الصورة الأنزعية والعتمة بشخص السيد الحسين علينا سلامه فسمّى العتمة لما عتم الخلق المنكوس من الظلمة وقولهم أن مولانا الحسين قتله عمر ابن سعد جل ربنا وتعالى عن ذلك علواً كبيرا وشخص صلاة الفجر السيد محسن منه السلام وهو الاسم الخفى عن عيون الجاحدين الذى أمرنا بالتوسيل إلى الله به فى الشدايد أن نقول اللهم إنى أسألك باسمك الخفى الذى مابدا منك إلا إليك وقصر عن أشخاصه فجعل ركعتين لظهوره عند عالم الصفا وخفى عن عالم الجهل والعما وهذه الأشخاص الخمسة التى هى الصلوات وهى التى فرض الله تعالى

عليك معرفتها فإن عرفت تمام الأشخاص الأحد وخمسون التى ذكرناها وعملت بها ظاهراً وباطناً فذلك خيراً تمهده لنفسك وإن قصرت فما لك فسحة فى التقصير فى معرفة هذه الأشخاص والقيام بمفترضاتها ظاهراً وباطناً فاعلم ذلك وقال الشيخ والكل منهم ومعهم هم الهدى والسبيل معناه أن الخمسة هى الأصول ومابعدها من الأصول الأشخاص تبعاً لهم وفروعاً منهم وتلك الخمسة هم الهدى والسبيل كما ذكرناه فلا تفرط فى معرفتهم والقيام بهم ظاهراً وباطناً فاعلم ذلك واعمل به تنجو بعون الله تعالى اللهم إنى أسألك بحق هؤلاء أسامى أشخاص الصلاة وفروض الصلاة ونوافل الصلاة وباطن الصلاة وظاهر الصلاة وبحق كل مؤمن طيب طاهر وقرّ وصلى بهذه الصلاة وبحق من نادى فى قدم القدم ألست بربكم قالوا بلى أنت مولانا الملك العلى الأعلى الله يدفع عنا وعنكم وعن ساير إخواننا المؤمنين عظايم البلا الله يحل فى ديار كم البركة والرحمة والسعادة والنعمة ياأصحاب هذا الجود وهذا الإحسان وهذا الكلا ويقدس ويرحم أرواح إخواننا المؤمنين فى ساير الفلا بحق الملأ الأعلى يامولاى ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ابتدا إليك وأسألك وأتوسل إليك يامولاى فى أسامى الصفاتية الذى تسمى بها الأسم وهى للمعنى خاصة وهم الله الرحمن الرحيم البارى المصور الفاطر الأول الآخر الباطن الظاهر الملك العزيز الجبار المتكبر السلام

المؤمن

المؤمن المهيمن القادر السميع البصير العليم الحكيم القوى الشديد الغنى الحميد المبدى المعيد الواحد الخالق المنان الديان الخبير القدير المنير السراج القدير المولا العلى الكبير القديم سبحانه تبارك الحمد لله اللهم إنى أسألك يامولاى بحقهم بفضلهم بعزتهم وجاههم أن تنجز لنا الوعد وتبلغنا الاقرار والرشد وتخلصنا من التكرار والرد وتصرف عنا وعن ساير إخواننا شر كل ضد بحق الذى نطق فى المهد وشهد لك أنك أنت الأول الفرد الصمد يامولاى ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اتبدا إليك وأسألك واتوسل إليك يامولاى فى أسامى المعنى والاسم والباب فى القباب الجانية أول قبة قبة الجن فكان المعنى فقط والاسم شيب والباب جداع والضد زوبا لعنه الله تعالى وثانى قبة قبة البن فكان المعنى هرمس الهرامسة والاسم مشهور والباب ارزيا والضد مكسور لعنه الله تعالى وثالث قبة قبة الطم فكان المعنى أخنوخ والاسم ذوقنا والباب ذوافقها والضد مشكا لعنه الله تعالى ورابع قبة قبة الروم فكان المعى ازدشير والاسم شردمة والباب هندمة والضد عطوفان لعنه الله تعالى وخامس قبة قبة الجن فكان المعن درة الدرر ومعدن الصور والاسم ذات النور والباب شاذيا ويكنى بابيا واليتيم صاديا وكانت خالية من الضد وسادس قبة قبة الجان فكان المعنى البر الرحيم والاسم يوسف ابن ماكان والباب أبو جاد والأيتام هوزحطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ والوليان والضد عزرايل لعنه الله تعالى وسابع قبة قبة اليونان فكان المعى ارستطاليس والاسم افلاطون والباب سقراط والأيتام بقراطيس وجالينوس والضد سوفسطا والدرتيل لعنه الله تعالى اللهم انى أسألك يامولاى بحق هؤلاء القباب الجانية واليونانية وبحق جميع ماجرى فيهم من الأسرار الخفية والمعاجز الربانية والقدر اللاهوتية سرا كان أم علانية الله يحل فى دياركم البركة السخية والرحمة الرضية ويقدس ويرحم إخواننا المؤمنين الطاهرة الزكية كلها مثل ماهية يامولاى ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم

لا آله إلا هو العلى الكبير الله أكبر الله أكبر قد قامت الصلاة فى أوقاتها وثبتت الحجة على قايلها اللهم يامولاى قيمها وديمها كما قامت السموات والأرض واشهدوا يامؤمنين أن هذا شخص عبد النور حلال لكم معكم حرام عليكم مع غيركم واشهد أن النور محمد والعبد سلمان فلهذا اسمى بعبد النور اللهم يامولاى كما حللت لنا هذا المدام ارزقنا به الأمن والأمان والصحة من الأسقام وكما حللته لنا

ولجميع إخواننا المؤمنين ارزقنا به الشفا والعفا والنصر والقوة على كيد الأعداء يامولاى ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم اللهم إنى أسألك يامولاى بحق هذه خطبة الأذان وبحق آدم وانوش وقينان وبحق هود وصالح ولقمان وبحق تسبيح الإنس والجان وبحق جميع ماصرح به شيخنا وسيدنا أبى عبدالله الحسين ابن حمدان الله يحل وينزل فى دياركم البركة والرحمة والسعادة والنعمة ياأصحاب هذا الجود والفضل والإحسان وهذا العيد وهذا القربان ويقدس ويرحم أرواح اخواننا المؤمنين فى كل مكان يامولاى ياأمير النحل ياعلياً ياعظيم « ويتلوه عقاد الأولاد »

بسم الله الرحمن الرحيم بسم المعنى القديم والاسم العظيم والباب المقيم ونهج المهتدين وعين اليقين وأساس الدين اعقد بينكما على رضى منكما وفسحة من أمركما على ماتراضيتما عليه بين أيادى هذه السادات الحاضرين عقد الأخيار وليس هو عقد الأضرار فإذا قال اعقد قل أن تقيموا حدود الله باقامتها وان تعقلوا مطاياها عن المخالفة بازمتها وعقدت بينكما عقد الله ورسوله فى القبة الهابلية الشيتية اليوسفية اليوشعية الآصفية الشمعونية العلوية الحيدري وفى الدعوة المحمدية وندا البابية وعلم اليتيمية واتصال العوالم العلوية والسفلية بمعرفة بارى البرية ومدد الطريقة الخصيبيةواخذتعليكم بذلك العهد عهد الله وميثاقه المأخوذ على انبياءه الصادقين ودعاته الناطقين عقدا لا يحله طول السنين لأبد الأبدين ودهر الداهرين ولكن حق السيد على ولده أن لا يفشى له سراً ولا يعصى له أمراً ولا يعصى له أمراً ولا يوغل له صدراً ولا يكشف له ستراً ولا يوالى له عدواً ولايعادى له ولياً وينصره على ساير زمانه فى عينه ويده وقلبه ولسانه وان حق الولد على سيده حسن التربية ولطف التغذية بأن لا تكلفه شطط ولا تحفظه غلط وتلقى مثل مالقوا إليك الثقات وتحذره عن جميع البغى والشهوات وان كلام السيد مقبول فى حق ولده وليس كلام الولد مقبول فى حق سيده هل انتما قابلان راضيان تحت ماشرطه عليكما فإذا قال قابلاً راضياً قل اللهم إنى اشهدك واشهد ملايكتك وكتبك ورسلك والحاضرين من خلقك عما التزما من فروضك وسلوك سنتك ولقد طاعونى بالوفا بعهدك وقد عقدت بينكما عقد عمس عدة المتقين وانت ولى النعم للمؤمنين ومنزل النقم على الكافرين كما قال الله فى كتابه المبين إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عهد الله عليه فسيؤتيه الله أجراً عظيماً جعلك الله عقداً

مباركاً بحق عم وتبارك « ويتلوه الدخول »

بسم الله الرحمن الرحيم تأخذ فى يدك كتاب وتقرأ فيه ويقوم النقيب قايماً ثم يمشي الجماعة فيقولوا له خيراً إن شاء اللهتعالى ماحاجتك وماالذى تريد فيقول ياسيدى رايح أجيب لكم ماقسم الله تعالى فيقولوا له روح مع الله ورسوله فيروح ويعاود ويتمنى للأرض ثلاث مرات ويقول انعم ياسيدى الشيخ ثلاث مرات فيقول له ياولدى الله يعطينا خيرك نحن فى أكل وشرب وقراءة كتب وتوحيد وتغريد لمولانا أمير المؤمنين أول واحدة قمت قايماً وسربت الجماعة وقلنا مع الله ورسوله فقلت رايح أجيب لكم ماقسم الله تعالى والآن عاودت ومامعك شئ وماحاجتك وما الذى تريد فيقول ياسيدى تزيا لى شخص فى الطريق فيقول له الإمام ماهو لازم لك المسافرة فى هذا الليل المظلم فيقول بأمرك ياسيدى مرادى أطلع إليه أعرفه فيقول له الإمام حتى تبعث معك ناس فيغفروك فيقول لهم النقيب مابعثان

بعون

بعون الله تعالى فيروح ويعاود ويتمنى وهو ينادى ويقول بألف لا حولا ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا لله راجعون أنعم ياسيدى الشيخ ثلاث مرات فيقول له الإمام الله ينعم عليك ويرحم والديك ووالد الجماعة حواليك تعبنا وماسترحت الله لا يتعب لك خاطر بحق محمد وفاطر ياولدى أول واحدة ودعتنا ورحت وتعبتنا وماسترحت وقلت تزيا لى شخص فى الطريق وعاودت حتى تعرفه هل عرفته فيقول نعم عرفته هذا فلان ابن فلان فيقول الإمام الله يبقيه لأهله فيقول مامراده وايش لازم له عندنا من الأغراض فعندها يقول النقيب ياسيدى شم عندكم ريحة طيبة مراده يتأدب لكم فيقول له هاته فيجيبه يبوس الأرض ثلاث مرات فعندها يقول الإمام ماهو مؤدب ويعاود عليه فى الكلام ويزخم فيه يروح إلى ورا ويعاود النقيب إلى عندهم ويبوس الأرض ثلاث مرات على جارى العادة الأولية ويقول مامرادك أحسن الله معادك أول واحدة ودعتنا ورحت وقلت تزيا لى شخص فى الطريق قلنا لك روح اعرفه قلت عرفته هذا فلان ابن فلان قلنا لك مامراده أحسن الله معاده قلت مراده يتأدب لكم والآن ماعرف يتأدب والثانى مامرادك أحسن الله معادك فيقول مراده يبوس ايديكم ويطلع فيأمره الإمام والجماعة يروح يجيب الصبى معه ويتمنى ثلاث مرات كما ذكرناه فى الأول فيقول معه مسألة مراده يرميها عليكم فيقولوا نحن هالوقت مبسوطين ايش لنا فى المسألة على أمر الله وأمر الجماعة فإن كانت للمشايخ هدول المشايخ وإن كانت للعامة هدول العامة روح هاته فيجيبه يتأدب جارى العادة ويقول أنعم ياسيدى الشيخ فلان ثلاث مرات فيقول له ياولدى يافلان الله ينعم عليك وعلى الجماعة حواليك اتعبتنا وما استرحت الله لا يتعب لك خاطر بحق محمد وفاطر أول واحدة ودعتنا ورحت وتعتبنا وما استرحت وقلت تزيا لى شخص فى الطريق وثانى واحدة قلت مراده يتأدب لكم والثالثة قلت معه سؤال مثل مالنتم يامؤمنين فيقولوا نحن فى أكل وشرب وقراية كتب فيقول

مرادى منكم سر الله تعالى والذى أنتم فيه يامؤمنين فيقول الإمام اسمعوا قال مراده سرير سار ماعرفت مايقول فيقول مرادى منكم سر الله تعالى والذى أنتم فيه يامؤمنين هذا الكلام اقراء عليه خبر الأعرابى مع مولاى جعفر الصادق منه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم يروى الخبر عن مولانا جعفر الصادق انه كان جالس فى يوم من بعض الأيام وعنده جماعة من أصحابه إذ دخل عليهم اعرابى فسلم

بحسن الأدب وقال يامولاى إنى مهاجر إليك من بلاد بعيدة ومرادى أسألك عن الخطاب حلال أم حرام فقال حرام يااعرابى فخرج من عنده مقدار ساعة وقال فى نفسه لو ان الخطاب حرام ماكانت هذه الطايفة الخصيبية والله حتى اعاود إلى مولاى ثانى مرة وأسأله عن الخطاب حلال أم حرام فقال حرام يااعرابى فتركته ورحت مقدار ساعة وقلت فى نفسى لو الخطاب حرام ماكنت هذه الشيعة الخصيبية ولا كانت اعياد ولانذور ولا قرابين ولا معاجز ولا براهين فعاود الاعرابى ثالث مرة ودخل على مولانا الصادق منه الرضا والرحمة وقال له يامولاى أريد أسألك عن الخطاب حلال أم حرام فقال حلال يااعرابى قال له يامولاى شغلت خاطرى أول مرة قلت حرام وثانى مرة قلت حرام وثالث مرة قلت حلال فكيف يكون ذلك فقال له يااعرابى أول واحدة حرام على أولاد الزنا وعلى عايق والديه وعلى أولاد العواهر وثانى واحدة حرام على سباب الدين وعلى من يحب الكافرين وحرام على من يبغض المؤمنين العارفين وحرام على من فيه عاهة من شرح السبعين وحرام على كل نفس خبسة نجسة رجسة من شرح السبعين ومخالفة الله ورسوله واوليائه الصالحين والثالثة حلال على كل مؤمن هين لين تقى نقى طايع الله ورسوله وطايع والديه محسناً لمن يأسى عليه لا حسود ولا نكود ولا حقود ولا جحود ولا سباب ولا مغتاب ولا فحاش ولا طياش ولا رعاش ولا أعماله ميشومة ولابه خصلة مذمومة بل متبع قول الله وتابع شريعة رسول الله محباً للمؤمنين مبغضا للتاجحدين بأى شئ تقولوا ياجماعة الحاضرين وإخواننا العارفين فى حق هذا الولد فيقولوا مانعرف هذا إلا مثل واحد منا طايع إن شاء الله تعالى فتقول له ياولدى طلبت منا سراً عظيماً وخطباً جسيماً

وسر

وسر مستتر مقمع بالجوهر والدر ولا يحمله لاكل ملك مقرب أو نبى مرسل أو من امتحن الله قلبه بالعلم والإيمان تحمل أنت ياولدى سر الله فإذا قال بحمل إن شاء الله تعالى فتقول تحمل كى المحاور ونشر المناشر وماتبيح بسر الله تعالى فإذا قال بحمل إن شاء الله تعالى فتقول له تحمل قلع العينين وقطع اليدين وكسر الرجلين وماتبيح بسر الله تعالى فيقول بحمل فتقول له ياولدى إذا حملتك الجبال الرواسى بتحملها نعم ياولدى بدى منكماية كفيل تكفلك وتضمنك على سر الله تعالى فيقولوا له القانون ياسيدى الشيخ فيقول ماالقانون فيقولوا له كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز سبعة فى الحج وثلاثة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة فعند ذلك يمسك الحسام بيده اليمين ويقول سركم ياأخواتى العشرة واخوان هذه الحضرة اكفلونى واضمنونى على سر الله تعالى وأنتم برئيين من خطيتى وخطيتى لازمة عنقى فيقولوا له الأخوة العشرة الله يبرينا من خطيتك وخطية غيرك فعند ذلك يقول له الإمام ياولدى الكفالة والضمانة لم أقدر على جمعهم إذا عصيت نعم ياولدى بدى منكم اثنين يكونوا أهل دين وإيمان وحصن وإيقان يكفلوك ويضمنوك وتشرب سرهم ياولدى الكفالة والضمانة تموت ولايبقى إلا الله الحى الباق الذى لا يفنى ولا يموت نعم بدى منك ثمانين يمين بالله مثل ماحلفونا ساداتنا أربعين من قيام وأربعين من قعود حتى وصلك إلى ماطلبته منا فيقول لك على ياسيدى ذلك وأنت بريا من خطيتى ومن إيمانى الذى رسمه الله على وعليك وعلى ساير المؤمنين الأبرار فعند ذلك يمسكه الكتاب ويقول تفضل ياشيخى وياسيدى حلفنى على سر الله تعالى وأنت برئ من خطيتى وخطيتى لازمة عنقى وقوله تعالى انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً فيقول الولد ستجدنى إن شاء الله صابراً ومن الصابرين ثم تقول والله وبالله وتالله وسابع يميناً بالله وإنى واثقاً بالله ومما تلقيه إلى من سر إنى لا أبيعه ولا أذيعه ولا امارى فيه إلى الجهال ولا إلى أهل الضلال ولا أبادى فيه أحد من الناس إلا إلا أخ من إخوانى يبادينى وأباديه والله على ماأقول وكيل وشهيد ثم قول والله وبالله وثانى يمين بالله وسابع يمين بالله قسمًا عظيمًا وبما اتخذ على النبيين من العهد والمواثيق إنى واثقاً بالله وبما تلقيه إلى من سر الله انى استر جميع الذى سمعته وأعمله من سيدى وأتبع مايرشدنى إليه وأنتهى عما ينهينى عنه والله على ماأقول وكل وشهيد ثم يقول والله وبالله وتالله ثالث يمين بالله وسابع يمين بالله وثامن يمين بالله وعاشر يمين بالله وعشرين يمين بالله وأربعين من قيام وأربعين من قعود إنى واثق

بالله وبما تلقيه إلى من سر الله لا أبيعه ولا أذيعه ولا أكتبه لغير مستحقه لا في حياتكم ولا بعد وفاتكم لا في حال طمع ولا في حال شدة ولا في حال رخا وإني تحت هذه الشروط والله اني انتهي من ساير مايضر اخواني مثل قتل وزنا وحرام وفساد وكذب وعوان وربا وما أشبه ذلك ولا أكشف على ماأظهرتموني عليه من سر الله لأحد من جميع خلق الله تعالى إلا لأخ من إخواني يباديني وأباديه والله على ما أقول وكيل وشهيد الله ينكث بالذي ينكث ثم قل له قوم جعلك الله من المؤمنين الذين يسبحون بالأرض وبنور الله يهتدون

تم ذلك بحمد الله وحده والاسم والباب بعده وصلى الله على خير خلقه محمد ﷺ وقد كان الفراغ من نساختها في شهر تشرين أول في سنة ألف وثلاثماية وستة وأربعين على شارعها أفضل الصلاة والسلام وهي بخط الفقيد لله تعالى سليمان أحمد علي يرجو دعا الإخوان

وهي قد كتبناها إلى الشيخ محمد الحامد علي إبراهيم أعانه الله على قرائتها آمين

بسم الله الرحمن الرحيم ابتدأت فى أول إجابتى بالإقرار فى قدس معنوية مولاى مير النحل على حيدرة أبى تراب فيه استفتحت وبه فزت وبه نجحت وفى ذكره ابديت وفيه ختمت وبه استعنت وعليه توكلت وهو رب العرش العظيم وعليه توكلت إخوانى المؤمنين أشهد أنه ربى ورب الأولين والآخرين ورب الخلايق أجمعين والحمد لله على صحة الدين وإثبات اليقين والطاعة لله رب العالمين قال السيد أبو شعيب محمد ابن نصير إلى يحيى ابن معين السامرى يايحيى إذا نزل بك نازل أو دهت بك داهية قل فيك تباركت يادليل الأدلة ياظاهر بقدرته ياباطن بحكمته يامعلن بدعوته يامجيب ذاته بذاته يامخاطب معناه باسمه وصفاته ياكل يأزل يامعل العلل يامن بداء منه ماإليه يعود وأشرق منه مافيه يغرب يامن جعل لكل صفة اسم يعرف به ولكل اسم مكان يقصد فيه ولكل مكان باب يدخل منه إليه وأنت الكل هو ياهو يامن لا يعلم بما هو إلا هو أسألك وبسلكون سلك وأرشد المرشدين السيد محمد الصادق الأمين أن تؤلف قلوبنا وقلوب إخواننا المؤمنين على البر والتقوى والعلم والإيمان والدين وتجعلنى لهم تبعاً واجعلنى على معرفتك من التابتين ومن السعداء فى الدارين حتى نذكر حضرتك الطاهرة وقدرتك الباهرة ونعمتك الشاملة وسنتك الجارية وفرضك اللازم وحقك الواجب كما توالا به شيخنا وسيدنا أبى عبدالله الحسين ابن حمدان الخصيبى الذى هو الطريق إلى معرفتك إلى الرب المعبود الحاضر الموجود فعليه سلام الله وتحياته لأن علمه علم الحق وعالمه عالم الصفا ومحله محل الصدق والجود والوفا بسم الله وبالله سر السيد أبى عبدالله الذى عرفنا معرفته بالله عليه السلام ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا لبيك لبيك ياعلى ابن أبى طالب أنا بين يديك أشهد أنك أنت ربى أولاً وآخر وباطناً وظاهر يامن تعليت بالعلوية واحتجبت بالمحمدية وتبويت بالسلسلية بهم أسألك العز والنصر والتوفيق إلى معرفتك

أن تنصرنى وإخوانى المؤمنين على القوم الكافرين وأجرنى من عذاب الظالمين اللهم أهدنى بباب هدايتك وأرزقنى العز والنصر تحت ظل كفايتك سر الولى ابن الولى أبو الحسين محمد ابن على الجلى الذى جلالنا العلم والإيمان عليه الرحمة والغفران سره اسعده الله

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنى أسألك يانور الأنوار ومجرى الفلك الدوار ومولج الليل فى النهار ياحيدرة ياكرار ياعلى ياكبير ياأكبر من كل كبير وعلى كل شئ أمير وأمير كل أمير يامن أظهر الشرف العظيم بيوم خم عيد الغدير ياحليم ياغفور أسألك الهداية إلى معرفتك والثبات على توحيدك وأجعلنى مقرا عارفا بظهوراتك فى اكوارى وأدوارى وأحفظنى من المعاصى ياأرحم الراحمين حتى نذكرسرالشاب الثقة أبو سعيد ميمون ابن القاسم الطبرانى المجاهد فى سبيل الله والمنتهى عن ماحرم الله ومن دام على طاعة الله الرضى والرحمة وعلى عدوه أبو زهيبة الخزى واللعنة لأنه علم الحق وأنكره فعليه مايستحق من الله وعلى أبى سعيد رحمه الله قدس الله سره العزيز آمين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أحسن طريقى إلى معرفتك والثبات على طاعتك أول سمعى من شيخى وسيدى الذى أنعم على كما أنعم الله عليه بمعرفتى عن عمس شهادة أن لا إله إلا مولاى أمير النحل على ولا حجاب إلا السيد محمد ولاباب إلا السيد سلمان ولا ملايكة إلا الخمسة الأيتام الكرام ولا رأى إلا رأى شيخنا وسيدنا أبى عبد الله الحسين ابن حمدان أول سمعى من سيدى حيدر رحمة الله عليه وعلى والديه ألقى على هذا السر العظيم سنة ألف وثلاثماية وأربعة وأربعون وسمع حيدر من خليل من حسن من سلمان من يوسف من عيسى الفتوح من على ابن عيسى الجسرى من شيخنا وسيدنا أبى عبد الله الحسين ابن حمدان الخصيبى من شيخه وسيده أبى محمد عبد الله ابن محمد الجنان الجبلان العابد الزاهد المعروف بالفارسى بن محمد ابن حيدر يتيم دين الأكبر من السيد أبى شعيب محمد ابن نصير العبدى البكرى النميرى الذى هو باب وحجاب لمولانا الحسن

الأخير

الأخير العسكرى منه السلام وإليه التسليم منه بدا الحسب والنسب وقام الدين تعالى مولانا عما يقولوا الضالون علواً كبيراً وفق الله شيخى وسيدى توفيق العارفين سر إخوتى الحلبيين والجسريين سرهم أسعدهم الله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا نصر من الله وفتح قريب وأشهد أن مولاى على أمير المؤمنين الذى فتح لنا فتحاً مبيناً وثبتنا وهدانا إلى الصراط المستقيم إنى سمعت وأطعت وآمنت وصدقت بالحق نطقت ونطق لسانى وشهدت جوارحى وأقرت أن مولاى على أمير المؤمنين الأنزع البطين الحق المبين آله الأولين والآخرين لا إله إلا هو ولا معبود إلى سواه العلى العظيم اخترع السيد محمد من نور ذاته فجعله حجابه العظيم وبيته القديم ورسوله الكريم فلا منفصل عنه ولا متصلاً به بل هو منه كما النطق من الناطق وكما النظر من الناظر وكشعاع الشمس من الشمس وكدوى الماء من الماء إذا أراد حضره وإذا أراد غيبه تحت تلالى نوره وأشهد أن السيد محمد خلق السيد سلمان بأمر باريه وقدرة منشئه وجعله باب مبوب الأبواب ومسبب الأسباب لا دخول إلا منه ولا معرفة إلا به فهو سلسل وسلسبيل وجابر وجبرائيل وهو الطريق والدليل إلى معرفة رب العالمين وأشهد أن السيد سليمان اختص لنفسه الخمسة الأيتام الكرام الموحدين فسماهم وكناهم ورتبهم وجعلهم رأس العلم والإيمان أولهم يتيم دين الله الأكبر والكوكب الأزهر والمسك الأزفر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر الألف المقداد ابن عمر ابن الأسود الكندى وأبو الدر جندب ابن جنادة ابن سكن الغفارى وعبد الله ابن رواحة الأنصارى وعثمان ابن مظعون النجاشى الهلالى اليمانى وقنبر ابن كادان الدوسى فهؤلاء عبيد مولانا على أمير المؤمنين لايشكون ولا يشركون ولا يخرقون لله حجاب ولا يدخلون لله إلا من باب وهم المثبتين الموحدين إلى معرفة الله وفق الله المؤمنين

توفيق العارفين اين ماكان منهم كائن ومكين فى شرق الأرض ومغربها وقبلها وشمالها وبرها وبحرها من جابلقا إلى جابرصا إلى مدينة سرى مزى اتفق رأى المؤمنين على رأى شيخنا وسيدنا أبى عبد الله الحسين ابن حمدان اللهم إنى أسألك يامولاى أن تجعلهم آمنين مسرورين وعلى أعدائهم منصورين وترزقنا صالح دعاهم ورضاهم سر الفتح ومن فتح الفتح ومن كان الفتح على يده اليمين سر

سيدى محمد وفاطر والحسن والحسين ومحسن سر الخفى سرهم أسعدهم الله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً آمنت بك ياسيدى يامحمد يافاطر يانور الله الأعظم بك استجرت جيرتى وبك استغت عينى لله السجود الأحد المعبود الله أكبر من كل كبير وإليه المصير حمداً لا يرام عزيزا لا يضام كريماً لا يبخل حليماً لا يعجل للباب قصدى وللاسم سجودى وللمعنى على فى الحقيقة عبادتى سجدت وسجد وجهى الفانى البالى إلى وجهك الحى الدائم الباقى ياعلى لك العزة ياعلى لك الألوهية ياعلى لك الأبدية ياعلى لك الاشارة ياعلى لك الجبروتية ياعلى لك اللاهوتية ياعلى لك القدرة الأزلية ياعلى لك العبادة ياعلى لك الشهادة ياعلى لك المعنوية ياعلى لك الربوبية ياعلى لك الطاعة ياعلى منك الرحمة ياأرحم الراحمين ارحمنا برحمتك آمنت يامولاى فى باطنك وظاهرك فظاهرك إمامة ووصية وباطنك غيب لا يدرك ياعز من عزك وياذل من جحدك وكفرك ولا خاب عبد قصيدك ياميز النحل أحمنى من حر الحديد وبرده لى ولسائر إخوانى ياعلياً ياعظيم

بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر الله أكبر إنى هللت وكبرت ووجهت وجهى إلى الذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وماأنا من المشركين سلمت لله التسليم سلام بداء من المعنى القديم على الحجاب العظيم السلام على باب الله العظيم السلام الخمسة الأيتام الكرام الموحدين السلام على الأبواب السلام على الأيتام السلام على النقباء السلام على النجبا السلام على المختصين السلام على المخلصين السلام على الممتحنين السلام

على

السلام على المقربين السلام على الكروبيين السلام على الروحانيين السلام على المقدسين السلام على السائحين السلام على المستمعين السلام على اللاحقين سلام الله على أهل مراتب الصفا أجمعين السلام على من أطاع واهتدى واتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك العلي الأعلى وقر وشهد فى نبوة محمد المصطفى سلام الله على المائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى أولهم الأبواب وأخرهم اللاحقين السلام على سيدى المقداد من ذات اليمين السلام على سيدى أبو الدر من ذات الشمال أحسن السلام والتسليم عليهم وعلى ساير إخواننا المؤمنين اللهم أجمع شملنا مع إخواننا المؤمنين فى جنة النعيم وكل تحية فيها سلام والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك يامن خضعت لك الرقاب وهانت لك الأمور الصعاب وقامت لك العزة والاشارة يامولاى ياعلى ياأمير المؤمنين بدعوة التى دعاها السيد محمد حين نادى وصرح وقال من كنت مولاه فعلى مولاه ومعنا اللهم والى من والاه وعادى من عاداه وانصر من نصره واخزل من خزله اللهم بحق هذه الدعوة أن تدخلنى جنتك البيضا التى عبيدك سكانها وعرشك سقفها وملايكتك الكرام كتابها وأسألك يارافع الدرجات وقاضى الحاجات ومرد اللهفات أن تجيرنى وإخوانى المؤمنين من شر عذاب النار وبئس المصير واجعل شرابنا هذا شفاء وعفاء وعز ونصر وقوى على كيد الأعداء واجعلنى من أهل الهدى واجنبنى الردى محمد عدتى ورجائى فى كل وقت وكل حين « سر عقد عمس »

بسم الله الرحمن الرحيم سر العين العلوية الأزلية الأحدية الصمدية الأنزعية الإلهية الربانية الظاهر بالسبع قباب الذاتية مولاى على الأزل القديم سر الميم المحمدية الحجابية الاسمية النورانية الملكوتية الواحدة الظاهرة بالنبوة والرسالة السيد محمد الاسم الأعظم سر السين السلسلية الشيعية الروزبية والبهمنية العبدية البكرية النميرية البانية الوحدانية الظاهر بالروزبية والفارسية السيد سلمان الباب المقيم سر الخمسة الأيتام الكرام سر عقد عمس

بسم الله الرحمن الرحيم أشهد ان الله حق وقوله حق وهو الحق المبين أن الجنة للمؤمنين والنار مثوى الكافرين أن الماء من تحت العرش يطوف وفوق العرش

رب العالمين وحمالة العرش ثمانية أشخاص هم لله مقربين هم شفاء لى وعدتى فى شدتى فى كل وقت وكل حين سر عقد عمس « زقوة مجربة »

بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أن لا إله إلا هو والملايكة وأولوا العلم قايماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين بمعرفة ع م س شهادة أن لا إله إلا مولاى أمير النحل على ولا حجاب إلا السيد محمد ولا باب إلا السيد سلمان ولاملايكة إلا الخمسة الأيتام الكرام ولا رأى إلا رأى شيخنا وسيدنا أبو عبد الله الحسين ابن حمدان فى كل عصر وكل زمان بغير زيادة ولا نقصان بهذا اشهد على ياحجاب الله العظيم وأشهد على باب الله المقيم وأشهد على ياسيدى المقداد من ذات اليمين وأشهد على ياسيدى أبو الدر من ذات الشمال أشهد على ياأخى وسيدى بذلك كما شهدت على أخ من إخوانك المؤمنين بسر الله الحقيق وعقد الدين الوثيق وهو العقد المشار إليه بيوم خم عيد الغدير وأشهد وأقر بنداء أبى الخطاب حين نادى وصرح على مأذنة الجامع بالكوفة وقال أن المعنوية إلى مولاى جعفر الصادق والحجابية إلى موسى الكاظم وأشهد أنى عبد من عبيده وأشهد وأقر بالصورة المرئية هى الغاية الكلية ليست بكلية البارى ولا البارى سواها بل هى هو اثباتاً وإيجاداً وإيماناً ويقينا لا هو هى كلاً ولا جمعاً ولا إحاطة ولا حصاراً ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير القديم الأزل الذى لا حال ولازال ولا انتقل من حال إلى حال وأشهد أنى شعيى الدين خصيبى الرأى وأشهد وأقر بالرجعة البيضا والكرة الزهراء وكشف الغطاء ظاهر مولاى من عين الشمس وقابض

على كل

على كل نفس وذو الفقار بيده والأسد من تحته والسيد محمد بين أياديه والماء ينبع من بين قدميه السيد سلمان قدامه يسبح وينادي ويقول هذا آلهكم فاعبدوه ومجدوه ووحدوه وأشهد أن هذا دينى فى دنياى ورجعتى وكرتى ومماتى ونقلتى وحياتى وعلى هذا اعتقادى وعلى هذا الإقرار أحيا وأموت وهو يحيى ويميت دائماً لا يموت بيده الخير والمغفرة وهو على كل شئ قدير ألف ألف سر السادة الأبرار وهم السمع والبصر والفؤاد كل كان عنه مسؤلاً سرهم أسعدهم الله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم أشهد على هؤلاء السادة الحاضرين أن على ابن أبى طالب طالب آلهى وآلهكم وإمامى وإمامكم إمام الأيمة وينبوع الحكمة وسراج الظلمة ومفتاح الرحمة وجبار الجبابرة وتاج الأكاسرة وقيوم الدنيا والآخرة الظاهر من عين الشمس وقابض على كل نفس وهو إله فى السماء وإمام فى الأرض إمام كل إمام صاحب كل عصر وزمان سر حجابه السيد محمد سر بابه السيد سلمان سر الخمسة الأيتام الكرام سر عقد عمس

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الحمد لله الذى سبحنا وسبح الملك لله الحى القيوم الدائم الباقى سر البقعة الشريفة وماحوت سر الشيخ وتلاميذه سبعة عشر عراقية وسبعة عشر شامية وسبعة عشر مخفية وواحد وخمسون أخذوا بالحق وأعطوا بالحق جعلنا الله على سرهم من الثابتين وسر ذكرهم الصالح سرهم أسعدهم الله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم سر الطور والنور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور السيد سلمان سر المنزل وما حوى المنزل سر سيدى محمد صاحب كل منزل سر البيت وماحوى البيت سر رابع أركان البيت سر فاطر والحسن والحسين ومحسن الخفى سر حمزة وطالب وجعفر وعقيل أولاد أبو طالب يجلّون عن نسب البشرية عليا من ذكرهم الرضى والرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سر حجاب الله العظيم سر باب الله المقيم سر الملكين الشاهدين الكوكبين الزاهرين وهم سيدى نوفل ابن الحارث أبو عبيدو وابن عمير أبو برزة عليهم من ذكرهم الرضى والرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم إثنى عشر نقيباً وقال الله إنى معكم أولهم أبو الهيثم مالك ابن التيهان الأشهلى الأنصارى ويقال البلوى حليف الأنصارى والبر ابن معزور الأنصارى والمنذر ابن عمر ابن كناس ابن لوذان الساعدى ورافع ابن مالك ابن عجلان الرزقى الأنصارى والعباس ابن عبادة ابن نضلة الأنصارى وعبادة ابن الصلت النوفلى وعبدالله ابن عمرابن حزام من بنى سلمة وهو أبو جابر عبدالله الأنصارى وأبى ابن كعب وارفع ابن ورقا وبلال ابن رباح الشنوى ويتبعهم نوفل الحارث ابن عبد المطلب سر سيدى محمد ابن سنان الزاهرى سيد النقبا سر سيدى عبدالله ابن سبا سيد النجبا سر الإثنى عشر نقيب سر الثمانية وعشرون نجيب الأقطاب الأربعين سرهم أسعدهم الله أجمعين

مختارات غير مرتبة
من
المخطوط الثانى

ويَتلُوه رسَاله تَنزيه الذَّات عن الأسمَا والصِّفات تاليف الشيخ الماجد العَالم المحقق المدقق قدوة زمانهُ الشيخ محمَّد الكلازى الأنطاكى قدس الله روحهُ وشرف لطيفهُ امين وكان بدُوا تصنيفهَا فى محروسة حلب وهى هذه انشاء الله تعالَى وفوق كل ذى علمٍ عليم وبه نستعين هو حسبنَا ونعم الوكيل بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم الحمد للهِ العلى المعبود الذى اخترع الأسم العظيم وامر الملايكه فى السُّجُود وخلق الباب

اختلاطاً كلياً لقول ابن مكزون قدَّسهُ الله فى رسالتهُ وقولهُ فيها من عرف ظهور الأفراج ونزّه وصل الامتزاج فقد صحّ توحيدهُ لَان الممازجه من الاسم الى الباب فى البشريّه فى القبة المحمَّديَّه ولم يجدَا هذا فى النورانيه ولا فى ساير القباب الماضيَه ان الاسم فى القبة المحمَّديّه كان ظاهر باربع اشخاص وهم محمَّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن الشخص الخفى فكان الاسم الأعظم لما ظهر فى البشريّه فى القبّة المحمّديه فى الأشخاص المتفرقه فهى متشخّصه من نور نور الاسم لمّا كانت الاربعة الأشخاص ظاهره كان قديم

الاسم

الاسم النُّورَانى ينطق من صورة محمَّد عند اظهار المعجز وفاطر والحسن والحسين صوَامت فلمَّا اظهر السَّيد محمّد الغيبه انتقل قديم الاسم الى فاطر اربعين يوم فلمَّا غابت فاطمه وهى فاطر انتقل قديم الأسم الى الحسن والشّخص المحمّدِى لم يكن بشريًّا ولكنه نورًا ظاهرًا شفافيًّا من نور نور الأسم قديم الأسم لمَّا انتقل عنه القديم امتزج تلك الجسم المحدث المحمَّدى بسلمان لَان الجسم المحمَّدى المحدث امدادهُ من نور نور الأسم والسَّيد سلمان خلقتهُ

من نور نور الأسم فامتزج قديم البٰاب ومحدث الأسم قَلما شخصٍ واحد لَا انّهم من معدن

ابو دهيبه اسمَاعيل ابن خلَّاد وغيرهُ ممن حرّف القول واعتقد البٰاطل لَانَّهم حملوُا هذه القول على ان ظاهر المعنىٰ هىٰ صورتهُ الظاهره للملائكه والادميّين وزعموُا انّهَا باطن الميم وان ظاهر الميم هى صورتهُ الظاهر بهَا هى باطن السَّين واطلقوُا ان ظاهر السَّين هى صورة السّيد سلمان وهى باطن اليتيم الأكبر وثبتوُا الظُّهور والوجود على الأسم والبٰاب واليتيم والمعنَى محتجَب لَايرَا وحَالوُا على عبَادة الغيب والاختياط فى الرّيب هذا اعتقاد ابو دهيبه وعلى ذلك صار وقيل جرت المجاذلة بينهُ وبين ابوُ سعيد قدّس الله روحهُ واظهر ابو سعيد تكذيب

تكذيب ابو دهيبه فى كتاب ترّد على المرتد فاعتقدة اهل التوحيد بقول ابوا سعيد ونفوُا مقال ابو دهيبه لَان ابو سعيد فى كتبهُ ورسَايلهُ اثبت ظهور البَارى فى سمَايهُ وارضهُ وانهُ ظهر لكلّ جنسٍ بجنسهُ وخاطب كلّ لغةٍ بلغتهُ واورَى كلّ صفتٍ بصفتهُ من غير زوالٍ ولَا انتقل من حال إلى حال لقول ابو سعيد من اخواص الدُّعَا يقال يامن لم يزل عن كيَانهُ وان ظهر لعَيانه وان هذا الكلَام ان لهُ اصل فى كتب اهل التوحيد ان ظاهر المعنى باطن الميم اى ان جميع الأسمَا والصَّفَات والأفعَال

يرجيك الطافٍ وعفواً علَى المدَا
وصلوتك الحسنَى علَى خير مرسلٍ وافضل مبعوثٍ واشرف مرشدَا

قال الشيخ الاجل الاوحد الأجدُ الشيخ ابراهيم ابن الشيخ مرهج قدسه الله

إلى متى نار وجد الصَّب تلتهبِ ودمع عينيه منهلٌ ومنسكب
والطرف فى أرقٍ والقلبَ فى حرقٍ والنفس فى قلقٍ والجسم فى نكبِ
قد عيل صبرى واتراخِى لقد بقيت والشامتون سَموّا فى اللوم والعتبِ
عزت نفسى بما جاء الرّوات من الاحاديث والانباءِ والخطبِ
قد اودعوا كتبهم من كل سالفةٍ تروق القلب بالافراح والطّربِ

وتجلى الران عن قلب البليدَا كمَا   قد تنجلى ظلمة الديجور بالشهبِ
لخصة منه حديثٌ طاب موردهَ   كانه العذب او نوعٌ من الضَّربِ
عن المفضّل قد جاءت روايتهَ   عن صادق الوعدمسنوداًومنتسبِ
اذا راح ببسالة فى عذب مقولة   عما هو الحق للاخوان قد يجبِ
فجابها الصادق المشهور مبتدرٌ   لمثل هذا يكون الحشد الرَّاب

خشيةً منه ان ينسب قولهُ ان الظَهور كلهُ حدثًا ان يكون ظهور المعنَى حدثًا فقال الا ظهورة بالانزعيّه فقط لان فيها ظهر الرَّب فى القدم وكمَا قال شيخنا ابى الحسين محمَّد ابن على الجلِىّ رضى الله عنهُ فى روايته عن العَالم منه السّلام قل سئل عنِ الاسم فقيل قديم ام محدث فقال منه السَّلام قديم فى النور محدث فى الظّهور فتَامَّل ياسيّدى معنى الحدث الداخل على الأسم من مولاه تعالى عمَّا يشركون والمحدث جسده النورى وهيكله المحمّدى على ماقدمته كرة

وقد

وقد ذكر سيّدنَا الخصيبى فى رسالتهُ الرستبَاشيّه فقال والذّى اثرنَا بالتّصريح لارشاداته لنا وتسديدهُ وتوفيقه لافادت المستحقين لهُ اثبات اسم المعنَى بذاتهُ واثبات الاسمَا المسمّا بهَا اسمهُ التى اذَا دعَا بَهَا كانت الاسمَا للاسم ومعنى الدّاعى للمعنَى التى اذَا دعَا بهَا كانت لنفسه خاصه بذاتهَ هى الازل الفرد القديم الاحد الصّمد العلى ومن صحف شيت وادريس ونوح وابراهيم وبالسرّيان مبينا والهيولَا والاس والبيان واليقين والايقان والباهره وفى التورات اليًّا وفى الزّبور اريًّا وفى الانجيل

الجَاحدوْن الملحدُون المشبهَون المرتَابوُن لا اله الّا هوَ ازل احَد فرد تعالى ان ترَاْ منهُ العيو الّا مَا تَشَا ان يريهَا بغير الابصار فى رويتهُ ولم يتغيّر كيانه وان ظهر لعيانهُ فهو الظاهر لَعَارفيه والباطن عن جَاحديه لا تدركه الابصار فى رويته ولا تكيفه الاقطار ولَا تحصرهُ الظّنون ولَا ترى كمَال هيته العيون فتعالى وتقدس من هذه صفاتهُ وجلّت وعلت عن التحديد معرفة ذاته الظاهر بالانزع البطين وهو امير المؤمنين غاية كل غايه ونهايت كل نهَايه وقد سئل مولانا

الصادق منه الرّحمة فقيل لهُ يامولانا

يقال

يقال أن للمعنَى ظهورات ذَاتيّه وظهورات مثليّه فقال مه بل كل ظهورات المعنى عن شأنهُ بانزع بطين وكذَا قال شيخنَا وسيدنَا ابى الحسين محمّد بن عَلى الحلى عليه رضوان الملك العلِى كل ظهورات المعنى بانزع بطين فهو الحق المبين وممَّا رواه أهل الصّفَا وخالص الوفَا ومن لم تنقلب أبصارهم ولم تختلف أفكارهم فقالوا اظهر كحجابهَ واظهر حجابهَ ببابهَ وهو تعالى لا يحول وجلَ ان يزول القول بتمامهَ ومعنَى القول انه انزع بطين اى انزع من الصّفات قديم بالذّات ممتنع من النعوت

البشرى وهُوَ قولهُ ان الله لمّا اراد امتحان العلوى وهو اعلم بهم ظهر لهم بصورة طفل محتاج الى التّربيّه واوراهم كيف يغدا وكيف ينشَا وكيف يفطم ثم ارَاهم قدرتهُ فى صورة الشّاب راكب على اسدٍ مفتول السَّبار ثم اراهم قدرته فى صورة الشيخ الفانى فلما تغيّرت عليهم الصَّور ولم تختلف عليهم القدر قالوُا اظهر بمَا شيت كيف شئت وكان ذلك توفيقهُ لهم ثمّ قال فى موضعٍ آخر أنّ الله ظهر للملايكّة حتى ظنّه الملائكة انَّهُ منها فقَالُوا تعَالوا نطلب ربَنا فنعبدهُ ونميل اليه بطَاعتنَا

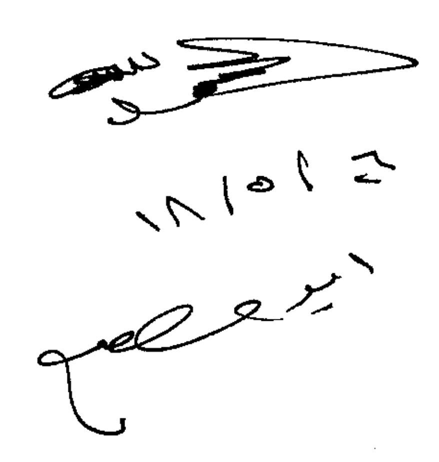
وهو

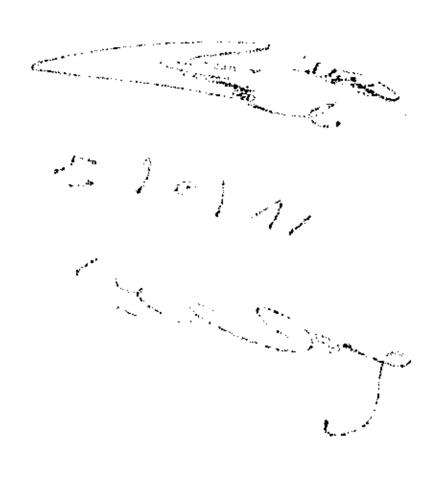
وهو فيمَا بينهم متجليًّا لهم كهم فقال لهم ياهو انّى انَا ربكّم فلم تقل لَا لَا ولا نعم نعم حتى ظهر لهم القدرة البَاهره والعلامات النيرّة فسلمُوا اليه وشهدوا لهُ باللاهيّه ثم قَال انَّه ظهر للادميّين بجنسهم واشكالهم حتى ظنّه الأدميّين انَّهُ منهم فاقرّ من اقرّ وانكر من انكر ثم قال السَّايل ايُّها العالم اخبرنى لله حجبٌ فى السَّمَا وحجبٌ فى الارض وكم هى قال نعم هى حجب فى السّما تلتمايه وسته وستُّون حجاب سَوى الحجب السَّتة الأرضيّه والحجَاب الذى اظهر العلم والقدره فحجبهُ منهَا نورِى ومنها ارضى فما كان منهَا

موری البروق الخَاطفة و الرَّعود القَاصفه و كذَا قال الحسّين ابن حمَدان قدَّسهُ الله يارب بالحجب و بالاسَامی ببابك المشرق المنيرُوا فَالحجب و الاسَامی ارَاد بهم اشخاص الميم و الباب المشرق المنير هی الملكوت الفسيح الذی منهُ تشرق الأنوار لقولهُ تعَالی و اشرقت الأرض بنور ربهَا فيكون اشراق السَّمَا بالأنوار و الأشراق الثّانی هو اشراق لوامع البروق الخاطفة من عمُود الشَبح الذی باطن الباب كذَا قال فی الرَّسَالة المصريّه ان البرق كلَام الباب و الرّعد سوط المقداد ومَاكتبنا الا مَاوجدنَا فكِتب

الموحدين

الموحدين و انَّنَا متبعين غير مبتدعين و الله الهٰادی و الموفق و المعين و امَّا سئالك عن الأفلَاك السبعه فانَهمْ زحل و المشتِری و المريخ و الزهره و عطَارد و الشّمس و القمر وهم الخسمة الأيتَام و الولّين و البروج و الأثنَا عشر وهم النَّقبَا و المنازل الثمانية وعشرين هم النَّجبا و الكواكَب و الاحد عشر الذی رَاهم يوسف فی المنَام وهم سعد ابن مَالك الأنصَاری يعرف بالقطب و خليفی ابن اويس الحنضلی يعرف بالقرن وعمران ابن كعب الكنِدی يعرف بالجدی ومَالك ابن الجنان الجهنی





من مطبوعات دار الصحوة

القاهرة — حدائق حلوان
شارع جمال عبد الناصر.
بجوار عمارات المهندسين

١ — **عصر الإلحاد** تأليف محمد الأمينى الندوى

ترجمة د/ مقتدى حسن ياسين ، مراجعة وتقديم د/ عبد الحليم عويس

٢ — **ثقافة المسلم** د/ عبد الحليم عويس

٣ — **الوقت فى حياة المسلم** د/ يوسف القرضاوى

٤ — **الرسول والعلم** د/ يوسف القرضاوى

٥ — **صلاح الأمة على هدى السنة** د/ محمد الشريف

٦ — **مؤشرات حول الحضارة الإسلامة** دكتور/عماد الدين خليل

٧ — **الدولة والسلطة فى الإسلام** دكتور/ محمد معروف الدواليبى

٨ — **قضية البعث الإسلامى** تأليف/وحيد الدين خان

« المنهج والشروط » مراجعة وتقديم د/ عبد الحليم عويس

٩ — **أزمة المثقفين تجاه الإسلام** دكتور/ محسن عبد الحميد

١٠ — **المختار فى الرد على النصارى** مع دراسة تحليلة تقويمية، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق ودراسة دكتور/ محمد عبد الله الشرقاوى

١١ — **من معالم الحق** فى كفاحنا الإسلامى الحديث/ محمّد الغزالى

١٢ — **الإسلام كما ينبغى أن نؤمن به** د/ عبد الحليم عويس

١٣ — **سر تأخر العرب والمسلمين** / محمد الغزالى

١٤ — **حقيقة البابية والبهائية** د/محسن عبد الحميد

رقم الإيداع ٤٤٤٣/١٩٨٥
الترقيم الدولى ١-٣٥-١٤٣٠-٩٧٧

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
شارع عبد الفتاح الطويل-أرض اللواء-خلف المهندسين
ص. ب ٦٣ إمبابة-ت ٤٧٧٧٥١